القصص المصري

لم تصل إلينا الحياة العقلية في مصر سلسلةً متصلةَ الحلقات حتى نتبعها من أولها إلى آخرها، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس، ونخرج منها بنتيجة نقطع بها ونؤمن بصحتها، ولكنها وصلت إلينا وبها حلقات مفقودة، فلا نستطيع إلا درس ما وصلنا وبناء أحكامنا عليه.

والمتتبع لتاريخ القصة في الأدب المصري لا يرى أمامه أي مثال للقصة في الدولة القديمة ولا ما سبقها من العهود، وإن كانت ظواهر الأحوال وإشارات «متون الأهرام» تدلنا على أنه كانت هناك أساطير وأقاصيص عن الآلهة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ. ومَن يدري! فلعل الأرض تبوح بسرها يومًا ما، وينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجده، إن لم تكن عوادي الزمن قد طغت عليه.

والقصص التي وصلت إلينا من عهد الدولة الوسطى قصص ناضجة تدل على أن هذا الفن بلغ في عهد هذه الدولة ذروته، وإن كان قد أخذ في الهبوط بعد ذلك، كما أن سائر ألوان الأدب التي تُنسَب إلى هذه الدولة كاملة النمو أيضًا، وليس من الطبيعي أن يُولَد الشيء ناميًا كاملًا، بل من الطبيعي أن يُولَد طفلًا، ثم يصعد في معارج النمو حتى يستوي خلقه وتكمل بهجته في ربيع شبابه، فأدب الدولة الوسطى جاءنا كالشعر العربي الجاهلي محكم النسج، راقي المعنى، تام النمو؛ فلا بد أنه بدأ مثله بمحاولات ناقصة، أخذت ترقى وتتم على مر الزمان. وإذا عرفنا أن عهد الدولة القديمة بين الأسرة الرابعة والسادسة عهد ازدهار في العلم والفن، من رياضة، وطب، وعمارة، ونحت، وتلوين؛ ما تردَّدنا في أن نقطع بأنه كان للأدب أيضًا في عهد الدولة القديمة شأن؛ لأنه فن، ولما بين

الفنون من تجاوبٍ وصِلَةٍ مرجعهما نضج العقل والذوق، ومما يقوي صحة هذه النتيجة أن المصريين أنفسهم في عهد الدولة الوسطى كانوا ينسبون ما اشتهر من حِكَمهم وأمثالهم إلى حكماء الأسرة الخامسة.

ولا مراء في أن الأدب التعليمي الذي وصل إلى ذروته عقب انقضاء عهد الدولة القديمة قد أثَّر تأثيرًا عظيمًا في خلق القصة القصيرة، وترى علامة ذلك في القصص الثلاث الأولى التي سندرسها في هذا الفصل، وهي: قصة «الغريق» وقد حُكِيت بطريقة سهلة ولغة عذبة، وقصة «سنوهيت» وقد خلق الكاتب لحوادثها جوًّا وقعت فيه، ونقل القارئ إليه، ولغتها عالية دخلت فيها بعض الصناعة اللفظية، وقصة «الفلاح الفصيح» وهي في مجموعها قطعة من الأدب الراقي المتكلف في كثير من نواحيه، وتشبه في صناعتها مقامات الحريري، وقد ابتدأها كاتبها بوصف البيئة التي وقعت فيها.

وبعد عهد الدولة الوسطى نرى ركودًا في فن القصة، وربما ننقض هذا الرأي في المستقبل إذا جاد جوف الأرض بما يثبت عكسه، ولكنه لم يمت جملة، فإنه ظهر في عهد الدولة الحديثة سلسلة من القصص بعضها تاريخي، وبعضها خرافي محض، ولكنها بسيطة في موضوعها، ويظهر أنها كانت تُعَدُّ لتُلقَى في قصور الملوك للتسرية عنهم في أوقات الفراغ، وربما كان الغرض منها مجرد الدعاية كما ترى في قصة «الملك خوفو والسحرة»، أو لإظهار الحق في ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمال عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة، وتنتهي بهذه النتيجة. وقد كُتِبت كلها باللغة المصرية الحديثة أو لغة العامة، وكانت اللغة المستعملة وقتئذٍ.

ولا نريد أن نتعجل الحكم على هذه القصص الآن، بل سنتناول الكلام على كل واحدة منها، وطريقتنا في ذلك هي أن نورد ملخص القصة بلغة سهلة، ثم نتناولها بالنقد والتحليل، وفي النهاية نورد المتن المصري الأصلي كما هو مُترجَم ترجمة دقيقة حسب التعابير المصرية الأصلية، وغرضنا من ذلك أن يقف القارئ الحديث على الأساليب المصرية القديمة بدون إدخال أيَّة محسِّنات لفظية عليها، أو تعابير عربية تقابل التعابير المصرية، وهذه الطريقة هي التي سار على نهجها كل علماء الآثار عند نقل أي متن من اللغة المصرية إلى لغة أوروبية، ولا غرابة فإن نفس هذه الطريقة هي التي اتُّبِعَتْ في ترجمة التوراة.

(١) قصص الدولة الوسطى

(١-١) قصة سنوهيت

أُلِّفت هذه القصة الطريفة في أوائل الأسرة الثانية عشرة حوالي سنة ٢٠٠٠ق.م، وقد ذاع صيتها ولقيت رواجًا عظيمًا، وظلت تُنسَخ وتُقرَأ نحو ٥٠٠ سنة في المدارس المصرية.

(أ) ملخص القصة

روى «سنوهيت» هذه القصة بصيغة المتحدث عن نفسه، وملخصها: أنه كان عائدًا من غزو ضد اللوبيين بقيادة ولي العهد «سنوسرت الأول»، فحدث في تلك الأثناء أن مات الملك «أمنمحات» الأول، ونعاه الناعي إلى «سنوسرت» فترك الجيش، وخفَّ مسرعًا إلى العاصمة ليطمئن إلى عرشه الذي آلَ إليه، ولكن أمر الوفاة كان قد ذاع بين الأمراء المرافقين للحملة، وسمع به «سنوهيت» خلسة، فما كان منه إلا أن فرَّ هاربًا إلى سوريا لأسباب غامضة لم يستطع هو أن يجد لها تعليلًا مقبولًا، وقد أحسن استقباله هناك أحد رؤساء القبائل، وزوَّجه؛ فأصبح رب أسرة، وصارَعَ أحد رؤساء العشائر السورية المعادية فصرعه وجدَّ له، وبعد فترة طويلة عاوده الحنين إلى وطنه، وتاقت نفسه للرجوع إلى مصر ليكون في خدمة مولاه الملك الذي ظلَّ مخلصًا له طول حياته، وليلقى ربه، ويُدفَن في البلد الذي وُلِد فيه وترعرع، ولما سمع الملك بآلامه وأحلامه عفا عنه، وأعاده إلى منصبه في الحكومة، وسمح له أن يعود إلى وطنه معزَّزًا مكرَّمًا ليقضي ما بقي له من أيام تحت سمائه.

(ب) دراسة القصة

يرى الأستاذ «جاردنر» الذي ترجم هذه القصة وعني بدرسها، أنها تُعَدُّ من روائع القطع التي تدل على المهارة الأدبية، ورقة التعبير عن الأحاسيس الإنسانية.

ونرى أن هذه القصة قطعة من الأدب الكلاسيكي؛ لأنها تجلو لنا مرحلة من تاريخ الأدب العالمي، ولأنها تفصح لنا عن الخلق المصري القديم، وتبديه لنا في مظهر يجمع بين السذاجة والمكر، ونفاذ البصيرة، والشعور بالعظمة، والبراعة في النكتة. ولا شك أن علماء الآثار المصرية القديمة الذين اتسعت آفاقهم العلمية يجدون متاعًا ولذة في التقلبات التي

مرت «بسنوهيت» في مغامراته، كما أنهم يعجبون بمراحل القصة المختلفة من وصف للملك المسن، وتصوُّر لهرب «سنوهيت»، والتعبير عن مخاوفه من الصحراء، وإطراء كرم قبائل البدو، ومديح «سنوسرت» الأول بلغة شعرية جميلة، وإلباس المبارزة التي تمت بينه وبين الرجل السوري القوي ثوبًا تلمح فيه جو التوراة، وإظهار حنين «سنوهيت» إلى وطنه المحبوب مصر في صورة صادقة للخلق المصري الذي يعتزُّ دائمًا بوطنه، ويملأ الحنين إليه فراغ قلبه، ويأتي بعد ذلك كتاب العفو من الفرعون يمثِّل أسلوب الملوك الأرستقراطي، كما يمثِّل عطف الملوك على المخلص من رعاياهم، وعفوهم عمَّن تثبت توبته، ويسبق صالح عمله، وإنعامهم عليه بما يُعلِي قدره، ويثلج صدره، كما يبدو ذلك من التأكيد الوارد بكتاب الفرعون عن موضوع شعائر الدفن التي كانت تشغل كل مصري أثناء حياته. أما رد «سنوهيت» على هذا الكتاب فكان جامعًا لمظاهر الفزع العظيم من الملك القوي، ومشاهد الملق المصطنع المتكلَّف الذي يضعه بين يدي الملك؛ ليستل بذلك سخيمته ويضمن به رضاه.

ومن الصور الحية الناطقة في القصة تلك التي رسمها «سنوهيت» بألفاظ، يصف استقباله في بلاط الملك حتى كأنك حاضر بجسمك في قصر الفرعون منذ أربعة آلاف عام تشاهد «سنوهيت» وقد قيَّد الفزعُ حركاته، فهو يلقي بنفسه عند قدمي الفرعون طالبًا الغفران، كما تلمس قلب الفرعون وهو يضفي عطفه على مولاه المغبر الملابس، ويقدمه للملكة، وتكاد تسمع صوت الملكة وهي تصيح صيحة الدهشة والغرابة مما ترى، وكأني بك بعد ذلك تتبع أقدام الأميرات الصغيرات في رقصهن، وتؤخذ بروعة شدوهن، وتشاركهن عواطفهن عندما يطلبن العفو عن هذا المحارب الغريب.

أما ختام القصة فوصف مألوف لعهد الشيخوخة الذي قضاه صاحبه في نعيم مقيم، ومقام كريم، وهو يشعرنا بالجانب المادي الذي يميل إليه المصري ميلًا شديدًا، والذي كان شعار الحضارة المصرية القديمة.

وبعدُ، فإذا كنَّا ننادي الآن بوجوب تمصير القصة في الأدب العربي، فإن المصريين القدماء قد سبقونا إلى تمصيرها بمثل قصة «سنوهيت»، الذي كان دافعه الأكبر في الرجوع إلى مصر، وترك ما كان فيه من عز وسيطرة، أن يُدفَن في بلاده كعادة المصريين، ومما نراه في جانبها أنها درس نفسي عظيم، ومما نأخذه عليها ظهور الصناعة في الصياغة والأسلوب، وإن كان ذلك يدلنا على أن الأدب المصري قد تخطَّى دوره الإنشائي الأول،

فإنه من ناحية أخرى نذير بالتكلُّف الذي يؤدي إلى انحطاط الأسلوب. هذا وليست نقطة الجاذبية عند القارئ المصري القديم في وقائع القصة التي يمكننا تلخيصها في بعض جمل، بل في تعبيراتها الجذابة التي تستهوي لبه، وتجعله يعكف على قراءتها بلذة وشغف.

(ج) المصادر

(١) أحدث ما كُتِب عن هذه القصة دراسة الأستاذ «جاردنر» A. H. Gardiner, Notes on the Story of Sinuhe, Paris 1915. وفي هذا المؤلَّف يجد القارئ كل المراجع التي يحتاج إليها في درس هذه القصة.

(٢) تكلَّمَ الأستاذ «بيت» عن هذه القصة في كتابه: A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 33 ff.

(٣) كتب عنها وترجمها الأستاذ «إرمان» في كتابه الأدب المصري القديم. Erman: Die Liltratur Der Aegypter. (translated) by Blackman. The Literature of The Ancient Egyptians P. 14 ff.

(٤) انظر ملاحظات عن الترجمة في مجلة الآثار المصرية: Journal of Egyptian Archeology Vol. XXII P. 35 ff.

(٥) انظر ماسبرو: Popular Stories of Ancient Egypt. London 1915 P. 68 ff.

وفي هذا الكتاب يجد القارئ بحثًا مستفيضًا عن المصادر والنسخ التي عثر عليها مستعمَلَة في عهد الدولة الحديثة.

(٦) انظر كذلك كتاب ماكس بيبر عن الأدب المصري القديم: Die Agyptische Lit-eratur Von Dr Max Pieper P. 38 ff.

(د) متن القصة

الأمير الوراثي، والباشا، ومدير ضياع الملك في بلاد الآسيويين، والسمير الوحيد للملك، والمحبَّب إليه القاب «سنوهيت»، الخادم «سنوهيت» يقول: كنتُ خادمًا يتبع سيده، وخادم

نساء الملك يخدم الأميرة، صاحبة الثناء العظيم، زوجة «سنوسرت» الملكية في بلدة الهرم المسماة «خنم-أسوت»، والابنة الملكية «لأمنمحات» في بلد الأهرام «كانفرو» المسمَّاة «نفرو» المحترمة.

واتفق أنه في السنة الثلاثين، في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان، دخل الإله أفقه[١] — مات.

فطار الملك «أمنمحات» إلى السماء، واتحد مع قرص الشمس، وامتزج جسم الإله بجسم خالقه،[٢] وعندئذٍ صمت القصر، وامتلأت القلوب حزنًا، وأُغلِق البابان العظيمان،[٣] وجلس رجال القصر ورءوسهم على ركبهم، وحزن القوم.

وكان قد أرسل جلالته جيشًا إلى أرض «التمحو»[٤] وكان بكر أولاده «سنوسرت» الطيب ضابطًا فيه، وقد كان في هذه الأثناء عائدًا بعد أن استولى على أسرى من «التحنو»،[٥] وكل أنواع الماشية التي يخطئها العد.

وأرسل أمناء القصر إلى حدود غرب «الدلتا» ليخبروا ابن الملك بالحادث الذي وقع في البلاط، وقد قابَلَه الرسل في الطريق ولحقوا به عند الغروب، فلم يتأخر طرفة عين؛ إذ طار الصقر[٦] مع خادمه، ولم يعلم بذلك الجيش، ورغم ذلك فقد أُرسِلت رسالة[٧] إلى أولاد الملك الذين كانوا معه في الجيش وطلب واحد منهم. وتأمل! لقد وقفت وسمعت صوته حينما تكلَّمَ؛[٨] إذ كنت عن كثب.

---

[١] ما ترجمته — حسب الاستعمال — «بالأفق» كان في الحالة الأولى مسكن إله الشمس في السماء، ثم استُعْمِلَ للأمكنة التي تشرق منها الشمس وتغرب فيها، ولما كان الملك هو ممثِّل إله الشمس، فإن قصره وقبره كان كلٌّ منهما يُسمَّى «الأفق»، والمقصود هنا هو القبر.

[٢] يسبح إلى السماء، ويصير ثانية جزءًا من الشمس التي خرج منها.

[٣] عند مدخل القصر.

[٤] قوم من اللوبيين في غربي الدلتا، كانوا ينهبونها بانتظام.

[٥] قوم آخَرون من اللوبيين.

[٦] الملك الجديد «سنوسرت الأول».

[٧] أي من حزب آخَر؛ إذ كانت هناك مؤامرة لوضع ملك آخَر يناهض «سنوسرت»، وقد مَرَّ «سنوهيت» على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح.

[٨] من المحتمل أنه الأمير الذي «طلب».

وعندئذٍ كان قلبي يتحرق، وخارت ذراعاي، واستولت الرعدة على جميع أعضائي،[٩] فقفزت باحثًا عن مكان أختبئ فيه، فوضعت نفسي بين أيكتين لأفسح الطريق للمسافر فيها.[١٠]

ثم سرت نحو الجنوب، ولم يكن غرضي الوصول إلى مقر الملك؛ لأني فكرت أن الشجار قد يقوم هناك، ولم يكن يهمني أن أعيش بعده، وعبرت ماء «موتى»[١١] القريب من «الجميزة»،[١٢] ووصلت إلى جزيرة «سنفرو»،[١٣] ومكثتُ هناك في الحقول المكشوفة، ثم أخذتُ في السير مبكرًا، وعندما طلع النهار، وقابلتُ رجلًا اعترضني في طريقي، وقد أظهر الرعب مني وخاف، ولما جاء وقت العشاء كنتُ قد اقتربتُ من بلدة «جو»،[١٤] فعبرت في معبر[١٥] بدون سكان، وبمساعدة نسيم ريح الغرب، ومررت إلى الشرق من المحجر الذي في إقليم «سيدة الجبل الأحمر»،[١٦] ثم أسلمت الطريق إلى قدمي متَّجِهًا نحو الشمال، ووصلت «جدار الأمير»[١٧] الذي كان قد أُقِيم لصد الآسيويين والقضاء على سكان الصحراء، وقد أخبأت نفسي في خميلة؛ خوفًا من أن يراني الحارس الذي كان رابضًا فوق الجدار ليل نهار.

وقد استأنفت السير ليلًا، ولما طلع فجر النهار وصلت إلى «بتن» ووقفت عند جزيرة «قمور»،[١٨] وهنا أُغمي عليَّ حتى سقطت من الظمأ، وكنت صاديًا، وحنجرتي تحترق،

---

[٩] ربما كان الشيء الذي أزعج «سنوهيت» هو الخوف من الحرب الداخلية، ومع ذلك لا بد أنه كان لديه أسباب أخرى جعلته يخاف، وقد أخفاها فيما بعدُ بأعذار.

[١٠] أي لأكون بعيدًا عن الطريق المطروق.

[١١] مكان غير معروف.

[١٢] مكان غير معروف.

[١٣] مكان غير معروف.

[١٤] مكان غير معروف، لعله في منطقة القاهرة، ومعناه «بلد الثور».

[١٥] يقصد هنا سفينة عريضة كالتي كانت تُستخدَم في نقل الحجر، وقد وجدها راسية على طول الشاطئ.

[١٦] جبل شرقي القاهرة، يوجد فيه الحجر الرملي الأحمر الذي كان المصريون مغرَمين بعمل تماثيلهم منه، وهو لا يزال يُسمَّى إلى الآن الجبل الأحمر، وهذه المحاجر لا تزال مستعمَلَة، والآلهة التي تُعبَد هناك تُسمَّى سيدة الجبل الأحمر.

[١٧] اسم استحكام يُذكَر كثيرًا، والغرض منه صد البدو.

[١٨] اسم البحيرات التي على برزخ السويس.

وقلت: «هذا هو طعم الموت.» ولكني رفعت قلبي، وجمعت أعضائي؛ لأني سمعت صوت ثغاء الماشية وخوارها، ورأيت بدوًا، وقد عرفني الشيخ[١٩] الذي كان بينهم، وقد كان فيما مضى في مصر، فقدَّمَ إليَّ ماءً، كما كان يعطيني لبنًا، وذهبت معه إلى قبيلته، وقد عاملوني بشفقة.

ثم أسلمتني أرضٌ إلى أرضٍ[٢٠] ثم استأنفت السير إلى «جبيل»، وتابعت السير إلى «قدمي»، وقضيت هناك نصف عام، ثم أخذني «ننشي» بن «آمو» أمير «رتنو العليا»[٢١] وقال لي: «إن حالك معي سيكون حسنًا؛ لأنك تسمع هنا كلام مصر.» وقال لي هذا لأنه عرف صفاتي، وسمع بحكمتي، وقد شهد لي المصريون الذين كانوا معه هناك.

وقال لي: «لماذا أتيت إلى هنا؟ هل حدث شيء في مقر الملك؟» فقلت له: «إن الملك «سحتب أبرع»[٢٢] قد ذهب إلى الأفق، ولا يعرف أحد ماذا تم في هذا الأمر.» وقلت ثانيًا متعاميًا: «إني أتيت من حملة أرض «التمحو»، وقد أخبرت الخبر فارتعدَتْ فرائصي، ولم يَعُدْ قلبي يستقر في جسمي، وقد أقصاني على طريق القفار، مع أنه لم ينم عليَّ أحد، ولم يبصق في وجهي إنسان، ولم أسمع كلمة قذف، ولم يسمع اسمي في فم المنادي،[٢٣] ولا أعرف ماذا أتى بي إلى هذه الأرض، فكأنه القضاء والقدر.»[٢٤] وعندئذٍ قال لي: «وكيف يكون حال تلك البلاد من بعده، ذلك الإله المحسن، الذي كان مُهَابًا في كل الأراضي مثل «سخمت»[٢٥] في عام وباء؟» ولكني قلت له مجيبًا إياه: «في الحق إن ابنه قد دخل القصر وأخذ إرث أبيه، وهو الإله المنقطع القرين الذي لا يفوقه أحد، وإنه رب الحزم المتفوق في

[١٩] حينئذٍ كان «سنوهيت» شخصية عالية يعرفها كل واحد في مصر.

[٢٠] أي انتقلت من بلد إلى بلد، ونلاحظ أن الشاعر لم يُتعِب القارئ بذكر البلاد التي مرَّ بها «سنوهيت»، والتي لم يكن هو نفسه يعرفها طبعًا، وقد ذكر «جبيل» الميناء المعروف عند سفح جبل لبنان، والذي كان يجلب المصريون منه الخشب، كذلك ذكر «قدمي» التي يحتمل أن تكون واقعة في الشرق من «جبيل».

[٢١] هي ما تسميته الآن فلسطين.

[٢٢] اللقب الرسمي للملك المتوفى، أي «أمنمحات» الأول.

[٢٣] يؤكِّد بذلك أنه لم تُوجَّه إليه تهمة.

[٢٤] أي إن قوة خارقة للعادة تدخَّلتْ.

[٢٥] الإلهة المرعبة التي لها رأس أسد، وتُعتبَر إلهة الحرب والقوة.

النصيحة، والحازم في إعطاء الأوامر، والرواح[٢٦] والغدو تحت إرادته، وهو الذي أخضع الأراضي الأجنبية، في حين كان والده جالسًا في القصر ليتلقَّى أن ما قد أمر به قد نفذ.

وإنه القوي الذي يحرز «النصرَ» بساعده القوي، البطل الذي لا نظير له عندما يُشاهَد منقضًّا على العدو، أو مقتربًا من حَوْمَةِ الوغى، وهو الذي يثني القرون[٢٧] ويضعف الأيدي، وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم.

وإنه لمنتقم، محطِّم للجباه، ولا أحد يجسر على الوقوف بجواره.

وهو الواسع الخطى، المهلك للهارب، ولا نهاية لَمَن يولي ظهره له (أي إن الهارب لا يصل إلى غايته سالمًا).

شجاع القلب عندما يرى الجموع، ولا يسمح لقلبه بأية راحة.

الجسور عندما ينقضُّ على الشرقيين، وسروره أن يأسر «الربدتو» — العدو (؟).

وهو يقبض على درعه، ويدوس تحت القدم «العدو»، ولا يعيد ضربته ليقتل (أي لا يضرب إلا ضربة واحدة قاتلة).

وليس هناك مَن حوَّل سهمه «عن هدفه»، وليس هناك مَن حنى قوسه «لصلابته».

و«شعب الأقواس» يهرب أمامه كما يهرب أمام قوة «الآلهة العظيمة».[٢٨]

وهو يحارب بدون نهاية، وهو لا يبقي ولا يذر.

وهو رب الرشاقة، غني في عذوبة، وبالمحبة قد تغلَّبَ «على قلوب الناس».

ومدينته تحبه أكثر من نفسها، وهي تبتهج به أكثر من إلهها.

والرجال والنساء يمرون أمام قصره[٢٩] فرحين به.

وهو ملك قد فتح وهو لا يزال في البيضة (أي طفلًا) وقد كانت وجهته أن يكون ملكًا منذ ولادته.

وهو الذي يكثر عدد مَن وُلِدوا معه،[٣٠] وهو نسيج وحده، ومنحة من الله.

وإن تلك الأرض التي يحكمها تبتهج به، فهو الذي يمد الحدود.

---

[٢٦] من مصر إلى الحرب.

[٢٧] قرن العدو الذي يشبه بالثور في قوته (كناية عن البطش والغلبة).

[٢٨] الصل الذي على جبهة إله الشمس، وهو الذي يحرق الأعداء إذا أرادوا الاقتراب من الملك.

[٢٩] ليؤدوا له الاحترام.

[٣٠] أي يزداد عدد الناس تحت حكمه.

وسيفتح الأراضي الجنوبية، ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضي الشمالية.

ومع ذلك فقد خُلِق ليضرب «على أيدي» البدو، ويحطِّم سكان الرمال.

أرسل إليه، دعه يعرف اسمك، ولا تنطقنَّ بلعنة ضد جلالته، وهو لا يفوته أن يعمل خيرًا إلى أرض ستكون مسالمة له.»

ثم قال لي: «حقًّا إن مصر سعيدة؛ لأنها تعرف أنه[٣١] يفلح «في حكمه»، ولكن تأمَّلْ! إنك هنا وستسكن معي، وسأعاملك بشفقة.»

وقد جعلني على رأس أولاده، وزوَّجَني من كبرى بناته، وقد جعلني أختار لنفسي من بلاده أحسن ما في حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى، وقد كانت أرضًا جميلة تُسمَّى «ياء»، وكان فيها التين والكروم، ونبيذها أكثر من مائها، شهدها غزير، وزيتونها كثير، وكل الفاكهة محملة على أشجارها، وكان فيها الشعير والقمح، وماشية يخطئها العد من كل نوع، وكذلك كان نصيبي عظيمًا بسبب ما نلت من الحب[٣٢] (حب الناس). وقد نصبني حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده، وقد كان يضع لي الخبز لأكلي اليومي، والخمر لشرابي اليومي، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوي، هذا فضلًا عن صيد الصحراء؛ لأن ذلك كان القوم يصطادونه، ويضعونه أمامي خلافًا لصيد كلابي، وكان يضع لي كثيرًا من الحلوى، ويحضر اللبن بكل الأشكال.

وقد قضيت سنين عدة، وقد نما أولادي، وأصبحوا رجالًا أشداء كلٌّ يحكم قبيلته، والرسول الذي كان يأتي من قِبَل مقر الملك شمالًا أو جنوبًا، كان ينزل عندي، وقد أعطيت ماءً للظمآن، وهديتُ إلى الطريق مَن كان ضالًّا، وخلصت مَن كان قد نهب، ولما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة، ويقاومون رؤساء الصحاري كبحت جماحهم؛[٣٣] وذلك لأن أمير فلسطين قد جعلني عدة أعوام رئيس جيشه، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها، ونهبت ماشيتها، وأسرت أهلها، وحملت طعامهم، وذبحت القوم فيها بساعدي القوي، وبقوسي وهجماتي وتدابيري الحسنة، وقد حزت بذلك الحظوة لديه، وأحبني، وقد جعلني على رأس أولاده عندما شاهَدَ كيف تتفوق يداي.

---

[٣١] أي الملك الجديد، نلاحظ أن الأمير المتوحش لم يحاول منافسة «سنوهيت» في نشيده في المدح والعظة، بل يجيبه بأسلوب نثري جاف.

[٣٢] الهدايا التي قُدِّمَتْ إليه باعتباره رئيس القبيلة.

[٣٣] قد يعني أنه قاد حملات الأمير الحربية.

وقد جاء رجل قوي من فلسطين ليبارزني في معسكري، وقد كان بطلًا منقطع النظير، أخضع كل فلسطين، وقد أقسم أن يحاربني، وقد دبَّر سرقتي، وتآمَرَ على أن يأخذ ماشيتي غنيمةً بمشورة قبيلته، وقد تكلَّمَ معي هذا الأمير فقلت له: أنا لا أعرفه، وفي الحقيقة لست محالفًا له، ولا من الأفراد الذين حاموا معسكره، ومع ذلك هل فتحت بابه قطُّ أو اخترقت سياجه؟ كلا، إن ذلك حقد؛ لأنه يرى أني أنفذ أوامرك، والحق أني كثور الماشية في وسط قطيع غريب، وثور الأبقار يهاجمه، والثور صاحب القرن الطويل ينطحه؛ وهل يوجد رجل خامل الذكر يكون محبوبًا في منزله سيدًا؟ وليس هناك بدوى يحالف رجلًا من الدلتا؛ إذ ما الشيء الذي يمكن أن يربط البردية بالصخرة؟ هل يحب الثور النزال، ويريد من ثور أقوى منه أن يعلن تقهقره؛ خوفًا من أنه ربما كان مضارعًا له في القوة؟! فإذا كان قلبه مصمِّمًا على الحرب فدعه ينطق بإرادته. وهل الإله يعلم ما قُدِّرَ له، أو هل يعرف هو كيف يكون المصير؟[٣٤]

وفي وقت الليل شددت قوسي، وفوقت سهامي،[٣٥] وأرهفت خنجري، وصقلت أسلحتي، وعند الفجر كانت فلسطين قد جاءت؛ إذ إنها أثارت قبائلها، وحشدت نصف ممالكها، وهيَّأت هذا النزال، وقد برز إلى المكان الذي كنتُ أقف فيه، وقد وقفت بالقرب منه، وكان كل قلب يحترق من أجلي، ولغط النساء والرجال، وكان كل قلب مكلومًا بسببي، وقالوا: «هل هناك رجل آخَر شديد يستطيع منازلته؟»[٣٦]

ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حرابه عندما تفاديت سلاحه، وجعلت سهمه يمر بي طائشًا، ولَمَّا اقترب كلٌّ منَّا من الآخَر هاجمني، وأرسلت سهمي عليه فلصق بعنقه، فصاح وسقط على أنفه، وألقيته أرضًا بفأسه، وصحت صيحة النصر على رقبته، وصاح كل آسيوي، وقدمت الثناء «لمنتو»[٣٧] قربانًا، وحزن له أتباعه، أما هذا الأمير «ننشي» بن «آمو» فضمَّني إلى صدره.

---

[٣٤] يحتمل أن المعنى: النتيجة موكولة إلى القدر.

[٣٥] على سبيل التجربة.

[٣٦] يقصد بذلك خصم «سنوهيت».

[٣٧] إله الحرب.

وبعد ذلك أخذتُ متاعه، وأتلفت ماشيته، وما قد دبَّره من النكاية بي جعلته يحيق به، واستوليت على كل ما في خيمته، ونهبت معسكره، وقد أصبحت عظيمًا بهذا، واسعًا في ثروتي، غزيرًا في قطعاني.

وقد فعل الإله[٣٨] «ذلك»؛ رحمةً بفرد غضب عليه، وجعله يفر إلى أرض أخرى، واليوم أصبح قلبه فرحًا ثانية.

كنت فارًّا هرب في وقته
والآن يكتب التقرير عني في مقر المليك
وكنت ثقيلًا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جاري
وكنت رجلًا ترك بلاده بسبب العري
والآن أرتدي الملابس البيضاء والكتان
وكنت رجلًا أُسرِع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العبيد بكثرة
بيتي جميل، ومحل إقامتي رحب
وإني أُذكَر في القصر الملكي.

وأنت يأيها الإله، أيًّا كنتَ، الذي أمرتَ بهذا الهرب، كُنْ رحيمًا وأعدني ثانية إلى مقر الملك، وربما تسمح لي أن أرى المكان الذي يسكن فيه قلبي، والأمر الذي هو أهم من ذلك أن تدفن جثتي في الأرض التي وُلِدت فيها، تعالَ لمساعدتي. ولقد وقع حادث سعيد، لقد جعلت الإله يرحمني، وليته يرحمني ثانية؛ حتى تحسن خاتمة مَن قد عذَّبه، وقلبه رحيم يحن لَمن حتم عليه أن يعيش في الخارج، وإذا كان رحيمًا بي اليوم فليته يصغي إلى دعوات فرد ناءٍ، وليته يعيد مَن قد نكبه إلى المكان الذي أخذ منه.

آه ليت ملك مصر يرحمني حتى أحيا برحمته، وليتني أسأل سيدة الأرض التي في قصره عن إرادتها، وليتني أسمع أوامر أولادها.

آه ليت جسمي يعود إلى الشباب ثانية؛ لأن كبر السن قد نزل بي، واستولى عليَّ الضعف، وعيناي ثقيلتان، وذراعاي ضعيفتان، وساقاي قد وقفتا عن السير، وقلبي

[٣٨] ربما يقصد بذلك الملك الذي يعزو إليه «سنوهيت» تفوُّقه في هذا النزال.

متعب، والموت يقترب مني، حينما سأحمل إلى مدن الأبدية[٣٩] دعني أخدم سيدتي الملكة، وليتها تتحدَّث إليَّ عن جمال أطفالها، وليتها تخلع عليَّ «قبرًا» للأبدية.[٤٠]

واتفق أن جلالة الملك «خبركارع»[٤١] قد حُدِّث عن الحالة التي كنتُ عليها،[٤٢] وعلى ذلك أرسل إليَّ جلالته هدايا من الفيض الملكي لينشرح صدر الخادم هناك،[٤٣] كأنه أمير بلد أجنبي، وكذلك أولاد الملك في القصر جعلوني أسمع أوامرهم.[٤٤]

صورة من القرار الملكي الذي أُحضِر إلى الخادم المتواضع خاصًّا بعودته إلى مصر

«حور»، حياة المواليد الممثل للآلهتين حياة المواليد، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خبركارع» بن «رع»، «سنوسرت»، الحي إلى أبد الآبدين.[٤٥]

قرار ملكي إلى التابع «سنوهيت»

انظر، إن قرار الملك هذا قد أُحضِر إليك ليُعلِمك بما هو آتٍ: «لقد اخترقت الأراضي الأجنبية، وخرجت من «كدمى» إلى فلسطين، وقد أسلمَتْكَ أرض إلى أرض، وذلك بمشورة قلبك، فما الذي فعلته حتى يبرم شيء ضدك؟ إنك لم تلعن حتى تعنف على كلامك، ولم تتكلم في محفل الحكام حتى يُلعَن حديثك، وهذا العزم «على الفرار» قد ملك عليك قلبك أنت، ولم يكن في قلبي شيء ضدك «عن هذا الهرب»، ولكن سماءك هذه[٤٦] التي في القصر لا تزال تسكن وتفلح

---

[٣٩] المقابر في مصر.

[٤٠] أي ليت سيدته القديمة الملكة «نفرو» تأخذه ثانية في خدمتها، أو تمنحه قبرًا بجوار قبرها.

[٤١] اللقب الرسمي لسنوسرت الأول.

[٤٢] إن الفرد الذي قام بهذه المفاوضات قد تُرِك عمدًا دون أن يُذكَر، وقد سبق ذِكْر مرور الرسل «بسنوهيت» وإكرام وفادتهم.

[٤٣] التعبير المؤدَّب عن «أنا».

[٤٤] أي كتبوا إليَّ أيضًا.

[٤٥] الألقاب الرسمية، وقد وضع أول القرار في صورة رسمية.

[٤٦] الملكة — وتشبه بالإلهة توت التي تمثل بالسماء.

اليوم، ولها نصيبها في ملك الأرض وأولادها في البلاط، وليتك تعيش طويلًا على الأشياء الطيبة التي سيعطونك إياها،[٤٧] وليتك تحيا على فيضهم.

تعالَ ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذي تموت فيه، وتقبل الأرض عند البابين العظيمين، وتنال نصيبك بين رجال القصر.

وذلك لأنك قد أخذتَ فعلًا تتقدَّم اليوم في السن، وقد ضيعت شبابك، فكِّرْ في يوم الدفن، والمرور إلى دار النعيم![٤٨] وكيف سيخصص الليل لك بالعطور والأكفان من يد «تايت»،[٤٩] وسيُقَام لك محفل جنازي يوم الدفن، وسيكون غطاء المومية من الذهب، والرأس من اللازوَرد، وسيقام فوقك سماء،[٥٠] وستوضع زحافة،[٥١] وتجرك الثيران، ويمشي أمامك المغنون، ويقام أمامك رقص «مور» عند باب قبرك، وقائمة مائدة القربان ستُتلَى من أجلك، وتُذبَح الضحايا بالقرب من لوحتك، وعمدك[٥٢] تُصنع من الحجر الأبيض في وسط مقابر أولاد الملك، وعلى ذلك لن تموت في الخارج، ولن يدفنك الآسيويون، ولن توضع في جلد غنم عندما يُصنع لك قبرك، حقًّا كل هذه الأشياء ستسقط في الأرض، ولهذا يجب عليك أن تفكِّرَ في جثتك وتعود.

وقد وصلني هذا القرار الملكي عندما كنتُ واقفًا في وسط قبيلتي، وقد قُرِئَ عليَّ فانبطحت على بطني، ولمست التراب، ونثرته على شعري، ومشيت حول معسكري فرحًا قائلًا: «كيف تُفعَل أشياء مثل هذه لخادم قد أَضَلَّه قلبه، وقاده إلى أراضٍ متوحشة؟! نعم، إن ذلك الواحد المحسن الذي يخلصني من الموت طيب حقيقة، وإن[٥٣] حضرتك ستسمح لي بأن أختم نهاية حياتي في مقر الملك.»

---

[٤٧] الأغذية التي سيرسلونها إليك حينما تعيش مرة أخرى في البلاط.

[٤٨] أي مجيئه بين الموتى المحترمين، وفي الجمل التالية وصف للتحنيط والدفن، وهو من الأوصاف الفذة.

[٤٩] إلهة الغزل.

[٥٠] غطاء الزحافة التي تجر المتوفى، وكان يعمل أحيانًا على شكل السماء، وكان غطاء التابوت يُعتبَر رمزًا لإلهة السماء «نوت».

[٥١] كان المصريون في العهود الأولى يستعملون الزحافات لنقل الأثقال والجثث كذلك.

[٥٢] أي لوحة قبرك وعمده.

[٥٣] ترجمة للفظة «كا» التي كانت تشعر وتفطن.

صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكي

يقول خادم نساء القصر «سنوهيت» — في سلام غاية في الرقة — إنه من المحقَّق أن هذا الهرب الذي ارتكبه الخادم هناك «أنا» كان بدون تعقُّل، بحياتك أنت يأيها الإله الطيب يا رب الأرضين،[٥٤] المحبوب من «رع»، المثنى عليه من «منتو» رب «طيبة»، ليت «آمون» رب الكرنك، و«سبك»، و«رع»، و«حور»، و«حاتحور»، و«آتوم»، و«تاسوع الآلهة»، و«سبدو-نفربايو-سهرو» حور الشرقي،[٥٥] وسيدة «بوتو» الموضوعة فوق رأسك،[٥٦] وإلهة الماء، و«مين-حور»، الذي يوجد في البلاد الأجنبية، و«وررت» سيدة «بنت»، (بلاد الصومال) و«حرور-رع»، وكل آلهة مصر وجزر البحر؛[٥٧] ليتهم كلهم يمنحون أنفك الحياة، وليتهم يمنحونك هداياهم، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة، والخلود الأبدي.

والناس يتحدثون عن الخوف منك في السهل والحزن، وقد أخضعت كل ما تحيط به الشمس، وهذه الصلاة من الخادم هناك «أنا» إلى سيده لينجيه من الغرب،[٥٨] رب الفطنة الذي يفهم صغار الناس، قد أدركها في قصره المنيف[٥٩] والخادم هناك خاف أن يقولها؛ لأن ذلك أمر خطير أن يعيدها، وأنت أيها الإله العظيم الذي يماثل «رع» في إعطاء الفطنة لفرد يجاهد لنفسه، وخادمك هذا في يد ناصح طيب في مصلحته، وفي الحق إني قد أصبحت تحت إرشاده؛ لأن جلالتك «حور» المظفر، وساعداك قويان على كل البلاد.

---

[٥٤] التعبير العادي لمصر العليا والسفلى.

[٥٥] الآلهة الذين فَرَّ في أرضهم «سنوهيت».

[٥٦] الصل الملكي.

[٥٧] الجزائر اليونانية.

[٥٨] عالم الموتى.

[٥٩] أي إنك خمنت ما أريد، من غير أن أنطق به.

والآن فَلْتأمر جلالتك أن يحضر «مكي» من «كدمي»، «وخنتواش» من بلاد «خنتكش»، و«منوس» من أراضي «الفنخو»، وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم منسيون، وفلسطين ملكك كأنها كلابك.[٦٠]

أما من ناحية هذا الهرب الذي فعلته فلم أدبره، ولم يكن في قلبي، ولم أفهمه، ولم أعرف الشيء الذي أقصاني عن مكاني، وقد كان ذلك كحلم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على غفلة في «الفنتين»، أو رجل من المستنقعات في النوبة، ولم يكن هناك أي شيء أخافه، ولم يطاردني إنسان، ولم أسمع أي كلام معيب، واسمي لم يُسمَع في فم المنادي، وكل ما حدث أن جسمي أخذته الرعدة وبدأت قدماي تخوران، وقادني قلبي، والإله الذي أمر بهذا الهرب جرني بعيدًا، ومع ذلك لم أكن دعيًّا من قبلُ،[٦١] على أن الرجل الذي يعرف بلاده يخاف؛ لأن «رع» قد بث خوفك في كل الأرض، والرعب منك في كل البلاد الأجنبية، وسواء أكنت في مقر الملك أم في هذا المكان، فإنك أنت الذي في قدرتك أن تظلم ذلك الأفق،[٦٢] وتطلع الشمس بإرادتك، ومياه النهر تشرب حينما تريد، وهواء السماء يُستنشَق حينما تأمر.

وسيسلم خادمك مركز الوزارة الذي كنت أشغله في هذا المكان،[٦٣] ولكن دَعْ جلالتك تفعل ما تريد، فالناس يعيشون على النفس الذي تمنحه، ليت «رع» و«حور» و«وحاتحور» يحبون أنفك الرفيع[٦٤] الذي يريد «منتو» رب طيبة أن يبقى إلى الأبد.

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل، وقد سمح لي أن أمضي يومًا في «ياء»، وسلمت فيه متاعي إلى أولادي، فأصبح ابني الكبير المشرف على قبيلتي، وكل ما أملك أصبح في يده: عبيدي، وكل ماشيتي، وفاكهتي، وكل شجرة لذيذة أملكها.

---

[٦٠] يريد أن يظهر للملك أنه يعيش في بلاد موالية، وأن الأمراء المذكورين يشهدون بذلك، أما عن ولاء أرضه فلا حاجة به أن ينفق في سبيل ذلك الكلام سدى.

[٦١] أي لم أندفع في وقاحة زائدة.

[٦٢] قد يعني: أنك الذي في قدرتك أن تجعلنا نغوص في الليل.

[٦٣] فهو يعتبر نفسه كنائب الملك.

[٦٤] الأنف هو مركز الحياة.

ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب، ووقف عند «ممرات-حور»[٦٥] وأرسل القائد الذي كان مكلَّفًا بحراسة الحدود هناك رسالةً إلى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولي، فأرسل جلالته أحد رؤساء الصيد في القصر ممَّن يثق بهم ومعه سفن محمَّلة بالهدايا من الفيض الملكي، للبدو الذين أتوا معي ليقودوني إلى «ممرات-حور»، وقد ناديت كلًّا منهم باسمه.[٦٦]

وكان صنَّاع الجعة يعجنونها ويصبونها في حضرتي، وكان كل خادم منهمكًا في عمله، ثم أخذت في سياحتي إلى أن وصلت بلدة «فاتحة الأرضين»[٦٧] وعند انفلاق الصبح، أتوا ليطلبوني مبكرين جدًّا، وقد كان عشرة رجال يأتون، وعشرة رجال آخَرين يذهبون ليقودوني إلى القصر.

واستلمت الأرض بين تماثيل أبي الهول بجبهتي، ووقف أولاد الملك عند الباب، واستقبلوني، أما أمناء القصر الذين يقودون إلى القاعة فإنهم ذهبوا بي إلى الطريق المؤدية إلى الحجرة الخاصة، فوجدت جلالته على عرشه العظيم في مدخل من الذهب، فانبطحت على بطني، وذهب عني عقلي في حضرته، مع أن هذا الإله حيَّاني بفرح. وقد كنتُ كرجل أطبق عليه الظلام؛ إذ فرت روحي، وتزلزلت أعضائي، ولم يَعُدْ قلبي في جسمي، ولم أشعر إذا كنتُ حيًّا أو ميتًا.

وعندئذٍ قال جلالته لأحد هؤلاء الأمناء: «ارفعه ودعه يكلمني.» وقال جلالته: «انظر! لقد عدتَ بعد أن قطعت الصحاري، واخترقت الفيافي، والكبر قد تغلَّبَ عليك، وقد بلغت الشيخوخة، وإنه ليس بالأمر الهين أن يُدفَن جسمك في الأرض، دون أن يسير في مشهدك المتوحشون، ولكن لا تَبْقَ هكذا صامتًا باستمرار عندما ينطق باسمك.» ولكن في الحق خفت العقاب، وأجبت عن ذلك جواب الخائف: «ماذا يقول سيدي لي؟ ليت في مقدوري أن أجيب عليه، ولكن لا يمكنني. انظر! كأن ذلك يد الله؛ إذ إن الفزع الذي في جسمي كالفزع الذي سبب هذا الهرب الذي قُضِي به عليَّ. انظر إنني في حضرتك والحياة ملكك، وليت جلالتك تتصرف كما تريد.»

---

[٦٥] على حدود مصر، على الفرع البلوزي للنيل، ومنها كانت الجيوش المصرية تتحرك للغزو.

[٦٦] لكي يقدِّمهم إلى الموظفين المصريين.

[٦٧] اسم العاصمة وقتئذٍ، وهي تقع في موضع «اللشت» الحالية جنوبي «منف».

ثم أمر بدخول أولاد الملك، وقال جلالته للملكة: «انظري، هذا هو «سنوهيت» الذي عاد كآسيوي من نسل أهل البدو.» فصاحت صيحة عالية جدًّا، وكذلك صاح أولاد الملك معًا، وقالوا لجلالته: «حقًّا كأنه ليس هو يأيها الملك، يا سيدي.» فقال جلالته: «حقًّا إنه هو.» وبعد ذلك أحضرن معهن عقودهن ودفوفهن وصاجاتهن ورفعنها إلى جلالته[٦٨] قائلات: «لتكن يداك على الواحدة الجميلة، أيها الملك الخالد، على حلي «سيدة السماء»، ليت «الواحدة الذهبية»[٦٩] تمنح الحياة أنفك، و«سيدة النجوم»[٧٠] تضم نفسها إليك. دَعْ آلهة الوجه القبلي تنحدر مع النهر، وآلهة الوجه البحري تصعد مع النهر[٧١] متحدتين ومنضمتين في اسم جلالتك.[٧٢] ليت الصِّل يُوضَع على جبهتك، لقد خلصت رعاياك من الأذى. ليت «رع» يكون رحيمًا بك يا سيد الأرضين، مرحبًا بك وكذلك بملكتنا. أخرِجْ قرنك[٧٣] وانزعْ قوسك، وامنَحِ النفس مَن قد اختنق، وامنحنا هدية جميلة للعيد. هذا الشيخ ابن آلهة الشمال،[٧٤] البدوي المولود في مصر.

وقد هرب خوفًا منك، وترك الأرض رعبًا منك، ولكن الوجه الذي قد رأى جلالتك لن يصفرَّ بعدُ، وأما العين التي شاهدتك فلن تخاف.»[٧٥]

وعندئذٍ قال جلالته: «لن يخاف، ولن يرتاع؛ لأنه سيصير أمينًا في القصر بين الحكام، وسيُوضَع بين رجال الحاشية. اذهبوا إلى قاعة الزينة[٧٦] لتكونوا في خدمته.»

---

[٦٨] كانت الدفوف والصاجات التي تعزف بها النساء، وكذلك عقودهن الكبيرة، من خواص إلهتهن «حاتحور»، وإذا رفعنها لأي إنسان أثناء الرقص فإنهن يمنحنه بركة الإلهة. وما يلي عبارة عن الأغنية التي كن يتغنين بها مع العزف.

[٦٩] حاتحور.

[٧٠] حاتحور.

[٧١] أي إن تاج كلٍّ من الوجهين يملك الآخَر.

[٧٢] يعني أن كلًّا من الوجهين خاضع لك، ويصدع لأوامرك.

[٧٣] كان الملك يمثل كثور، وكان ينجي مَن يخترقه بقرنه.

[٧٤] هنا ينتسب «سنوهيت» إلى إلهة الشمال بصفته متوحشًا.

[٧٥] المعنى: أنه لا يزال خائفًا؛ لأنه لا يعرف طيبة جلالتك كما عرفناها.

[٧٦] قد يحتمل أن المقصود هو: أن يساعدوا «سنوهيت» في ملابسه الضرورية.

وبعد أن تركت الحجرة الخاصة، وقد صافحني أولاد الملك، ذهبنا إلى البابين العظيمين،[٧٧] وقد أسكنت في بيت ابن من أولاد الملك، وكان مزيَّنًا بثمين الأثاث، وكان فيه حمام وأشكال ملونة للأفق، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزانة، فكان فيه ملابس الكتان الملكي والبخور والزيت الثمين الخاص بالملك ورجال البلاط الذين يحبهم، وكان كل خادم في عمله، وقد أخذت السنون تذهب عن جسمي، وأزيلت لحيتي ورُجِّل شعري، وقد أُلقي في الصحراء حمل أوساخ، وأعطيت الملابس القذرة رجال الرمال.

وقد زُيِّنْتُ بأحسن ملابس الكتان، ودُلِّكت بأحسن الزيت، وفي الليل نمت على سرير، وتركت الرمال لِمَن هم فيها، وزيت الخشب لِمَن يدلِّك نفسه به.

وقد أهدي لي بيت حاكم مقاطعة كما يليق بسمير ملكي، وقد بناه كثير من الصناع، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة.

وكان يؤتى إليَّ بالطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات في اليوم، هذا فضلًا عن أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع في أي وقت.

وقد أُقِيم لي قبر من الحجر في وسط المقابر،[٧٨] والبنَّاءون الذين ينحتون المقابر قد وضعوا تصميمه، وكبير مهندسي العمارة بدأ في بنايته (؟)، وأخذ النقَّاشون ينقشونه، وأخذ مهرة النحاتين ينحتون فيه، أما رؤساء بنَّائي الجبانة فوجَّهوا عنايتهم له،[٧٩] وكل ما يحتاج إليه من لامع المتاع الذي يُوضَع في القبر[٨٠] قد مُدَّ به، وقد رتب لي كهنة جنازيون، وصُنِعت لي حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة لمأواي كما كان يُصنَع للسمير الأول للقصر، وقد رُصِّعَ تمثالي بالذهب[٨١] ومئزره كان من خالص النضار، وإن جلالته هو الذي أمر

---

[٧٧] أي خارج القصر.

[٧٨] كان أعضاء حاشية الملك يُدفَنون حول قبر مليكهم.

[٧٩] يقصد أن خيرة الصناع الذين في هرم الملك يعملون كذلك في قبر «سنوهيت».

[٨٠] القرابين الكثيرة التي يجب أن يشتمل عليها قبر مجهَّز بكل شيء.

[٨١] الذي نصب في القبر.

بصنعه، وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك، وقد تمتعت بعطف من الفيض الملكي إلى أن أتى يوم الممات.

«كُتِبت من البداية إلى النهاية كما وُجِدت مخطوطة.»

(١-٢) قصة الغريق

(أ) ملخص القصة

في يوم أرسل الملك أميرًا من أمراء الفنتين إلى أرض الإله — بلاد الصومال — ليحضر بعض النفائس، فلم يُوفَّق في مهمته فرجع خائبًا، ولاقى في طريقه أهوالًا عظيمة وصل بعدها إلى أرض الوطن سالمًا، ولكنه كان حزينًا يتوقَّع شرًّا مستطيرًا عند مقابلته لفرعون وإخباره بما مُنِي به من الفشل، وكان له تابع أمين أحزنه ما رآه على وجه متبوعه من الحزن والألم، فأراد أن يهدئ خاطره، ويخفِّف من آلامه، فذكر له «أنه كان مسافرًا على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الغنية بمعادنها، ليؤدي رسالة ملكية — ويظهر أن الأرض التي كان يقصدها هي سيناء — وحدث أن ثارت عاصفة هوجاء حطمت سفينته، وأرسلتها إلى قعر البحر، فغرق ركَّابها ولم ينجُ إلا ذلك التابع البحَّار؛ حيث حمله الموج على أجنحته إلى جزيرة رملية، فلما أفاق من غشيته رأى أمامه ثعبانًا هائلًا فكاد يطير قلبه شعاعًا، ولكن ذلك الثعبان الهائل حارس الجزيرة أحسن استقباله، وأخذ يطيب خاطره، ويسري عنه بذكر مجازفة حدثت له مثل مجازفة ذلك البحَّار، وانتهت بنجاته، ثم تنبَّأ له بأن سفينة مصرية ستمر بهذه الجزيرة، وستحمله إلى مصر سالمًا.» ويظهر أن هذه القصة، التي قصها التابع ليتأسى بها متبوعه ولتهدأ بسماعها نفسه، إذا ما رأى أن الأمور المحزنة قد تنتهي بخير وسلام؛ لم تُحدِث أثرَها المطلوب في نفس سامعها؛ إذ إن البحار ما كاد ينتهي من سردها حتى فاجأه ذلك الأمير بقوله: «إن قولك هذا كمَن يسقي طيرًا في الصباح المبكر ليذبحه بالنهار.» أي إنه مقضي عليه بالموت لا محالة، فلا فائدة من هذه المسكِّنات.

(ب) دراسة القصة

تُعَدُّ هذه القصة من القصص النادرة التي وصلت إلينا كاملة غير منقوصة؛ فقد جاء في نهايتها: «لقد كُتِبَ هذا الكتاب من البداية إلى النهاية.» على عادة الكتَّاب المصريين

إذا انتهوا من كتابة مقالة — شعرًا أو نثرًا — ذيَّلوها بهذه العبارة، فلم يُفقَد إذن من نهايتها شيء، كما أن بدايتها ليست مهشمة أو ممحوة، فالقصة على ما نعتقد كاملة، ولكنا لاحظنا أن استهلالها كان نسيجَ وحدِه، وليس له نظائر سابقة في القصص؛ فقد جاء فيه: «يقول خادم حاذق: كُنْ فرحًا أيها الأمير، لقد وصلنا إلى مقر الملك، وقد أُخِذت المطرقة، ودُقَّتْ أوتاد المرسى، وأُلقِيت الحبال على البر.» ولم تُذكَر المقدمة التي تشير إلى تكليفه من الفرعون بمهمة في الأقاليم الجنوبية وفشله فيها، مما اضطر معه إلى العودة لمصر متجشمًا الأهوال، ولكن تصورها بالصيغة التي أوردناها بها أمر محتمل راجح.

وليس من البعيد أن تكون هذه القصة واحدة من سلسلة قصص متصلة الحلقات لم تصل إلينا، فكان مع الأمير أتباع كثيرون؛ كل واحد منهم يقص قصة فيها تخفيف من آلام الأمير، وتسرية عن قلبه، وطمأنته من ناحية النتيجة التي يخشاها، على مثال قصة الملك خوفو والسحرة في العهد القديم، وقصة ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة في العصر الحديث.

وإذا قرنتها بقصة «الملك خوفو والسحرة» وجدتَ تشابهًا في موقف التابع وسرده حكايته، واختلافًا في أن الملك في قصة خوفو كان يريد تسلية نفسه، وطرد الهموم عنها، وفي قصتنا كان أتباع الأمير هم الذين يريدون ذلك؛ فيتناوبون سرد القصص لهذه الغاية.

وإذا صَحَّ أن قصة الغريق سلسلة من القصص كانت التي ذكرناها هنا آخرتها؛ بدليل وجود هذه العبارة التي سبق ذكرها، والتي تدل على نهاية المطاف: «لقد أُخِذت المطرقة، ودُقَّتْ أوتاد المرسى، وأُلقِيت الحبال على البر، وكان الثناء والحمد لله، وقد عانق كل فرد زميله.»

ونلاحظ أن الكاتب هنا قد خالَفَ ما تواضَعَ عليه القاصُّون القدماء من بدء قصصهم بجمل فعلية تدل على الاستمرار، ومن وضع عنوان لها مأخوذ من مقدمتها، كما نجد في قصة «الفلاح الفصيح»، وقد يكون عنوانها: «هذه هي قصة أمير الفنتين وتابعه» والكاتب تركه سهوًا.

وقصة الغريق بهذا الوضع الذي سبق تصويره لا يمكن أن تكون قصة للعامة؛ فهي قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمي إلى أهداف سامية، وتعبِّر عن عواطف مختلفة، فنرى القاصَّ يتألَّم لغرق سفينته بركَّابها، وعدم نجاة أحد سواه، ويتألَّم لوصوله إلى جزيرة لا إنسان فيها، ويعبِّر لنا عن خوفه وهلعه عند ظهور حاكم الجزيرة الروحاني — وهو ثعبان عظيم الجسم له رأس إنسان — واطمئنانه بعد أن حادَثَه ووجد منه عطفًا عليه، فالدمعة الأولى والابتسامة الأخيرة وردتا متتابعتين في عبارة موجزة، كما نرى

القاصَّ والثعبان قد تطارَحَا ما أصابهما في حياتهما، وجاءت على لسان الثعبان عظة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوع، وهي: «ما أشد فرح الإنسان الذي يقص ما ذاقه بعد زوال الكارثة.» ثم نبأ الشهاب الذي انقض من السماء فأهلك أهله. وفي القصة إيجاز حول الغرض من هذه المطارحات، وتوضيحها أن الثعبان أراد أن يقول: «لقد حدث لي أفجع مما حدث لك، ومع ذلك فقد خرجتُ سالمًا، وما زلتُ سائرًا في حياتي.» وكأنه أراد أن يقول له: «يجب أن تنظر إلى الأمور ببسالة وثقة، فإنك لم تلاقِ من المصائب ما لاقيتُ أنا.» فنصحه قائلًا: «إذا كانت لديك شجاعة، فعليك أن تكبح جماحَ قلبك.» ثم طمأنه على أنه سيعود إلى وطنه بعد أربعة أشهر، وسيرى ثانية زوجته وأولاده.

أما الحالة النفسية للغريق، فيبدو لنا من القصة أنها تحسَّنت كثيرًا، فها هو الغريق يشكر الثعبان من أعماق قلبه، وتدفعه تلك الحالة النفسية الطارئة على أن يقدِّم إليه فروض العبادة والخضوع، وعلى أن يَعِده بعظيم الهدايا، ولكن الثعبان يعفيه من ذلك في سخرية مستترة فيقول: «ما الذي تريد أن ترسله إليَّ؟ إن عندي من ذلك الفيض الغزير.» ثم عقَّبَ على ذلك بما يحرِّك النفس الساكنة: «لا يمكنك أن ترسل إليَّ شيئًا بعدُ، فإن الجزيرة سيغمرها الماء.» — أي ستختفي وتزول — وكأنه أراد أن يقول له: وأنا بالتالي سأختفي وأزول معها، وينتهي أمري بالموت.

وهنا يثب إلى أذهاننا ما جاء في قصة «ألف ليلة وليلة» مشابهًا لما ذُكِر؛ إذ نسمع الرسول يقول عند خروج السلطان: «هذا هو سلطان الهند العظيم، وهذا السلطان العظيم لا بد أن يموت، لا بد أن يموت.»

وإذا كان كل حي إلى زوال، فكل شدة إلى فرج، وهذا ما كان؛ فقد عاد القاص إلى وطنه سليمًا معافًى، ولقي من الملك العطف والرضا. وإذا كان بعض الغافلين يعتقد أن القاص أورد قصته ناقصة هذه النتيجة، فإن اليقظ منهم لا بد واصل بثاقب نظره إليها، وإن مَثَل الفرعون مع الأمير كمَثَل الثعبان مع الغريق، كلاهما عطف على تابعه وأحسن إليه.

ولا نزاع في أن هذه القصة شرقية بروحها، وهي فضلًا عن ذلك تقدِّم لنا أثمن ما يقدِّمه الشرق من إيجاز، وحسن سبك، ومهارة في التعبير، وحكمة بالغة، ولقد استطاع القاص بمهارته ألَّا يجعل قصة البحار تطغى على قصة الأمير، وهي المقصودة لِذَاتها بما أورده في نهاية القصة من العبارات التي تلفت الذهن إليها.

ولقد كنَّا في شوق لأن نعرف أكثر مما عرفنا عن أول قصة وصلتنا تدور حول بحَّار مصري، ولكنها كُتِبت كما قلنا للطبقة الراقية من المتأدبين القدماء؛ فكان نصيبها الإيجاز.

والسؤال الذي يرتسم أمام الباحثين الآن: أترى قد عنيت الأساطير المصرية بالثعبان، فجعلته بطلًا يدور حوله كثير من الأقاصيص كما كان للثعبان «الدراجون» في عالم الخرافات اليونانية؟ أم اكتفت الأساطير المصرية بتقديمه لنا في قصة الغريق وحدها؟ ونحن من جهتنا لا نستطيع الجزم بأحد الأمرين؛ فقد تكون الأرض محتفظة بقصص من هذا القبيل، والتي ذكرناها هنا تثبت ميل المصريين ونزوعهم إلى هذا النوع من الخيال والسحر، وكلنا يعلم أن اليونان قد أخذوا كثيرًا عن المصريين في آدابهم وخرافاتهم، فليس ببعيد إذن أن يكون الثعبان قد لعب دورًا كبيرًا في عالم الأساطير المصرية، ولم ينفرد اليونان بذلك، كما أثبتت قصة «حور» و«ست»، أن القصص المصري جعل من الآلهة أبطالًا، ولم يكن اليونان وحدهم أصحاب الفضل في ذلك، والكلمة الآن لما سوف تجود به علينا الكشوف الحديثة.

(جـ) المصادر

عثر الأستاذ «جلونيشف» العالم الأثري الروسي على الورقة التي كُتِبت عليها هذه القصة، وهي محفوظة الآن في متحف لينينجراد، وهو أول مَن درسها ثم درسها غيره كما يأتي:

(1) Golenischeff, Le Conte du Naufragé (Cairo 1912).

(2) Erman. Zeitschrift fur Agyptische Sprache X L III P. 1 ff.

(3) Gardiner. Notes on the Tale of the Shipwrecked Sailor in Zeitschrift fur Agyptische Sprache XIV P. 60 ff.

(4) Notes in the Journal of Egyptian Archeology Vol. XXII P. 37. by Blackman.

(5) Peet, A Comparative Study of the Literatures of Egypt. Palestine and Mesopotamia P. 28 ff.

(6) Maspero, Populor Stories of Ancient Egypt. P. 98 ff.

(7) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 29 ff C translated by Blackman.

(8) Dr. Max Pieper. Die Agyptische Literatur. P. 43 ff.

(9) The Metrical Scheme of The Shipwrecked Sailor by Vladimir Vikenfiev in Bulletin De L'institut. Français D'Archeologie orientale T. XXXV. P. 1 etc.

(د) متن القصة

يقول تابع حاذق: كُنْ فَرِحًا أيها الأمير، انظر لقد وصلنا إلى مقر الملك،[٨٢] وقد أُخِذت المطرقة، ودُقَّت أوتاد المرسى، وأُلِقيت حبالها على البر، وكان الثناء والشكر لله، وقد عانَقَ كل فرد زميله، وقد وصل ملَّاحونا سالمين أصحاء، ولم نفقد من جنودنا أحدًا، وقد وصلنا إلى أقصى «واوات» ومررنا «بسنموت». تأمَّلْ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا، أصغِ إليَّ أيها الأمير، إنني فرد خلو من المبالغة. اغسل نفسك، وصب الماء على أصابعك، وأجب عندما تحيا، وتكلَّمْ إلى الملك وأنت مالك لشعورك، وأجِبْ في غير تلعثم، وإن فم الإنسان هو الذي ينجيه، وكلامه هو الذي يجعل الناس يرفقون به، وستفعل ما يحلو لك، وعلى ذلك فالكلام[٨٣] معك غير مُجْدٍ.

ومع ذلك سأقصُّ عليك شيئًا مماثلًا لقصتك، فقد حدث لي شخصيًّا عندما أقلعت إلى إقليم مناجم الملك[٨٤] ذاهبًا إلى البحر في سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا و٤٠ عرضًا، وكان فيها ١٢٠ بحَّارًا من نخبة مصر، وكانوا يتعرَّفون السماء، وكانوا يتعرَّفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوبعة قبل أن تمر.

وقد هَبَّتْ عاصفة ونحن ما زلنا في البحر، وقبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها، وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعًا، وقد حملت من على سطح السفينة مع الصاري.

وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يَبْقَ إلا واحد من بين الذين كانوا فيها، وقد رمت بي موجة إلى جزيرة، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدًا ولم يكن لي رفيق غير قلبي، ونمتُ في خباء من الخشب، واحتضنت الفيء[٨٥] ثم وقفت على قدمي لأجد ما يمكن أن أضعه في فمي،

---

[٨٢] يوقظ الخادم سيده في الصباح على ظهر السفينة، ويعلنه بأنهم عادوا إلى مصر كرة أخرى، وقد مروا بجزيرة «سنموت» على الحدود «بجة» الحالية بالقرب من فيلة، وقد دخلت السفينة فعلًا في المرسى، وعلى ذلك لا بد أن يقصد بمقر الملك هنا «الفنتين» التي يحتمل أن تكون مقر الأمير نفسه، ولكن كان عليه أن يستمر في سياحته شمالًا ليقدِّم تقريره إلى الملك.

[٨٣] وعلى ذلك فقد عملت مجهودات لتشجيعه من قبلُ، ولكن من غير جدوى.

[٨٤] يقلع من ميناء على البحر الأحمر إلى مناجم شبه جزيرة سيناء.

[٨٥] يحتمل: بحثت عنه.

فوجدت تينًا وعنبًا هناك وكل أنواع الخضر الجميلة، وكان هناك فاكهة «كاو» و«نكوت» وخيار كأنه مزروع، وكان هناك سمك وطيور، ولم يكن هناك شيء لا يوجد فيها،[٨٦] وعندئذٍ أشبعت نفسي، وتركت بعضها على الأرض؛ لأن حمله كان ثقيلًا على ذراعي، ثم أخذت زنادًا، وأوقدت نارًا لنفسي، وقدمت قربانًا مشويًّا للآلهة.

وبعد ذلك سمعت صوت رعد، وظننت أنها موجة بحر، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض، ولما كشفت عن وجهي[٨٧] وجدت أنه ثعبان يقترب مني، وكان ذرعه ثلاثين ذراعًا طولًا، ولحيته يزيد طولها على خمسة أذرع، وكان جسمه مرصَّعًا بالذهب، وحاجباه من خالص اللازورد،[٨٨] وقد كان غاية في العقل، ثم فغر فاه لي حينما كنتُ ملقًى على بطني أمامه وقال لي: «مَن أحضرك هنا؟ مَن أحضرك هنا أيها الصغير؟ مَن أحضرك هنا؟ وإذا تأخرت عن إجابتي عمَّن أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابًا، وتصير كالذي لم يكن قد رئي.»[٨٩] فأجبت: «إنك تتحدث إليَّ ومع ذلك لم أسمع ما تقول، إني في حضرتك ولكن حواسي قد ذهبت.»

وبعد ذلك أخذني في فمه وأحضرني إلى جحره، ووضعني دون أن يلمسني، وكنت صحيحًا ولم يُمزَّق شيء مني،[٩٠] وفغر فاه لي عندما كنتُ ملقًى على بطني أمامه، وقال لي: «مَن أحضرك إلى هنا؟ مَن أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ مَن أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التي يحيط بها الماء من الجانبين؟» وقد أجبته وذراعاي مثنيتان[٩١] في حضرته وقلت له: «إني فرد ذهبت إلى المناجم في أمر للمك في سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا و٤٠ عرضًا، وكان فيها ١٢٠ بحَّارًا من نخبة مصر، وكانوا يتعزَّفون السماء، وكانوا يتعزَّفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوبعة قبل أن تكون، وكان كل واحد منهم شجاع القلب، قوي الساعد أكثر من زميله، ولم يكن

---

[٨٦] الجزيرة.

[٨٧] كان قد وضع يديه على وجهه من الخوف.

[٨٨] يتصور القاص هذا الثعبان كأنه إله مصري مصنوع من البرنز المذهَّب ومرصَّع بالألوان، ويقصد باللحية لحية الإله المجدولة.

[٨٩] يستطيع الثعبان أن ينفث نارًا مثل الثعبان المقدَّس، أي ثعبان إله الشمس «رع».

[٩٠] أي إنه أخذه برفق.

[٩١] دليل الخضوع.

بينهم أحمق، وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال في البحر قبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها، وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعًا، وقد حملت من على سطح السفينة مع الصاري، وبعد ذلك غرقت السفينة بمَن كانوا فيها ولم يَبْقَ غيري. وتأمَّلْ! فإني هنا بجانبك وقد أُحضِرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر.»

وعندئذٍ قال لي: «لا تخف، لا تخف أيها الصغير، ولا تدع محياك يصفرُّ ما دمت قد جئت إليَّ. انظر! لقد حفظك الإله حيًّا؛ ليحضرك إلى جزيرة الطعام «الوفير»[٩٢] التي لا شيء إلا وينمو فيها؛ لأنها مفعمة بكل شيء حسن. وانظر ستمضي الشهر بعد الشهر في هذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر، ثم تأتي سفينة من مقر الملك تحمل بحَّارة تعرفهم، وستذهب معهم إلى مقر الملك، وتموت في نفس بلدك.

ما أشد فرحة الذي يقص ما جرى له بعد أن تمر الكارثة، وهكذا سأقص عليك شيئًا مماثلًا لهذا قد حدث في هذه الجزيرة،[٩٣] وذلك أنني كنت فيها مع إخوتي، وأطفالي في وسطهم، وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانًا (أولادي وإخوتي) هذا غير بنت امرأة مسكينة كانت قد أحضرت إليَّ ...[٩٤] ثم انقض شهاب، فذهب هؤلاء في النار بسببه (أي الشهاب) وقد حدث ذلك، وأنا لست مع المحرقين (؟) ولم أكن بينهم، وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث.

«فإذا كنتَ شجاعًا فاكبح جماح قلبك،[٩٥] على أنك ستضم أطفالك، وتقبِّل زوجتك، وترى منزلك، وهذا أحسن من كل شيء، وستصل إلى مقر الملك، وتسكن هناك في وسط أولادك.»

وعند ذلك ألقيت بنفسي على بطني، ولمست الأرض في حضرته، وقلت له: «سأتحدث للملك عن قوتك وأعلمه بعظمتك، وسأعمل على أن يجلب إليك «إبي»، و«حكنو»، و«أدنب»، و«خسلت»،[٩٦] وكذلك بخور المعابد التي يسر لها كل إله، وسأقص ما حدث لي وما قد شاهدت ... وستشكرني المدينة أمام ضباط الأرض كلها، وسأذبح لك ثيرانًا قربانًا مشويًّا،

---

[٩٢] يحتمل أن يكون معناها جزيرة فيها طعام.

[٩٣] التشابه بين قصته وبين ما حدث للغريق: أن كلًّا منهما فقَدَ كلَّ رفقائه.

[٩٤] طفلة آدمية ألقيت إلى الجزيرة.

[٩٥] كما فعلت وقتئذٍ.

[٩٦] عطور نقية كان المصريون يهتمون بها كثيرًا.

وأضحي لك الأوز، وسأرسل لك سفنًا محمَّلَة بكل بضائع مصر الثمينة، كما يجب أن يفعل لإله يحب الناس في أرض نائية لا يعرفها الناس.» عند ذلك ضحك مني ومما قلت، كأن ذلك سخافة لقلبه[٩٧] وقال لي: «ليس عندكم «عنتيو»[٩٨] بكثرة، ولا تملكون إلا البخور، ولكنني أمير «بنت» والمر متاعي الخاص، أما من حيث «حكنو» الذي تقول عنه إنك ستجلبه إليَّ، فهو أهم حاصلات هذه الجزيرة، ولكن الواقع أنك لن ترى قطُّ هذه الجزيرة بعد سفرك؛ لأنها ستصير ماءً.»

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبَّأ، وذهبت وتسلقت شجرة طويلة، ورأيت أولئك الذين كانوا فيها، وذهبت لأخبره فعلمت أنه قد عرف ذلك من قبلُ، وقال لي: «بسلام، بسلام للوطن، أيها الصغير، وشاهد أطفالك، واجعل لي اسمًا حسنًا في مدينتك. اسمع فإن هذا هو كل ما أبغي.»

وعندئذٍ ألقيت بنفسي على بطني وثنيت ذراعيَّ في حضرته، وأعطاني حمولة «مر» و«حكنو» و«إيدنب» و«خسلت» و«تشبس» و«شاس» وكحل، وذيول زرافات، وكمية عظيمة من البخور، وسن فيل، وكلاب صيد، وقردة ونسانيس وكل الذخائر الجميلة،[٩٩] وأنزلتها في هذه السفينة.

ولما ألقيت بنفسي على بطني لأشكره قال لي: «انظر، ستصل الحاضرة بعد شهرين، وستضم أولادك في حضنك، وتصير شابًّا ثانية في مقر الملك ثم تُدفَن.»[١٠٠]

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة، وحييت الفرقة التي كانت في هذه السفينة، وأثنيت على رب هذه الجزيرة على الساحل، وكل مَن كان في السفينة فعل كذلك.

ثم سحنا شمالًا إلى حاضرة الملك ووصلنا إلى العاصمة في شهرين كما قال، ومثلت أمام الملك، وقدَّمت له هذه الذخائر التي أحضرتها من هذه الجزيرة، وقد شكرني أمام كل ضباط الأرض قاطبة، وعُيِّنت حاجبًا، وكافأني ببعض حشمه (؟).

---

[٩٧] ضحك الثعبان من بساطة الرجل الذي ذكر له أشياء ثمينة يملك منها ما لا مزيد عليه.

[٩٨] يُعَدُّ «عنتيو» الذي نترجمه عادة بالمر من أهم العطور، وهو يُستورَد من بلاد «بنت» التي يحتمل أنها لقب عام لمناطق إنتاج البخور جنوبي البحر الأحمر، وكانت تقع في المنطقة التي تشمل بلاد «الإرتيرية» و«الصومال» من جهة، وشواطئ «بلاد العرب السعيدة» من جهة أخرى (انظر كتاب مصر القديمة، الجزء الثاني).

[٩٩] كان المصريون يستوردون كل هذه الأشياء من مناطق إنتاج البخور.

[١٠٠] أي تدفن دفنًا طيبًا، وهذا ضروري للشخص الذي يرغب في أن يكون سعيدًا في موته.

انظر إليَّ بعد أن وصلت الأرض، وبعد أن شاهدت ما لاقيته،[١٠١] اسمع لما أقول. انظر، إنه من الخير للناس أن يصغوا.

فقال لي: «لا تلعبن دور الحكيم[١٠٢] يا صديقي! فإن ذلك كالذي يعطي عند الفجر ماءً لطائر سيذبحه مبكرًا في الصباح.» (أي إني مقضيٌّ عليَّ بالموت عندما أقابل الفرعون؛ وعلى ذلك فإن كلامك المطمئن لا فائدة منه لي.)

(١-٣) قصة الفلاح الفصيح

(أ) ملخص القصة

ترجع حوادث هذه القصة إلى عهد الملك «خيتي» أحد ملوك هيراكليوبوليس — أهناس المدينة — في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، والاسم الذي أطلق عليه العلماء تجوزًا «الفلاح» حقيقته في اللغة المصرية «ساكن الحقل»، أي بطل هذه القصة أحد سكان «حقل الملح» وهو «وادي النطرون» الآن، وقد أطلق عليه في العهد المسيحي «صحراء النطرون»، وكان هذا الفلاح يسكن في مجاهل هذه البقعة، وكان يسافر من حين لآخَر إلى مصر ليبيع محصول أرضه محمَّلًا على حمير له، ولما وصل في مرة إلى مصر اعترضه أحد الموظفين المسمَّى «تحوت نخت» واغتصب منه حميره وما عليها بحيلة دنيئة، فذهب الفلاح على إثر ذلك إلى عاصمة المقاطعة ليشكو أمره إلى «رنزي» رئيس «تحوت نخت» المغتصِب، فجمع «رنزي» مجلس الأشراف ليفصل في هذه القضية، غير أن أعضاءه لم يعلنوا حكمهم لأسباب لم تُذكَر في القصة، فصاغ الفلاح شكايته لرنزي في أسلوب فصيح بهره وأعجب به، فرأى أن الأمر جدير بأن يُعرَض على جلالة مولاه الملك؛ نظرًا لذلك الأسلوب الأخَّاذ، وتلك البلاغة النادرة التي لم يعهد لها مثيلًا من قبلُ، ولقد أمر جلالة الملك ألَّا يبتَّ في أمر ذلك الفلاح الفصيح حتى يكرِّر الشكوى؛ فيكون ذلك مصدرَ خطبٍ بليغة أخرى يغتني بها الأدب، ويكتسب مادة وإمتاعًا، وهذا ما كان؛ إذ ألقى الفلاح تسع خطب رائعة في موضوع هذه الشكوى.

---

[١٠١] قد يعني: انظر إلى ما وصلت إليه، على الرغم من تعس رحلتي.

[١٠٢] لا تجتهد أن تكون حكيمًا أكثر من اللازم.

(ب) دراسة القصة

ترجع هذه القصة إلى العهد الأهناسي، وهو عهد سادت فيه الفوضى، وعم الاضطهاد؛ فالقصة مظهر لما يحتدم في نفوس الناس، ولما يشكون منه في ذلك العهد، وهي من أبلغ وأروع ما كُتِب في الأدب المصري القديم، حتى إنها كانت تُعَدُّ نموذجًا يحتذى ويقتبس منه عهد الدولة الحديثة.

والقصة تتكون من مرحلتين أساسيتين: الأولى مقدمة قصصية، والثانية خطب تسع، فأما المقدمة القصصية فإن طريقة عرضها أبدع ما رأيناه في الأدب المصري، وهي جديرة من حيث تعبيرها عن العواطف الإنسانية بأن تُوضَع جنبًا لجنب مع أية قطعة من هذا النوع وردت في التوراة. وقد قال الأستاذ برستد عن هذه المرحلة من القصة في كتابه «فجر الضمير» ما يأتي: «وهذا المشهد يُعَدُّ من أقدم الأمثلة التي تدل على المهارة الشرقية في تصوير المبادئ المعنوية في شكل مواقف ملموسة، وهي التي صُوِّرت بشكل مدهش بعد ذلك في أقوال عيسى عليه السلام.»

وأما المرحلة الثانية فتلك الخطب التسع التي أَشْهَرَ بها ذلك الفلاحُ الحربَ على ما كان يرتكبه الموظفون من الفوضى والظلم والعبث بصغار الفلاحين، فكان بخطبه من حَمَلَة الأقلام الذين طلبوا العدالة الاجتماعية، وكانت خطبه تَلقَى رواجًا لإمتاعها، ولأنها موجَّهة إلى أغنياء هذا العصر الذين اختصوا أنفسهم دون الفقراء بالثروة والمتاع، وبالرغم من بعض الغموض الذي يبدو في أسلوبها، لجهلنا باللغة المصرية ونواحي بلاغتها، ولما احتوته من استعارات قوية وتشبيهات غريبة؛ فإنها تُعتبَر أدبًا من الطراز الأول في عصرها وفي العصور التي تلته. ومما أكسبها ذيوعًا وانتشارًا ما تضمنته في طيَّاتها من تهكُّم لاذع يميل إليه المصريون القدماء بسليقتهم، ولو أنه كان يهدف إلى غرض خلقي سامٍ. ولا ريب في أن القصة ترسم صورةً حيةً ناطقةً لميل الموظفين عن جادة العدل والحق، إذا لم يكن عليهم ملك رشيد عادل يخافون سطوته. ومن الظواهر الغريبة فيها أنها لأول مرة في تاريخ أدب العالم تشبِّه العدالة بالميزان، وتتخذ من أجزاء الميزان استعاراتٍ وأوصافًا لنواحي العدالة، ونجد هذا التشبيه الآن سائدًا كل لغات العالم، وقد ظهر بصورة واضحة في القرآن الكريم.

(ج) المصادر

وصلت إلينا هذه القصة في أربع نُسَخٍ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى، وقد عني بترجمتها والتعليق عليها فوجلزانج الألماني في كتابه:

(1) Vogelsang. Kommentar Zu Den Klagen des Bauern. Lepzig 1913.

وترجمها حديثًا جاردنر في مجلة:

(2) Gardiner Journal of Egyptian Archeology. Vol. IX P. 1 ff.

وترجمها كذلك إرمان في:

(3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians (Translated by Blackman) P. 116 ff.

وهناك مصادر أخرى بحثت فيها هذه القصة، أهمها ما يأتي:

(4) The Dawn of Conscience 183 ff. (By Breasted.)
(5) Die Agyptische Literatur P. 38 ff. (Dr. Max. Pieper.)

(د) متن القصة

كان رجل اسمه «خنوم أنوب»، وهو فلاح من حقل الملح،[١٠٣] وكان له زوجة اسمها «ماري»، فقال هذا الفلاح لزوجته: «انظري، إني ذاهب إلى مصر لأحضر منها طعامًا لأطفالي، فاذهبي الآن وكيلي لي القمح الذي في الجرين، وهو ما بقي من الحصاد الماضي.» ثم كالها ستة (؟) مكاييل من القمح.

ثم قال هذا الفلاح لزوجته: «انظري، لقد بقي عشرون مكيالًا من القمح لتكون طعامًا لك ولأطفالك، وعليك أن تصنعي لي ستة مكاييل القمح هذه خبزًا وجعة للأيام التي سأكون فيها على سفر.» (؟)

وعلى ذلك ذهب هذا الفلاح إلى مصر، بعد أن حمَّل حميره بالسمار ونبات «رمت» والنطرون والملح، وعصي من ... «تيو» و«قضبان» «تحو»[١٠٤]

[١٠٣] وادي النطرون.
[١٠٤] واحة الفرافرة.

وجلود الفهد، وفرو الذئاب، والخيزران والحصى (؟)، ونبات «تنم»، ونبات «خبرور» و«ساهوت» و«ساسكوت»، ونباتات «ميسوت»، وأحجار «سنوت»، وأحجار «عباو»، ونباتات «ابسا»، ونباتات «أنبي»، ويمام وطيور «نعرو»، وطيور «وجس»، ونباتات «وبن»، ونباتات «تبسو» و«جنجنت»، وشعر الأرض، و«أنست»، ومكيال وافٍ من كل محصولات «حقل الملح»، وسافَرَ هذا الفلاح نحو الجنوب تجاه «ننسو»،[١٠٥] ووصل إلى جوار «برفيوفي» في شمالي «مدينت»،[١٠٦] وهناك رأى رجلًا واقفًا على شاطئ النهر يُدعَى «تحوت نخت»، وهو ابن رجل يُدعَى «أسرى»، وهو من مستخدمي المدير العظيم للبيت المسمَّى «رنزي» بن «مرو».

وقال «تحوت نخت» هذا حينما رأى حمير هذا الفلاح، وقد مال قلبه إليها: «ليت لديَّ وثنًا قويًّا؛[١٠٧] حتى أتمكن من سرقة متاع هذا الفلاح!» واتَّفَقَ أن بيت «تحوت نخت» هذا كان على ممر بجانب النهر، وقد كان ضيقًا وليس بالعريض؛ إذ كان عرضه يعادل قطعة النسيج التي تستر الجسم، وكان أحد جوانب هذا الممر مغمورًا بالماء، والثاني مغطًّى بالقمح.

وقال «تحوت نخت» هذا لخادمه: «اذهب واحضر لي قطعة نسيج من داري.» فأُحضِرت إليه في الحال، فمدها على الممر بطريقة جعلت هدبها على الماء، وطرفها على سيقان القمح. ثم سار هذا الفلاح على الطريق العام.

فقال «تحوت نخت» هذا: «احترس أيها الفلاح، أتريد أن تطأ ملابسي؟»

فقال هذا الفلاح: «سأفعل ما تريد، إن طريقي طريق جيد.» وعندئذٍ سار إلى الأمام.

فقال «تحوت نخت» هذا: «أتريد أن تجعل قمحي ممرًّا؟»

---

[١٠٥] أهناس المدينة الحالية، وقد كانت عاصمة الأسرة التاسعة التي ينتسب إليها الملك نبكاورع الذي نحن بصدده.

[١٠٦] قد تكون مدينة أطفيح.

[١٠٧] أي ليت لديَّ وسائل سحرية.

فقال هذا الفلاح: «إن طريقي جيد، إن الجسر عالٍ وطريقنا الوحيد تحت القمح، ومع ذلك فإنك تجعل ملابسك عقبة في طريقنا، أفلا تريد أن تجعلنا نمر على الطريق؟»

عندئذٍ ملأ أحد الحمير فمه بحزمة من القمح، فقال «تحوت نخت» هذا: «انظر سآخذ حمارك أيها الفلاح؛ لأنه يأكل قمحي. انظر إنه سيشتغل بسبب جرمه.»

فقال هذا الفلاح: «إن طريقي حسن، ولم تُؤخَذ إلا قبضة واحدة من القمح، لقد أحضرت حماري لأنه حمول (؟) وأنت تغتصبه لأنه ملأ فمه بحزمة من القمح! بلى، ولكني أعرف رب هذه الضيعة، فهي ملك المدير العام للبيت «رنزي» بن «مرو»، وهو الذي يكبح جماح كل لص في كل البلاد قاطبة، وهل أُسرَق في «نفس» ضيعته؟»

وقال «تحوت نخت» هذا: «هل هذا هو المثل الذي على ألسنة الناس، إن اسم الرجل الفقير لا ينطق به إلا إكرامًا لسيده؟ إنني أنا الذي أتكلم إليك وليس المدير العظيم للبيت الذي أتى على ذاكرتك!»

ثم أخذ غصنًا من الأثل الأخضر وأوجعه به ضربًا في كل جسمه، وقبض على حميره وساقها إلى ضيعته.

وعندئذٍ أخذ هذا الفلاح يبكي بكاءً مرًّا من الألم الذي لحقه، وقال «تحوت نخت» هذا: «لا ترفع صوتك أيها الفلاح. انظر، إن مصيرك سيكون مسكن «رب الصمت».»[١٠٨]

فقال هذا الفلاح: «إنك تضربني وتسرق متاعي، وبعد ذلك تغتصب الشكاية من فمي! أنت يا «رب الصمت» أَعِدْ إليَّ ماشيتي؛ حتى أسكت عن الصياح الذي يزعجك!»

وقد مكث هذا الفلاح عشرة أيام يتضرع إلى «تحوت نخت» هذا، غير أنه لم يلتفت لشكايته، وعلى ذلك سافَرَ هذا الفلاح إلى «ننسو» ليرفع ظلامته إلى المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو»، وقد وجده وهو خارج من بيته لينزل في قاربه الخاص بقاعة العدل (أي القارب الرسمي الخاص بالمحكمة).

[١٠٨] رب الصمت هو «أوزير»، ويظهر أن «تحوت نخت» هذا هدَّد الفلاح بالموت.

فقال هذا الفلاح: «هل تسمح لي بأن أسر قلبك بهذه القصة؟ هل من الممكن أن يحضر معي خادم حسب اختيارك حتى يحمل إليك أخبارًا مني خاصة بها.»[١٠٩]

وعلى هذا أمر المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» خادمًا قد اختاره ليذهب أمامه، ليحمل إليه أخبارًا من هذا الفلاح خاصة بهذا الموضوع من كل وجوهه.

وعندئذٍ عمل «رنزي» بن «مرو» المدير العظيم للبيت تحقيقًا ضد «تحوت نخت» أمام الحكَّام الذين كانوا معه.

فقالوا له: «يجوز أنه أحد فلاحيه قد أتى إلى واحد آخَر خلافه، انظر تلك هي الطريقة التي كانوا يتَّبِعونها مع فلاحيهم عندما يذهبون إلى آخَرين خلافهم، وهل هذه قضية حتى يُعاقَب الإنسان «تحوت نخت» هذا بسبب مقدار تافه من النطرون، ومقدار ضئيل من الملح؟ مُرْهُ أن يُعطَى بدلًا منها، وعلى ذلك يمكنه أن يُعطَى بدلًا منها.»

غير أن المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» لزم السكينة، ولم يُجِبْ هؤلاء الحكَّام ولا هذا الفلاح أيضًا.

الشكوى الأولى

عندئذٍ أتى هذا الفلاح ليقدِّم ظلامته إلى المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو»، فقال: يا مدير البيت العظيم، يا سيدي، يا أعظم العظماء، يا حاكمًا على ما قد فني وما لم يفن![١١٠] وإذا ذهبت إلى بحر العدل[١١١] وسحت عليه في نسيم رخاء، فإن الهواء لن يمزِّق قِلْعك، وقاربك لن يتباطأ، ولن يحدث لصاريك أي ضرر، ومرساك لن تُكسَر، ولن يغوص

[١٠٩] حرفيًّا: حتى أرسله إليك بخصوصها.

[١١٠] أي حاكمًا على كل شيء.

[١١١] يقصد بالسطور التالية التمدُّح بعدل رنزي.

قاربك (؟) حينما ترسو على الأرض، ولن يحملك التيار بعيدًا، ولن تذوق أضرار النهر، ولن ترى وجهًا مُرتاعًا، والسمك القفاز سيأتي إليك، وستصل «يدك» إلى أسمن طائر، وذلك لأنك أب لليتيم، وزوج للأرملة، وأخ لتلك التي قد نُبذت، ومئزر لذلك الذي لا أم له.[١١٢] دعني أجعل اسمك في هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل، فتكون حاكمًا خِلْوًا من الشره، وشريفًا بعيدًا عن الدنايا، ومهلكًا للكذب، ومشجعًا للعدل، ورجلًا يلبي نداء المستغيث. إني أتكلم، فهل لك أن تسمع؟ أقم العدل أنت يأيها الممدوح الذي يمدح بهؤلاء الذين يُمدَحون، اقضِ على فقري، انظر إني مثقل بالحمل، جربني، انظر إني في حيرة.

مقدمة للشكوى الثانية

وقد اتفق أن الفلاح قد ألقى هذه الخطبة في عهد الملك المرحوم «نبكاو رع».

وقد ذهب المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» أمام جلالته، وقال: «سيدي لقد عثرت على أحد هؤلاء الفلاحين، وفي الحق إنه فصيح، وهو رجل قد سُرِق متاعه. وانظر، إنه قد حضر ليتظَلَّم لي من أجل ذلك.»

عندئذٍ قال جلالته: «بقدر ما تحب أن تراني في صحة دَعْه يمكث هنا دون أن تجيب عن أي شيء قد يقوله، ولأجل أن تجعله يستمر في الكلام الزم الصمت، ثم مُرْ بأن يُؤتَى لنا بذلك مكتوبًا حتى نسمعه، ولكن مُدَّ زوجه وأطفاله بالمئونة، ثم انظر، لا بد أن يأتي أحد الفلاحين إلى مصر وذلك بسبب فقر بيته،[١١٣] وزيادة على ذلك مُدَّ هذا الفلاح نفسه، فلا بد أن تأمر بإعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذي أعطيته إياه.»

وعلى ذلك أعطي عشرة أرغفة وإبريقين من الجعة كل يوم، وقد تعوَّدَ رب البيت العظيم «رنزي» بن «مرو» أن يعطي ذلك أحد أصدقائه، وكان هذا يعطيها إياه (إلى الفلاح) ثم إن المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» أرسل إلى شيخ بلدة «سخت حموت» ليصنع الطعام لزوج ذلك الفلاح، ومقداره ثلاثة مكاييل من القمح (؟) كل يوم.

[١١٢] أي إنك لباس للطفل الفقير الذي ليس له أم تصنع له لباسًا.

[١١٣] أي ليأخذ لهم الطعام.

الشكوى الثانية

ثم إن هذا الفلاح أتى ليتظلَّم له مرةً ثانيةً، وقال: «يا أيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، يا أعظم العظماء، يا أغنى الأغنياء، يا مَن عظماؤه لهم واحد أعظم منهم، يا مَن أغنياؤه لهم واحد أغنى منهم، أنت يا سكان السماء، ومثقال ميزان الأرض، ويا خيط الميزان الذي يحمل الثقل، يأيها السكان لا تنحرف، ويا مثقال الميزان لا تمل، ويا خيط الميزان لا تتذبذب ملتويًا: إن السيد العظيم يأخذ «فقط» مما ليس له سيد، وينهب واحدًا فقط (أي نفسه). إن ما يحفظ أودك في بيتك: قدح من الجعة وثلاثة رُغْفان.[١١٤] وما الذي يمكن أن تصرفه لإطعام عملائك؟ على أن الإنسان سيموت مع خدمه. وهل ستكون رجلًا مخلدًا؟

أليس من الخطأ: ميزان يميل، وثقالة تنحرف، ورجل مستقيم يصير معوجًّا؟ تأمَّلْ، إن العدل يفلت (؟) من تحتك، وذلك لأنه أقصي من مكانه، فالحكام يشاغبون، وقاعدة الكلام تنحاز إلى جانب، والقضاة يتخاطفون ما اغتصبه (أي «رنزي») ومعنى ذلك أن مَن يقلب الكلام من موضع الصواب، يحرِّفه عن معناه (؟)؛ وبذلك يخور مانح النفس على الأرض، وذلك الذي يأخذ راحته يجعل الناس يلهثون، والمحكم يصير مُتلِفًا،[١١٥] ومبيد الحاجات يأمر بصنعها، والبلدة تكون فيضان نفسها، والمنصف يخلق المشاغبة.»

ثم قال المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو»: «هل تعتقد في قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمي؟»[١١٦]

وقال هذا الفلاح: «إن كيَّال أكوام الغلال يعمل لمصلحة نفسه، وذلك الذي يجب عليه أن يقدِّم حسابه تامًّا لآخر يسرق متاعه، وذلك الذي يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة، فمَن ذا الذي يكبح الباطل إذن؟! وذلك الذي يجب عليه أن يقضي على الفقر (؟) يعمل على العكس، ويسير الإنسان إلى الأمام في الطريق المستقيم في منحنيات، وآخَر ينال الشهرة بالضرر، فهل تجد لنفسك هنا أي شيء (؟)؟»[١١٧]

---

[١١٤] يقصد أنه لا يمكنه أن ينفق كل ما كنز؛ لأن ما يحتاجه الإنسان في الحياة قليل، وأنه لديه الكفاية وما يزيد على الكفاية، مما يجعله قادرًا على إطعام كل مَن حوله. وهل يجمع كل ذلك لأنه يظن أنه مخلد في هذه الحياة؟!

[١١٥] حرفيًّا: مقسم الإرث متلف.

[١١٦] قاطع «رنزي» الفلاح بسؤال خشن: أيهما أهم لديك: المتاع الذي تدَّعِيه، أو الضرب بالعصا إذا استمررت في شكايتك؟ غير أن الفلاح لم يُعِرْه اهتمامًا واستمر في كلامه.

[١١٧] قد يقصد بها: هل تجد لنفسك هنا أي شيء ينطبق عليك من هذه الأوصاف؟

«إن الإنصاف قصير، ولكن الضرر يمكث طويلًا،[١١٨] والعمل الطيب يعود ثانية إلى مكانه بالأمس، والواقع أن الحكمة تقول: «عامِلَ الناسَ بما تحب أن تُعامَل به.»[١١٩] وذلك كشكر إنسان على ما يعمله، وكمنع شيء قبل تشكيله، مع أن الأمر بصنعه قد أعطي للصانع. (يتمنى الشر للأمير) ليت لحظة تخرب، فتجعل كرمك رأسًا على عقب، وتفتك بطيورك، وتودي بدواجنك المائية،[١٢٠] فالمبصر قد غشي بصره، والمستمع قد صُمَّ، والحاكم أصبح متمردًا …

تأمَّلْ، إنك قوي وشديد البأس، وإنك نشيط الساعد وقلبك مفترس، وقد تَخَطَّتْكَ الرحمة، ما أعظم حزن الرجل الفقير الذي قد قضيت عليه، ومثلك كرسول من عند الإله التمساح، بل إنك تفوق «ربة الوباء».[١٢١] فإذا كنتَ لا تملك شيئًا فهي لا تملك شيئًا أيضًا، وإذا كانت لا تدين بشيء فكذلك أنت لا تدين بشيء، وإذا كنت لا تفعلها فهي لا تفعلها أيضًا.[١٢٢] وذلك الذي يملك خبزًا (؟) يجب أن يكون رحيمًا، ولكن المجرم قد يكون (؟) قاسيًا فظًّا، على أن السرقات أمر طبيعي لِمَن لا متاع له، وكذلك خطف المجرمين لأمتعة الغير.

حقًّا إنه عمل مشين، إلا أنه لا مندوحة عنه (؟)، ويجب على الإنسان ألَّا يصوب اللوم إليه؛ لأنه يبحث لنفسه،[١٢٣] على أنك قد امتلأت بخبزك وسكرت بجعتك، وإنك غني … إن وجه مدير السكان متجه إلى الأمام، ومع ذلك (؟) فإن القارب يتجه كما يشاء، فالملك في داخل قصره، والدفة في يدك، ومع ذلك فإن المشاغبات منتشرة بجوارك! إن «عمل» الشاكي طويل، والفصل فيه يسير ببطء، وسيتساءل الناس عن هذا[١٢٤] الرجل الذي هناك. كُنْ حاميًا حتى يصير شاطئك واضحًا. تأمَّلْ، إن مسكنك قد أصبح موبوءًا (؟) اجعل لسانك يتجه إلى الحق، ولا تضل، وإن لسان (؟) الرجل قد يكون سبب تلفه.

---

[١١٨] إن الضرر يستمر مدة طويلة، في حين أن إصلاحه لا يحتاج إلا إلى فترة قصيرة، فإنصاف الفلاح يتوقف على إصغاء «رنزي» إلى شكايته لمدة قصيرة.

[١١٩] حرفيًّا: افعل للفاعل حتى تجعله يفعل — أي لك مثله.

[١٢٠] يقصد ليت «رنزي» يمنع لحظة واحدة عن ملاهيه بالصيد.

[١٢١] هي الإلهة «سخمت».

[١٢٢] أي الرحمة.

[١٢٣] إن الإنسان يعذر المحتاج إذا سرق، ولكنه لا يعذر رجلًا غنيًّا كالمدير العظيم للبيت.

[١٢٤] حرفيًّا: يتساءل الناس مَن هو ذلك الرجل الذي قد تباطأَ مع المدير العظيم للبيت.

لا تنطق كذبًا، واحترس من الحكام ... إن قول الكذب عشبهم، وعلى ذلك (؟) من المحتمل أن يكون خفيفًا على قلوبهم. وأنت يا أكثر الناس تعلُّمًا، هلا تريد أن تعرف شيئًا عن أحوالي؟ وأنت يا مَن تقضي على كل حاجة (؟) للماء، تأمَّلْ، فإني أملك مجرى ماء من غير سفينة، وأنت يا مرشد كل غارق إلى البر، نجِّ مَن غرقت سفينته، نجني ...»

الشكوى الثالثة

ثم حضر هذا الفلاح مرة ثالثة ليشكو، فقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، إنك «رع» رب السماء، في صحبة حاشيتك، إن قوام بني الإنسان منك لأنك كالفيضان، وأنت «حعبي» (إله النيل) الذي يجعل المراعي خضراء، ويمد الأراضي القاحلة، اكبَحْ جماح السارق، دافِعْ عن الفقير، ولا تكونن فيضانًا ضد الشاكي، واحذر من قرب الآخِرة. ارغب في أن تعيش طويلًا على حسب المثل: «إن إقامة العدل هو نفس الأنف.» وقع العقاب على مَن يستحق العقاب، ولن يكون هناك شيء يماثل استقامتك. هل الميزان يتحول؟ وهل يميل لسانه إلى جهة؟ هل يُظهِر «تحوت» تساهلًا؟

فإذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تعمل ضررًا، واجعل نفسك معادلًا لهذه الثلاثة (يشير إلى الميزان واللسان و«تحوت») فإذا أظهرت الثلاثة لِينًا فكن ليِّنًا، ولا تُجِبْ على الخير بالشر، ولا تضعن شيئًا مكان آخَر،[١٢٥] ما أكثر نمو الكلام من عشب خبيث![١٢٦] وأكثر مما يتفق مع من يشمه! أفلا تجيبن عليه، وعلى ذلك يروى الشقاق حتى يسبب نمو (؟) غطاء.

وقد كان (؟) لديه ثلاث فرص (؟)، تحمله على أن يعمل (؟)، قُدِ الدفة على حسب القِلْع،[١٢٧] وصدَّ (؟) الفضيان بعيدًا على حسب (؟) ما يقتضيه العدل، واحترس من أن تصطدم على الشاطئ (؟) مع حبل السكان (؟)، وإن أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل. ولا تكذبن وأنت عظيم، ولا تكونن خفيفًا وأنت رزين، ولا تقولن كذبًا فإنك الميزان،

[١٢٥] ورد ذكر هذه الحكمة في تعليم فتاح حتب.

[١٢٦] يظهر أن الفلاح يفكِّر هنا في أن كلامه هو الذي يزداد بنسبة عدم الاكتراث به.

[١٢٧] هل معنى ذلك: أرشد السفينة كما تتطلب الريح، أي اعترف بشكايتي وإلا فإني سأستمر في الكلام كالفيضان.

ولا تنكمش فإنك الاستقامة. انظر، إنك على مستوى واحد مع الميزان، فإذا انحرف انحرفت أيضًا، ولا تحيدن، بل أَدِر السكان، واقبض على حبل الدفة. لا تغتصبن، بل اعمل ضد المغتصب، وذلك العظيم ليس عظيمًا ما دام جشعًا. إن لسانك هو ثقالة الميزان، وقلبك هو ما يُوزَن به، وشفتاك هما ذراعاه، فإذا سترت وجهك أمام الشرس فمَن ذا الذي يكبح الشر؟

تأمَّلْ، إنك غسال يشقى، وشخص جشع لإتلاف صاحبه، وهاجر شريكه من أجل عميله، وإنه لأخ له الذي قد أتى ونفَّذَ «حيلته».

تأمل، إنك نوتي تعبر بمَن معه الأجر، ورجل مستقيم في معاملته، ولكن تلك الاستقامة مذبذبة.

تأمل، إنك رئيس مخابز لا يسمح لأحد خلو (؟) (مفلس) أن يمر وهو مدين.

تأمل، إنك صقر لعامة القوم يعيش على أحقر الطيور.

تأمل، إنك مُورِّد سروره الذبح؛ إذ لا «يوقع» عليه تشويه.

تأمل، إنك راعٍ، لا ... وليس عليك أن تدفع؛ ولذلك يجب عليك أن تظهر الشراهة أقل من تمساح جشع؛ إذ إن الأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد قاطبة. أنت أيها السامع، إنك لا تصغي ولماذا لا تصغي؟ واليوم قد كبحت جماح المتوحش، والتمساح يتقهقر. وما الفائدة التي تعود عليك، إذا وجد سر الصدق، وظهر الكذب قد وضع على الأرض (؟)، ولكن لا تتجهز[١٢٨] للغد قبل أن يأتي؛ لأنه لا إنسان يعلم المتاعب التي ستكون فيه.»

وقد تكلَّمَ هذا الفلاح هذا الكلام إلى المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» عند مدخل قاعة المحاكمة ثم أمر حاجبين أن يتعهداه بسياط، وقد أسخناه ضربًا بها في كل أجزاء جسمه.

عندئذٍ قال هذا الفلاح: «إن ابن «مرو» لا يزال متنكبًا في غيه، وإن حواسه قد عميت عما ينظر، وصُمَّتْ عما يسمع، وانحرفت عما يُتلَى عليه. انظر، إن مَثَلك كمَثَل بلد لا عميد له،[١٢٩] أو جماعة لا رئيس لها، أو كسفينة لا ربان لها، أو كعصابة أشقياء لا مرشد لها.

[١٢٨] يظهر أن الفلاح يحذر «رنزي» من الثقة التامة بالمستقبل — مَن يعرف ما سيحدث نتيجة ظلمه.
[١٢٩] العميد هنا شيخ البلد.

انظر، إنك حاكم[١٣٠] يسرق، وعميد قرية يقبل «الرشوة»، ومفتش صقع كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب، ولكنه أصبح مثالًا للمجرم.»

الشكوى الرابعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو له للمرة الرابعة، ووجده خارجًا من معبد «أرسافيس»،[١٣١] فقال له: «أنت أيها الممدوح، ليت «أرسافيس» الذي تخرج من معبده يمدحك، لقد قضى على الخير وليس له التئام، وحقًّا قد ألقي الكذب على الأرض ظهريًّا، هل أحضر قارب التعدية إلى البر؟ فبماذا إذن يمكن الإنسان أن يعبر؟ على أن هذا العمل لا بد أن ينفذ كرهًا على أية حال (أي التعدية) (؟) وهل عبور النهر بالنعال طريقة حسنة للعبور؟ لا. وقل لي: مَن ذا الذي ينام «الآن» حتى مطلع الفجر؟ لقد قضى عليَّ السير ليلًا، والسياحة نهارًا، والسماح للإنسان أن يتعهد قضيته الحقة. انظر، إنه لا فائدة لمَن يقول لك: «إن الرحمة قد تخطتك، فما أعظم حزن الرجل الفقير الذي قد خربته!

انظر، إنك صياد يشفي غليله، وإنسان منغمس في إرضاء ملاذه، فيصيد جاموس البحر، وتخترق «نبله» الثيران الوحشية، ويصيد السمك، ويرمي شباكه للطيور، على أنه لا يوجد إنسان متسرع في كلامه يخلو من العثار،[١٣٢] ولا إنسان خفيف القلب يقدر أن يكون حازمًا في كبح هواه، كن صبورًا حتى يمكنك أن تصل إلى العدل. اكبح جماح اختيارك حتى إن الشخص الذي تعوَّد أن يدخل بسكون يمكنه أن يكون سعيدًا، على أنه لا يوجد إنسان طائش يتفوق في عمل، ولا متسرع تطلب مساعدته، اجعل عينيك تتأملان، وعلم قلبك. ولا تكونن قاسيًا بنسبة قوتك؛ خوف أن يحيق بك الأذى. تغاضَ عن قضية وإذن ستتضاعف «في صعوبتها»، وإن الذي يأكل هو الذي يتذوق، والذي يخاطب يجاوب، والنائم يرى الحلم.[١٣٣] أما القاضي الذي تجب معاقبته فإنه نموذج للمجرم. تأمَّلْ أيها الأحمق فإنك قد ضربت، وتأمل أيها المغفل فإنك استجوبت، وأنت يا مانح الماء تأمَّلْ فإنك

---

[١٣٠] موظَّف يفصل في المنازعات.

[١٣١] معبد للإله «حرشاف» في إهناس المدينة.

[١٣٢] أي إن تسرُّع «رنزي» يجعله ظالمًا.

[١٣٣] ثلاثة أحوال للعلة والمعلول، فكما أن المعلول يتبع العلة في هذه الأحوال الثلاثة، كذلك يكون القاضي المتهم نموذجًا للمجرم.

قد أدخلت،[١٣٤] وأنت يا مدير السكان لا تجعل قاربك يرتطم، وأنت يا معطي الحياة لا تودين بأحد، ويا مخربًا لا تسببن خراب أحد، ويأيها الفيء لا تقومن مقام الهجير، ويأيها الستر لا تجعلن التمساح يفترس. والآن هل سأقضي طول اليوم في الشكوى الرابعة؟»

الشكوى الخامسة

ثم أتى هذا الفلاح يشكو للمرة الخامسة وقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، (وهنا المتن غامض جدًّا، غير أننا نفهم أنه يتكلم عن كل أنواع صيد السمك، وكلها استعارات وتشبيهات غامضة، إلى أن يقول) تأَمَّلْ، إنك في حالة كهذه (في كل ما سبق من الكلام الغامض، قد شبَّه فيه «رنزي» بصيادي السمك)، لا تحرمن رجلًا رقيق الحال أملاكه، وهو رجل ضعيف أنت تعرفه، فإن أملاك الرجل الفقير بمثابة النَّفَسِ له، ومَن يغتصبها يكتم أنفه،[١٣٥] ولقد نصبت لتسمع الشكاوى وتفصل بين المتخاصمين، وتكبح جماح اللص، ولكن تأَمَّلْ؛ فإن ما تفعله هو أنك تعاضد اللص، والإنسان يضع ثقته فيك، ولكنك أصبحت معتديًا، لقد نصبت سدًّا للفقير فاحترس خوف أن يغرق، ولكن تأَمَّلْ، إنك تيار سريع له.»

الشكوى السادسة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح للمرة السادسة ليشكو فقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، إن كل محاكمة حقة تدحض الباطل، وتعلو بالصدق، وتشجع الحسنة، وتقضي على السيئة، كالشبع عندما يأتي يقضي على الجوع، والكساء يقضي على العري، وكالسماء تصفو بعد العاصفة الشديدة وتدفئ كل مَن شعر بالبرد، وكالنار التي تسوي النيئ، وكالماء الذي يطفئ الظمأ. انظر بعينيك؛ إن المحكم متلاف، والمصلح موجد للحزن، ومهدئ «الخلافات» خالق للألم، والمغتصب يحط من قدر العدالة، ولكن الشخص إذا قضى بالقسطاس المستقيم فإن العدالة إذن لن يحاد عنها، ولن يبالغ (؟) في إجرائها، (ولكن) إذا أخذت فأعط زميلك أيها المشداق (؟) الخلو من الصراحة.

---

[١٣٤] يظهر أن ذلك يعني أنك كلما اجتهدت لتقف سيل كلامي، فإنك تغمر به.

[١٣٥] الأنف هو مركز الحياة.

إن حزني يفضي إلى نزاع، واتهامي يؤدي إلى تحول، والإنسان لا يعرف ما في القلب.[١٣٦] لا تكن خاملًا بل اهتم بالتهمة، فإذا قطعت فمَن الذي يصل؟ إن مجداف القلوب (؟) في يدك كالعمود السهل (؟) المتناول عندما يوجد الماء العميق.[١٣٧] (؟)، فإذا ارتطم القارب فإنه يدفع ولكن (؟) حمولته تتلف (؟) وتضيع (؟) على كل شاطئ رملي (؟). (كل العبارة غامضة.)

«إنك متعلم، وإنك ماهر، وإنك عادل، ولكن ليس في النهب. (والآن؟) فإن مَثَلك مَثَل كل بني الإنسان، كل أعمالك ملتوية، ومفسد الأرض كلها يمشي مستقيمًا إلى الأمام (لا يرى أمامه اعوجاجًا)، وزارع الشكر (البستاني) يروي حقله بالأعمال الخاطئة حتى يجعل مزرعته تنمو بالكذب، وبذلك يرى المتاعب إلى الأبد (؟).»

الشكوى السابعة

وبعد ذلك أتى الفلاح ليشكو له للمرة السابعة فقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، إنك سكان البلاد قاطبة، والأرض تسبح على حسب أمرك، إنك معادل «لتحوت» تقضي دون أن تنحاز إلى جانب. يا سيدي كن صبورًا حتى يمكن الإنسان أن يستغيث بك لقضيته العادلة، ولا تجعلن قلبك جموحًا؛ فذلك لا يليق بك، وإن الرجل البعيد النظر يكون حليمًا. لا تفكرنَّ فيما لم يأتِ بعدُ، ولا تفرحن بما لم يحدث بعدُ، والتحمُّل يطيل أمد الصحبة. اقضِ على الأمر الذي مضى،[١٣٨] والإنسان لا يعلم ما في القلب.

إن منتهك حرمة القانون، وخارق المتبع من الأمور، لا يستطيع رجل فقير أن يقاوم نهبه إذا لم تواجهه العدالة.[١٣٩] حقًّا إن جوفي لملآن، وقلبي لمفعم، وقد طفح من جوفي تقرير عن تلك الحالة، لقد كان صدع في السد، فتدفَّق منه الماء، وقد انفتح فمي للكلام، وعندئذٍ قد أعملت مجدافي لسبر الغور، ونزحت مائي، وروحت عما في جوفي، وغسلت

[١٣٦] يتنبأ الفلاح أن شدة حزنه وقوة توبيخه لا بد أن تؤديا إلى نزاع، وأنه يحذر «رنزي» أن ساعة العقاب ربما كانت أقرب مما يتصور.

[١٣٧] العبارة غامضة، ولكن يظهر أن التشبيه هنا يرسم لنا صورة «رنزي» في صورة مَن فقد زمام إدارة البلاد؛ لأنه ليس في استطاعته أن يصل إلى عمقها.

[١٣٨] المعنى غامض، وقد يكون: دعنا نبدأ من جديد.

[١٣٩] يقصد بهذا التلويح «تحوت نخت» وأمثاله الذين ينهبون دون أن يُقدَّموا إلى المحاكمة.

كتاني (ملابسي) القذر، والآن قد انتهى خطابي وانتهى بؤسي في حضرتك، فما الذي تطلبه الآن؟[١٤٠]

إن خمولك سيضلل بك، وشراهتك ستغشك، وإن عدم اكتراثك سيولد لك أعداء، ولكن هل يمكنك أن تجد فلَّاحًا آخَر مثلي؟ وهل الشاكي يقف على باب بيت الخامل؟ على أنه لا يوجد إنسان صامت قد أنطقته، ولا نائم قد أيقظته، ولا مكتئب قد نَشَّطْتُه، ولا إنسان فمه مغلق قد فتحته، ولا جاهل قد جعلته يعرف، ولا غبي قد علمته، (ومع ذلك) فإن الحكام هم الذين يقصون السوء، وأرباب الخير هم أصحاب فن ليصنعوا أي شيء كائن، ويصلوا الرءوس التي قد فصلت «عن أجسامها».»

الشكوى الثامنة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثامنة فقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، إن الناس يتحملون السقوط البعيد بسبب الطمع، والرجل الجشع يعوزه النجاح، ولكنه ينجح في الخيبة. إنك جشع وذلك لا ينسجم معك، إنك تسرق وذلك لا يفيدك، أنت يا مَن يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته الحقة، ذلك لأن ما يقيم أودك في بيتك، ولأن جوفك قد ملئ، ولأن مكيال القمح قد طفح، وإذا اهتز فإن الفائض منه يبعثر على الأرض.

آه أنت يا مَن يجب عليه أن يقبض على اللص، ويا مَن يبعد الحكام وقد نصبوا ليدرءوا السوء، وهم حمى الساخط، والحكام قد نصبوا ليكبحوا الكذب، وليس الخوف منك هو الذي يجعلني أشكو إليك، إنك لا تبصر (ما في) قلبي، وإنه لإنسان صامت مَن يجعله يرتد دائمًا عن توبيخك، ولا يخاف ممَّن يطالبه بحقوقه، وإن أخاه لا يؤتى به لك من قارعة الطريق.[١٤١]

إنك تملك حقلك في الريف، ومكافأتك (أرضك) في ضياع الملك، وخبزك في المخبز، والحكام يعطونك، ومع ذلك تغتصب! هل أنت لص؟ هل يحضر إليك بجنود لتصاحبك عند تقسيم الحقول (معك).[١٤٢]

---

[١٤٠] ما الذي تحتاجه أكثر من ذلك.

[١٤١] هنا يفاخر الفلاح بأن مثيله لا يوجد في أي ركن من أركان الطريق.

[١٤٢] هل تأخذ معك جنودًا لتساعدك على السرقة عندما تقسم قطع الأرض.

أقم العدل لرب العدل، والذي عَدْلُ عدالته موجود.[١٤٣] وأنتَ يأيها القلم، وأنتِ يأيتها البردية، ويأيتها الدواة، ويا «تحوت» ابتعدوا عن عمل السوء، وعندما يكون الحسنُ حسنًا فالأمر إذن حسن، غير أن العدل سيكون إلى الأبد، ويذهب مع مَن يعمله إلى الجبانة، وسيدفن وتطويه الأرض، أما اسمه فلن يُمحَى من الأرض، بل سيذكر للخير، وهكذا القانون في كلمة الله.[١٤٤] فهل هو ميزان؟ إذن لا يميل. هل هو لسان الميزان؟ إذن لا يحيد إلى جانب (لا يزن غشًّا). وإذا حضرتُ أو حضر غيري فخاطبه، ولا تجيبن كإنسان يخاطب رجلًا صامتًا، أو كإنسان يهاجم مَن لا يمكنه أن يهاجم، إنك لا تظهر الرحمة، إنك لا تضعف، إنك لا تَبيد (؟)، إنك لا تعطيني مكافأة على تلك الخطب التي تخرج من فم «رع» نفسه، انطق بالعدل وأقم العدل لأنه خطير، وعظيم، ويعيش طويلًا، والثقة به قد عرفت، فهو يؤدي إلى العمر الطويل المحترم. هل الميزان يحيد؟ فإذا كان الأمر كذلك، فإن ذلك يكون بسبب كفتيه اللتين تحملان الأشياء.[١٤٥] ولا يجوز وجود الظلم مع القانون، وإن العمل الحقير لا يصل إلى المدينة، على أن أصغر الأشياء (؟) سيصل إلى الريف.»

الشكوى التاسعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح إليه للمرة التاسعة ليشكو فقال: «يأيها المدير العظيم للبيت، يا سيدي، إن لسان الناس ليس إلا لسان ميزانهم، وهو الميزان الذي يبحث عن نقائصهم،[١٤٦] وقع العقاب على مَن يستحق العقاب، على أنه لا شيء يماثل استقامتك ... والكذب قد انتهى عمله (؟) والصدق يرجع معارضًا له (الكذب) (؟)، إن الصدق هو ثروة (؟) الكذب، إنه ينمِّي (؟) وإنه ... وإذا مشى الكذب في «الخارج» فإنه يضل، ولن يعبر في قارب التعدية، ولن يقوم بأي تقدم (؟)، أما مَن تنمو ثروته به فلن يكون له أطفال، ولن يكون له وارث على الأرض، ومَن يسيح به «بضاعة» لن يصل إلى بر، وسفينته لن ترسو على مدينته.

لا تكونن ثقيلًا يا مَن لست خفيفًا، ولا تتوانينَّ يا مَن لا يسرع، لا تكونن متحزبًا، ولا تصغينَّ لقلبك، ولا تسترنَّ وجهك من إنسان تعرفه، ولا تتعامينَّ عن إنسان قد رأيته،

---

[١٤٣] ربما يقصد برب العدل إله الشمس «رع» الذي يعيش بالعدل.

[١٤٤] هذا هو القانون الذي رسمته كلمة الله العليا.

[١٤٥] الثقل والأشياء التي تُوزَن.

[١٤٦] أي إن كلام الناس يدل على طبيعتهم الحقة.

ولا تردنَّ إنسانًا يشكو إليك، واترك هذا الخمول حتى إن حكمتك (القائلة): «افعل الخير لَمن يفعله لك.» يمكن أن تُروَى إلى مسامع كل الناس، وحتى يرجع إليك الناس فيما يتعلق بمطالبهم الحقة. والخامل لا أمس له،[١٤٧] والأصم عن العدل لا رفيق له، والرجل الجشع لا فراغ لديه (إجازة)، وذلك الذي يوجِّه إليك التهمة يصير رجلًا فقيرًا، والفقير سيصير شاكيًا، والعدو يصبح ذابحًا (للفلاح). تأمَّلْ، إني أشكو إليك وأنت لا تسمع شكواي، فسأذهب وأشكو منك إلى «أنوبيس».»[١٤٨]

الخاتمة

وبعد ذلك أمر «رنزي» بن «مرو» المدير العظيم للبيت اثنين من الحُجَّاب ليذهبا ويحضراه ثانية، وقد خاف هذا الفلاح ظنًّا منه أن ذلك قد عُمِل لمعاقبته على الخطبة التي فاه بها.

فقال هذا الفلاح: «مَثَل اقتراب الظمآن من الماء ووصول الشفة التي تتحرق إلى اللبن، كمَثَل الموت الذي يتاق إلى رؤيته في مجيئه عندما يأتي متباطئًا.»

ولكن المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» قال: «أيها الفلاح، انظر، جهِّزْ نفسك على أن تسكن معي.»

فقال هذا الفلاح (؟): «هل سأعيش قائلًا دعني آكل من خبزك، وأشرب من «جعتك» إلى الأبد؟!»

فقال المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو»: «لا بأس، انتظر هنا حتى يمكنك أن تسمع شكاياتك.» ثم أمر بقراءتها من ملف بردي جديد، كل شكوى على حسب محتوياتها، ثم إن المدير العظيم للبيت «رنزي» بن «مرو» أمر بإرسالها إلى جلالة الملك المرحوم «بنكاورع»، وقد سُرَّ منها جلالته أكثر من أي شيء في الأرض قاطبة، وقال جلالته: «اقضِ أنتَ بنفسكَ يابن «مرو» (في هذا الأمر).»

فأمر (المدير العظيم) للبيت «رنزي» بن «مرو» اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضرا «تحوت نخت»، فأُحضِر وأُحصِيت «كل أملاكه» ... ستة أشخاص خلافًا ... قمحه من

[١٤٧] قد يحتمل: ليس له ذكرى سارة.

[١٤٨] يظهر أن الفلاح يشير إلى اقتراب أجله عندما يكون أنوبيس إلهه، فعندئذٍ يشكو إليه من «رنزي»؛ إما ليصلحه، أو لينجيه من مصير الفلاح نفسه — أي الموت.

الوجه القبلي وشعيره وحميره ... وخنازيره وماشيته الصغيرة ... وقد أُعطِي بيت «تحوت نخت» لهذا الفلاح، وكذلك كل ... قال إلى «تحوت نخت» ...»

لقد انتهت (بسلام كما وُجِدت مدوَّنةً).

(١-٤) قصة الراعي

(أ) مقدمة

أراد أحد كتاب الدولة الوسطى أن يمحو كتابة من ورقة بردية؛[١٤٩] ليستعملها مرة أخرى، فمحا بعضها، وبقي منها خمسة وعشرون سطرًا من وسطها، ولكن هذا الجزء اليسير الذي بقي لنا لا يكفي لنتعرف منه وقائع القصة أو مغزاها؛ لذلك اقتصرنا على تسجيل ما قرأناه منها هنا، وقد يجوز أن يكون موضوع القصة دائرًا حول إلهة نصبت شباكها لراعٍ يعيش مع ماشيته في إحدى مناقع الدلتا.

(ب) متن القصة

... تأمل، فإني عندما ذهبت إلى المستنقع الذي يحف بهذه الأرض المنخفضة، رأيت امرأة هناك، منظرها ليس كمنظر الآدميين، فقف شعري حينما نظرت إلى ضفائرها؛ لأن لون «جسمها» كان لامعًا جدًّا، على أني لن أفعل قط ما قالت، والخوف منها في جسمي.

وإني أقول لك: أنت أيتها الثيران، دعينا نذهب إلى البيت (؟)، دَعِ العجول تعبر، والماعز تبقى في مكان ... مع الرعاة خلفها، أما قاربنا الخاص بالسياحة إلى مأوانا فيوضع في مؤخرته الثيران والأبقار، وفي هذا الحين يقوم أعقل الرعاة بتلاوة تعويذة مائية[١٥٠] ويقول

[١٤٩] See Gardiner Hierat. Papyrus aus den Königl. Museen zu Berlin, II. P. 15: & Erman, The Literature of the Ancient Egypetians P. 35.

[١٥٠] ليمنع التماسيح عن القطعان. والمقصود من ذلك معروف لدينا من مناظر الدولة القديمة، وهو أن الرعاة — الذين كانوا يحضرون الماشية إلى البيت، وكان عليهم أن يعبروا ماء — كانوا يذهبون أولًا في قارب، وكانت الثيران والأبقار تتبعهم عومًا، على حين أن العجول كانت تجر بالمقود، وفي نفس الوقت يقوم الرعاة بعمل إشارة خاصة بأصابعهم كان المفروض فيها أنها تبعد التماسيح عن القطعان.

هكذا: «إن أرواحي[١٥١] (كاوو) مبتهجة.» وأنتم أيها الرعاة، وأنتم أيها الناس، لن يقدر أحد أن يطردني من هذا الحقل حتى في عام نيله مرتفع، يشرف فيه على هضاب الأرض، ولا يمكن أن تميز فيه البركة من النهر.[١٥٢]

اعمد إلى بيتك،[١٥٣] أما الماشية التي كانت قد بقيت فقد عادت، والخوف منك قد زال، والرهبة منك قد تلاشت، وحتى يمحى الرعب من «الواحدة القوية»، والخوف من «سيدة الأرضين».[١٥٤]

ولما ظهر النور على الأرض في الفجر الأول نفذ ما قال. وهذه الإلهة قابلته بينما كان يعرج في طريقه إلى البركة، وقد خلعت ملابسها ونفشت شعرها ...

(١-٥) قصة هلاك الإنسانية

(أ) ملخصها

شعر الإله «رع» إله الشمس أنه صار مسنًّا، وأن رعيته من بني الإنسان يتآمرون على قتله، فاستنجد بالإلهة «حتحور» التي تُسمَّى في هذه القصة «عين رع»؛ لتقضي على بني الإنسان جملةً، ولكنها بعد أن بدأت عملها عَزَّ على الإله «رع» ذلك، فدبَّرَ طريقة ينقذ بها مَن بقي من البشر، ويخلصهم من بطش هذه الإلهة، وتم له ذلك بمعونة شراب الجعة الذي حبب إلى قلبها، فاحتست منه حتى ثملت ولم تَعِ ما كانت تريد.

(ب) دراسة القصة

تمثِّل لنا هذه القصة — أو بعبارة أدق هذه الخرافة — نوعًا من الشعر القصصي الذي يدور حول «الإلهة حتحور» إلهة السماء، والإله «رع» إله الشمس، وقد حُفِظت لنا بتوفيق غريب؛ إذ إنها كانت قد نُقِلت في كتاب تعويذات سحرية، وقد نُقِش هذا الكتاب على جدران

---

[١٥١] كان للكائنات الإلهية أرواح (كاوو) عدة.

[١٥٢] أي إن البركة والنهر يكونان كتلة واحدة من الماء بسبب ارتفاع النيل.

[١٥٣] قد يكون هذا جواب الرعاة الآخرين.

[١٥٤] لا بد أن المقصود بذلك إلهة عظيمة؛ نظرًا لهذه الألقاب.

مقبرة الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة، ثم على جدران مقبرة رعمسيس الثالث من الأسرة العشرين. ووردت هذه القصة فيما نُقِش باعتبارها جزءًا من هذا الكتاب كما وُجِدت مكتوبة على «ناووس» «توت عنخ آمون» الخشبي (ولم تُنشَر بعدُ)، غير أنه من النقشين الأولين — وإنْ وُجِدا مهشمين — استطعنا أن نحصل على نص كامل تقريبًا لهذه الخرافة، ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى الدولة الوسطى، والمرجح أنها كُتِبت في بدايتها.

على أن أول ما يسترعي النظر في أسلوب هذه القصة هو سذاجة التعبير، والتكرار الممل، كالذي نسمعه في بيوتنا عندما تُقَصُّ علينا خرافة من الخرافات، يضاف إلى ذلك أن القصة تحتوي على اشتقاقات لغوية خاصة بأسماء الآلهة تلفت نظر المشتغلين باللغة المصرية، وكذلك نجد فيها صورة طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التي كان لا بد منها في الطقوس المصرية.

أما أهم ما يلفت النظر فيها من حيث القصص، فهو وجه الشبه بين قصة الطوفان الذي جاء ذكره في الكتب المقدسة، والذي كان من جرَّائه فناء الإنسانية تقريبًا، وبين فيضان الشراب الذي غمر البلاد المصرية في قصتنا، مع الفارق أن الخيال المصري في قصتنا قد قلب الطوفان الذي أُرسِل هناك لهلاك البشر، ليكون حافظًا ورحمةً لهم هنا. ولكننا نذكر هذه المقابلة بشيء كبير من التحفُّظ المقرون بالشك، وسيبقى هذا الشك موجودًا إلى أن تصل إلينا وثائق أخرى تثبت حدوث هذا الطوفان في مصر، وبخاصة إذا علمنا أن «أفلاطون» قد أنكر ذلك (Timaeus P. 22 ff).

والواقع أنه لا يوجد في الوثائق المصرية خرافة خاصة بالطوفان، والمصدر الوحيد الذي تلمح فيه عن بُعْدٍ إشارةً عن الطوفان هي الخرافة الخاصة «بأوزير» أو «حور» جَدِّ بني الإنسان؛ إذ نرى فيها الإله يطفو على سطح الماء في صندوق عند ولادته، أو عند موته، حسب الإله المذكور إن كان «أوزير» أو «حور» (انظر Max Müller Egyptian Mythology P. 76 ff).

(ج) المصادر

أول مَن بحث هذه القصة هو الأستاذ «نافيل»، ثم ترجمها بعده «ماكس مولر»، فالأستاذ «إرمان»:

(1) Naville. Transactions of the Soc. of Bib. Arch IV P. 1–9.
(2) Max Müller Egyptian Mythology. P. 73 ff.

(3) Erman. The Literature of The Ancient Egyptians P. 47 etc.
(4) Roeder Urkunden. zur Religion des Alten Agypten P. 141.

(د) متن القصة

... الإله الذي أوجد نفسه عندما كان ملكًا على الآلهة والناس جميعًا، وقد دبَّرَ له بنو البشر مؤامرة، وقد كان جلالته وقتئذٍ متقدمًا في السن، وكانت عظامه من فضة، ولحمه من ذهب، وشعره من اللازورد الحقيقي (الظاهر أن هذه كانت أمارات على كبر السن في الآلهة).

ولكن جلالته قد فطن لما يدبِّره ضده بنو البشر، وعند ذلك قال جلالته لَمن كانوا في حاشيته: تعالوا ونادوا إليَّ عيني، وكذلك «شو» و«تفنوت» و«جب» و«نوت»، ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا في صحبتي عندما كنتُ لا أزال في نون (المحيط الأبدي)، وكذلك نادوا إلهي «نوت» نفسه ودعوه يُحضر معه حاشيته، ويجب عليكم أن تحضروهم سرًّا حتى لا يراهم بنو الإنسان، فيأخذ قلوبهم الفزع، ويجب عليكم أن تحضروا معهم إلى القصر العظيم حتى يمدوني بنصيحتهم.

من أجل ذلك حضر هؤلاء الآلهة، وهؤلاء حضروا أمامه ولمسوا الأرض بجباههم في حضرة جلالته، لأجل أن يقول كلماته في حضرة والد أكبرهم سنًّا «نون»، ذلك الذي سوى بني البشر وملك الناس.

فقالوا لجلالته: تحدَّث إلينا حتى نسمع حديثك. فقال «رع» للإله «نون»: يا أسن إله به جئت للوجود، وأنتم أيها الآلهة الأقدمون، انظروا إلى بني البشر الذين أتوا للوجود بعيني، فقد دبَّروا مؤامرة ضدي، فأخبروني ما عساي أفعل في ذلك. تأملوا، فإني لا زلت أبحث، ولن أذبحهم حتى أسمع رأيكم في ذلك. عندئذٍ قال جلالة «نون»: يا بني «رع»، أنت أيها الإله الذي هو أعظم من الذي خلقه وأسن من الذين سووه، ابقَ حيث أنت؛ فإن الخوف منك سيكون عظيمًا، إذا التقت عينك بمَن تخيل لك سوءًا. فقال جلالة «رع»: انظر، إنهم قد هربوا إلى الصحراء لأن قلوبهم في وجل مما قالوا. وعندئذٍ قالوا لجلالته: أرسل عينك لتذبحهم لك ... لتذبحهم لك عندما تنزل بصورة «حتحور».

وهكذا عادت هذه الإلهة بعد أن قتلت بني الإنسان في الصحراء، وقال جلالة هذا الإله: مرحبًا مرحبًا يا حتحور، لقد فعلت ما أرسلتك من أجله. فقالت له هذه الإلهة: بحياتك لقد تغلبت على بني البشر وقلبي فَرِح لذلك ...[١٥٥]

وقال «رع»: تعالوا نادوا رسلي المسرعين في العَدْو حتى يعدوا مثل ظل الجسم. وقد أحضر هؤلاء الرسل، فقال لهم جلالة هذا الإله: أسرعوا إلى الفنتين (أسوان)، وأحضروا لي كمية عظيمة من الطَّفْل الأحمر. فأحضر له هذا الطفل الأحمر، ثم إن جلالة هذا الإله العظيم أمر الإله «ذو الذؤابة» الذي في عين الشمس أن يطحن هذا الطفل الأحمر، ثم أعدت الخادمات شعيرًا للجعة، وأضيف له هذا الطفل المطحون، فصار يشبه الدم البشري، ثم جهز ٧٠٠٠ إبريق (هنت) من الجعة، ثم حضر جلالة الملك «رع» ملك الوجهين القبلي والبحري وبصحبته هؤلاء الآلهة ليروا هذا الشراب، وانقلق صبح اليوم الذي كانت ستذبح فيه الإلهة بني الإنسان في وقت ذهابهم إلى النهر، وقال جلالة هذا الإله: إنها حسنة جدًّا، سأحمي بها بني الإنسان (؟). وقال «رع»: احملوها الآن إلى المكان الذي قالت عنه إنها ستقتل فيه بني الإنسان. وبكر جلالة «رع» ملك الوجه القبلي والوجه البحري في أعماق الليل ليصب هذا الشراب المنوم (؟) والحقول التي ... قد مُلِئت بالشراب بقوة جلالة هذا الإله.

وفي الصباح ذهبت الإلهة ووجدتها غطيت بالفيضان، وكان وجهها جميلًا فيه (أي في الفيضان) فشربت، وكان الشراب لذيذًا إلى قلبها فسكرت، ولم تعِ بني الإنسان.

(١-٦) قصة الملك خوفو والسحرة

عندما تقرأ هذه القصة تلمس في أسلوبِها والغرضِ منها روحَ قصص «ألف ليلة وليلة»، فهي سلسلة من القصص تُعتبَر الأولى من نوعها، قد صيغت باللغة المصرية الحديثة التي ساد استعمالها في عهد الدولة الحديثة، وبقيت اللغة الرسمية للبلاد إلى أمد بعيد من ألف السنة الأولى قبل الميلاد، وأظهر مميزات هذه اللغة الجديدة: اختفاء الضمير المتصل الذي كنَّا نجده في اللغة القديمة يحتل آخِر الكلمة، فمثلًا كلمة «بيتي» كانت تُكتَب في اللغة

[١٥٥] يأتي بعد ذلك قطعة غامضة، يمكننا أن نحكم من سياق ما سيأتي أنها كانت تحتوي على ندم «رع» على ما فرط منه، وعزمه على إنقاذ البقية الباقية من بني الإنسان.

القديمة كلمة واحدة، ولكنها في اللغة الحديثة أصبحت تُكتَب كلمتين: الضمير ويُوضَع في أول الكلمة، والكلمة نفسها وتأتي بعد ذلك، كما في اللغات الأوروبية. يضاف إلى ذلك اختفاء بعض صيغ قديمة، واستحداث عدد عظيم من الأدوات لم تكن موجودة من قبلُ، ولا يفوتنا أن هذه اللغة الحديثة لم تصر اللغة الرسمية للبلاد إلا بعد مائتي سنة على ظهور قصتنا، وذلك في عهد الفرعون «إخناتون»؛ حيث أخذت اللغة القديمة تتوارى وتختفي.

(أ) ملخص القصة

«خوفو» باني الهرم الأكبر جمع أولاده يومًا، وطلب أن يقصَّ عليه كلٌّ منهم قصة غريبة تتناول السحر ومعجزاته فيما مضى من الدهور، فأخذوا يتناولون الحديث، إلى أن قام أحدهم وذكر قصةً عن ساحر لم يَزَلْ على قيد الحياة يأتي بخوارقِ الأمورِ، وأحضره فعلًا أمام الملك، فبعث الحياة مرة ثانية إلى حيوانات فُصِلت رءوسها عن أجسادها، فلما رأى الملك قدرته على إحياء الموتى طلب أن يعرف منه عدد أقفال معبد الإله «تحوت»، فاعتذر بأنه لا يعرف عددها، وإن كان يعرف مكانها، وأن رجلًا واحدًا هو الذي يستطيع الإتيان بها للملك، وهذا الرجل لم يُولَد بعدُ، ولا يزال مع أخويه في بطن أمه، وهي كاهنة «رع»، وقد قدر لأولادها الثلاثة أن يحكموا ثلاثة أجيال.

فهلع قلب الملك «خوفو» لما سمع من كلام الساحر؛ خشيةً على ملكه أن يتوارثه غير أبنائه، فسأل الساحر مرة أخرى عن موعد ولادة هؤلاء الإخوة الثلاثة، فأجابه الساحر، ومن ثَمَّ شغل بأمر الكاهنة وأخذ يترقب ولادتها، وظهر أثناء ذلك بعض المعجزات السحرية سيراها القارئ في متن القصة.

(ب) دراسة القصة

تتميز في هذه القصة مرحلتان متباينتان:

الأولى: ما سرده أولاد الملك من قصص السحرة.

والثانية: ما حكت أمر الأطفال الثلاثة الذين سينتقل إليهم زمام الأمر في البلاد.

ووصل المؤلف بين المرحلتين بإقحام البحث عن مفاتيح الإله «تحوت» رب العلم والسحر؛ ليخلق بذلك مناسبة لذكر الأطفال الثلاثة الذين أَسَّسوا — بعد أن شبوا وصلبت قناتهم — الأسرة الخامسة.

وهذه القصص تكوِّن وحدة متماسكة الأجزاء، كان الغرض منها أولًا تسلية الملك وإدخال السرور على قلبه، وانتهت في مرحلتها الأخيرة بالدعاية لملوك الأسرة الجديدة، وأنهم من نسل «رع»، ولذلك أَسَّسَ كلٌّ منهم معبدًا للشمس قائمًا بذاته، وهي في جملتها تمجيد لفن السحر، وحرب على الرذائل الخلقية، فالزانية فيها قد أُحرِقت، والزاني أُلقِي طعامًا للتمساح.

ويمكننا أن نلقي ضوءًا على نهاية القصة الغامضة، فنقول بأغلب الظن: إن مساعي الملك لقتل هؤلاء الأطفال لم تنجح، فشبوا وترعرعوا ونصبوا ملوكًا متتابعين، والقصص التي من هذا النوع كثيرة، مثل قصة الحكماء الثلاثة الذين أتوا من المشرق (إنجيل متى، الإصحاح الثاني).

قلنا: إن هذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء، وبعبارة أوضح نستطيع أن نقول إنها قصة واحدة، فإن اقتطاع جزء منها، أو الاقتصار على قصة واحدة من قصصها يُظهِرها لنا ناقصة شوهاء، لا تؤدي إلى الغرض الذي سِيقَتْ من أجله.

وإذا نظرنا إلى هذه القصة باعتبارها أدبًا قصصيًّا، حكمنا بأنها ليست من النوع الراقي، وإذا نظرنا إليها باعتبارها قصصًا قوميًّا رأينا أنها في بابها قطعة فنية تستحق الذكر.

ولا تظن أن القصص القومي الذي يميل إليه جمهرة الشعب ويتفهمونه في سهولة ويسر لا صنعة فيه ولا يستلزم حذقًا ومهارة، فإنه استعداد وقدرة ومران على ما تواضَعَ عليه القُصَّاص وروَّاد مجالسهم، فتتربى عند الواحد مَلَكة يستطيع بها إذا سمع قصة أن يلحقها بشبيهة لها وردت على أذنه من قبلُ، فهي بهذا حرفة وفن وتقاليد موروثة؛ ومن هنا أتت شهرة القصاص الأذكياء الذين يدركون ذوق جمهور المستمعين، فيغذونهم بما يناسبهم، ويكافئهم هؤلاء بالتهافت على مجالسهم، والتحدث بمواهبهم.

ومع ذلك فإنه إذا صيغ هذا النوع من القصص في ثوب جميل من الأساليب، كانت له قيمته العظيمة، كما تشاهد ذلك في قصص الدولة الوسطى، وسيرى القارئ عند الكلام على شكاوى «خع – خبر – رع – نب» أن المؤلف كان يندب حظ الأسلوب الأدبي في الكتابة ويقول عنه: إنه أصبح خاليًا من كل تنميق.

وهذا النقد نراه ظاهرة في كل آداب العالم، فإذا ساد لون منه عصرًا من العصور قام مَن ينادون بتغييره؛ لأن الجدة والتغيير ترتاح إليهما النفوس كثيرًا، كما نرى الآن بين أنصار الأدب القديم وأنصار الأدب الجديد، وبين أنصار الأدب المحتشم والأدب المكشوف، وبين أنصار العربية والعامية.

(جـ) المصادر

أول مَن عني بترجمة هذه القصة هو الأستاذ «أدلف إرمان»، والبردية التي وُجِدت مكتوبة عليها تُعرَف باسم ورقة «وستكار»، وأحدث ترجمة لها هي التي تجدها في كتاب «إرمان» في الأدب المصري القديم، وقد بحث موضوعها وعلَّقَ عليها غيره من علماء المصرية. وهاك المصادر التي يمكن الرجوع إليها، والاعتماد على ما جاء فيها:

(1) Erman: The Literature of the Ancient Egyptians P. 86 ff.

(2) Peet: A comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia. P. 41 ff.

(3) Max Pieper: Die Agyptische Literatur. P. 55 ff.

(4) Maspero: Popular stories of Ancient Egypt P. 21 ff.

(5) A. Wiedeman: Altaegyptische Sagen und Marchen. Leipzig. 1906.

(د) متن القصة

(أول هذه القصص خاص بحوادث في عهد الملك «زوسر»، غير أنه لم يُحفَظ منها إلا الخاتمة، وفيها يأمر الملك «خوفو» — اعترافًا منه بأعمال هذا الملك «زوسر» وساحره (رئيس المرتلين)[١٥٦] — بتقديم مأكولات لهما تُوضَع في قبريهما.)

ثم قام الأمير «خفرع»[١٥٧] يتكلم وقال: «أنا أقص على جلالتك أعجوبة حدثت في عهد والدك «نبكا»[١٥٨] حينما ذهب إلى معبد «بتاح» في «منف»؛ وذلك أنه حينما ذهب جلالته إلى منف، زار رئيس المرتلين «وباونر» أيضًا ...

---

[١٥٦] المرتل هو الكاهن المتعلم الذي يعرف الكتب المقدسة، وهو لذلك ساحر متفوق.

[١٥٧] باني هرم الجيزة الثاني.

[١٥٨] نبكا وزوسر من ملوك الأسرة الثالثة.

وكان لـ «وباونر» هذا زوجة قد أغرمت بحب أحد سكان المدن، وقد كانت على اتصال معه بوساطة خادمة، وقد أرسلت له صندوقًا مفعمًا بالملابس هدية له، وحضر مع الخادمة.

وبعد أن مضت عدة أيام،[١٥٩] كان يوجد منزَه على بحيرة[١٦٠] «وباونر»، فقال ذلك المواطن لزوج «وباونر»: لماذا؟ إنه يوجد منزه في بحيرة «وباونر». انظري، سنمكث فيه معًا. فأرسلت زوجة «وباونر» إلى مدير البيت المشرف على البحيرة قائلة: «جهِّزْ[١٦١] بيت النزهة الذي في البحيرة.» وبعد ذلك ذهبت هناك وقضت اليوم تشرب مع ذلك المواطن حتى مغرب الشمس، ولما حان وقت الغروب ذهب إلى البحيرة ووقفت الخادمة لقضاء حاجته كأنها خادم حمام، وقد لمحها رئيس البيت.

ولما أضاءت الأرض وحلَّ اليوم التالي،[١٦٢] ذهب مدير البيت وأخبر سيده بالأمر ... فقال «وباونر»: «اذهب وأحضر لي ... من العاج والذهب.» وبهذه الآلة صنع تمساحًا من الشمع طوله سبعة أشبار، وتلا عليه تعويذة وقال: «إن مَن يأتي ليستحمَّ في بحيرتي اقبض عليه.» وأعطاه مدير البيت وقال له: «حينما ينزل المدني إلى بحيرتي على حسب عادته اليومية، ألقِ التمساح وراءه في الماء.» وعلى ذلك ذهب مدير البيت في سبيله وأخذ تمساح الشمع معه.

وأرسلت زوجة «وباونر» إلى مدير البيت الذي كان مشرفًا على البحيرة قائلة: «جهِّزْ بيت النزهة الذي على البحيرة. انظر، إني سأسكن فيه.»

فأثَّثَ بيت النزهة بكل شيء جميل، ثم ذهبتا[١٦٣] وقضتا يومًا بهيجًا مع المدني.

وعندما حان الغروب جاء المدني على حسب عادته اليومية، وألقى مدير البيت تمساح الشمع وراءه في الماء، فانقلب إلى تمساح طوله سبعة أذرع، وقبض على المدني ... ولكن «وباونر» مكث مع جلالة الملك «نبكا» سبعة أيام، وفي هذه الأثناء كان المدني في الماء من

---

[١٥٩] اصطلاح ثابت في القصص المصرية، ولا يؤخذ به حرفيًّا، وسنراه كثيرًا فيما يلي.

[١٦٠] يقصد بذلك حديقة كبيرة فيها بركة وخيمة على حسب العادة المصرية (cf. A. M. Blackman Luxor and its Temples PP. 10 f).

[١٦١] بالمؤن وغيرها.

[١٦٢] اصطلاح ثابت أيضًا.

[١٦٣] الزوجة وخادمتها.

غير تنفس، ولما انقضت سبعة الأيام أتى الملك «نبكا» ... وحضر أمامه رئيس المرتلين «وباونر»، ثم قال «وباونر»: «... ليت جلالتك تأتي وتشاهد الأعجوبة التي حدثت في عهد جلالتك.» فذهب الملك معه، ثم نادى «وباونر» التمساح وقال: «أحضر إلى هنا المدني.» وعلى ذلك خرج التمساح وأحضره ... فقال جلالة الملك «نبكا»: «أستميحك عفوًا، ولكن هذا التمساح مخيف (؟).» وعند ذلك انحنى «وباونر» وأخذه، فصار تمساحًا من شمع في يده.

وبعد ذلك قصَّ رئيس المرتلين «وباونر» على جلالة الملك «نبكا» هذا الأمر الذي فعله المدني في بيته مع زوجه، فقال جلالته للتمساح: «خذه فهو ملكك.»

وعندئذٍ غاص التمساح في أعماق البحيرة، ولم يعرف أحد المكان الذي ذهب إليه معه.

وأمر جلالة الملك «نبكا» أن تُؤخَذ زوج «وباونر» إلى الحقل الذي في شمال مقر الملك، وأُشعِلت النار فيها، وأُلقِي برمادها في النهر.

«انظر، إن هذه أعجوبة حدثت في عهد والدك «نبكا»، وهي من أعمال رئيس المرتلين «وباونر» العظيمة.»

فقال جلالة الملك «خوفو»: «فليقدم للملك «نبكا» ألف رغيف من الخبز، ومئة إناء من الجعة، وثور، وكيلان من البخور، وليُعْطَ رئيس المرتلين «وباونر» فطيرة، وإبريقًا من الجعة، وقطعة كبيرة من اللحم، وكيلًا من البخور؛ لأني رأيت مثلًا من علمه، وقد نفَّذَ كلَّ ما أمر به جلالته.

ثم وقف الأمير «بوفرع» ليتكلم وقال: «أقص عليك أعجوبة حدثت في عهد والدك «سنفرو»،[١٦٤] وهي من الأعمال العظيمة التي قام بها رئيس المرتلين «زازا معنخ»، وذلك أنه ذات يوم كان الملك «سنفرو» حزينًا، ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية، ولكنه لم يجد شيئًا، وعند ذلك قال: اذهب وأحضر لي رئيس المرتلين «زازا معنخ». فأُحضِر إليه في الحال، فقال له جلالته: «لقد جمعتُ رجال القصر جميعًا ليجدوا لي تسلية، ولكن لم أجد.»

فقال له «زازا معنخ»: «إذا ذهبت جلالتك إلى بحيرة البيت العظيم،[١٦٥] اركب قاربًا كل ما فيه عذارى من إماء قصرك، عندئذٍ قلب جلالتك ينشرح حينما ترى كيف يجدفن جيئة

[١٦٤] الملك الذي حكم قبل خوفو مباشرة.

[١٦٥] أي القصر.

وروحة، وعندما ترى الأماكن اللطيفة التي على البحيرة، وتنظر إلى حقولها وشاطئيها الجميلين، فإن قلبك ينشرح بذلك.»

فقال له جلالته: «سأفعل هذا، عُدْ إلى منزلك (؟) وسأذهب لأجدف، فليؤتَ إليَّ بعشرين مجدافًا من الأبنوس مرصَّعة بالذهب، ومقابضها من خشب «سكب» مطعمة بخالص النضار.

فَلْيؤتَ إليَّ بعشرين امرأة ممَّن لهن أجمل الأعضاء، وصدورهن رشيقة، وشعورهن مجدولة ممَّن لم يلدن بعدُ، وفوق ذلك أحضروا لي عشرين شبكة، وأعطوها النساء بدلًا من ملابسهن.» وقد نُفِّذ كل ما أمر به جلالته، وجدفن جيئة وروحة، وكان قلب جلالته فرحًا حينما رأى كيف يجدفن.

ثم تعثرت قائدة[١٦٦] منهن في جدائل شعرها، وسقطت سمكة حلي[١٦٧] من «الملخيت» الجديد في الماء، فسكتت[١٦٨] ولم تَعُدْ تجدف، وسكت الصف الذي كانت تقوده وانقطع عن التجديف، عندئذٍ قال جلالته: «لماذا لا تجدفن؟» فقلن: «إن قائدتنا صامتة ولا تجدف.»

فقال لها جلالته: «لماذا لا تجدفين؟»

فقالت: «إن السمكة — من الملخيت الجديد — قد سقطت في الماء.» فأحضر إليها أخرى وقال: «إني أعطيك هذه بدلًا.» فقالت: «إني أريد قعبي حتى قاعه.»[١٦٩]

عندئذٍ قال جلالته: «اذهب وأحضر إليَّ رئيس المرتلين «زازا معنخ».» فأُحضِر فورًا، وقال جلالته: «يا زازا معنخ، يا أخي، لقد فعلت كما قلت، وقد سُرَّ قلب جلالتي حينما نظرت كيف يجدفن، ولكن سمكة حلي من الملخيت الجديد لقائدة قد سقطت في الماء، فسكتت ولم تجدف، وبذلك أضرب صفها عن التجديف، وقد قلتُ لها: لماذا لا تجدفين؟ فقالت لي: إن سمكة حلي من الملخيت الجديد قد سقطت في الماء، فقلت لها: جدفي وأنا أعطيك بدلها. فقالت لي: إني أريد قعبي حتى قاعه.»

---

[١٦٦] يحتمل أن البنات كُنَّ يجلسن في صفين، لكل منهما قائدة تقود التجديف.

[١٦٧] يظهر أن النساء عند التجديف كُنَّ يلبسن حلية للشعر على شكل سمكة. (See Blackman. Journ. of Egypt. Archaeology. XI PP. 212 f).

[١٦٨] كان البنات يغنين أثناء التجديف للتسلية كما يفعل البحَّارة الآن على المراكب النيلية.

[١٦٩] إني أريد حقي كاملًا. (إني أفضِّل سمكتي على شبيهتها (المترجم).)

وعندئذٍ تلا «زازا معنخ» رئيس المرتلين عزيمة سحرية، وجعل ماء أحد جانبي البحيرة على الجانب الآخَر،[١٧٠] ووجد سمكة الحلي موضوعة على قطعة خزف، فأحضرها وأعطاها صاحبتها، أما الماء فكان عمقه اثني عشر ذراعًا في الوسط، وقد بلغ أربعة وعشرين ذراعًا حينما رُفِع، وعند ذلك تلا تعويذة سحرية فردَّ ماء البحيرة ثانيةً إلى مكانه.

وقضى جلالته كل اليوم في سرور مع كل القصر، وكافَأَ رئيس المرتلين «زازا معنخ» بكل الأشياء الطيبة.

انظر! إنها أعجوبة حدثت في عهد والدك «سنفرو»، وهي من أعمال رئيس المرتلين ناسخ الكتاب «زازا معنخ».

فقال جلالة الملك «خوفو»:[١٧١] «فَلْيُقدَّم إلى جلالة الملك «سنفرو» مائة رغيف من الخبز، ومائة إناء من الجعة، وثور، وكيلان من البخور، وَلْيُعْطَ رئيس المرتلين ناسخ الكتاب «زازا معنخ» فطيرة، وإبريقًا من الجعة، وكيلًا من البخور؛ لأني رأيت مثلًا من علمه.»

وقد نفذ كل ما أمر به جلالته.

ثم نهض الأمير «حردادف» ليتكلم فقال: «إنك لم تسمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا، والإنسان لا يستطيع أن يتبيَّن فيها الصدق من الكذب، غير أنه في زمنك هذا يوجد ساحر.»

فقال جلالته: «مَن هو يا «حردادف»، يا بني؟» فأجاب الأمير «حردادف»:[١٧٢] «يوجد مدني اسمه «ددي» يقطن في «دِدْ-سنفرو»[١٧٣] بلغ من العمر مائة وعشرة أعوام، ويأكل خمسمائة وخمسين رغيفًا من الخبز، وفخذ ثور من صنف اللحم، ويشرب مائة إبريق من

---

[١٧٠] أي إنه طوى الماء في البحيرة كما تُطوَى الملابس، وهذه معجزة تشبه التي ذُكِرت في القرآن عن فرعون موسى عندما كان يطارد بني إسرائيل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

[١٧١] For this reading see: Sethe Aegyptische Lesestücke. P. 28.

[١٧٢] For this reading see: Sethe Aegyptische Lesestücke. P. 28.

[١٧٣] مدينة بالقرب من ميدوم الحالية، شمالي مدخل الفيوم.

الجعة، إلى يومنا هذا.[١٧٤] وهو يعرف إلى الآن كيف يُرَكِّبُ ثانيةً رأسًا قد قُطِع، ويعرف كيف يجعل الأسد يتبعه وحبله[١٧٥] يجر على الأرض، وهو يعرف عدد الأقفال التي يحتوي عليها معبد «تحوت».» واتفق أن جلالة الملك «خوفو» كان دائمًا يبحث عن أقفال معبد «تحوت»؛ ليعمل لأفقه[١٧٦] مثلها.»

وعندئذٍ قال جلالته: «أنت بنفسك يا بني «حردادف» ستحضره لي.»

وأعدت سفن للأمير «حردادف» وسافر مصعدًا إلى «دد-سنفرو»، وعندما رست السفن على الشاطئ سافر برًّا جالسًا في محفة من الأبنوس، قوائمها مصنوعة من خشب «سسنم» ومطعمة بالذهب.

ولما وصل إلى «ددي» وضعت المحفة على الأرض، ووقف يسلم عليه، فوجده جالسًا على حصير على عتبة بيته، وكان رأسه قد أمسك به خادم مملسًا عليه، وكان آخَر يدلِّك قدميه.

وقال الأمير «حردادف»: إن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم في السن، وقبل الكبر، وهو بيت الداء، ومكان الكفن، ومحل الدفن؛ (وأنت لا تزال رجلًا) ينام إلى مطلع النهار معافًى من المرض، وبدون أن تتقدم في السن المشينة[١٧٧] (أي التي يجزع الإنسان منها). تحياتي أيها المحترم، لقد أتيت إلى هنا في طلبك برسالة من والدي «خوفو»؛ حتى تأكل أطيب الأشياء التي يعطيها الملك، وهي مأكولات مَن في خدمته، وحتى يوصلك بعد عمر طويل إلى آبائك الذين في عالم الأموات.

فقال «ددي» هذا: «في سلام، في سلام يا «حردادف»، أنت يا ابن الملك الذي يعزه والده! ليت والدك «خوفو» يكافئك، وليته يرفع مكانتك بين الكبار! وليت روحك[١٧٨]

---

[١٧٤] أي إنه لا يزال قويًّا صحيح الجسم، وقد كان المصريون يعتبرون أن مائة وعشرة أعوام آخِر حد للعمر.

[١٧٥] الحبل الذي يقود به الأسد، غير أن الأسد يتبعه على الرغم من أن الحبل يجر على الأرض — أي حبله على غاربه.

[١٧٦] الأفق هو هرم الملك الذي يظن أنه يغرب فيه مثل الشمس.

[١٧٧] يرمي القاص في تحيات الأمير والحكيم إلى أسلوب أعلى؛ ولذا كان من الصعب فهمها.

[١٧٨] الروح هنا ترجمة «كا».

تحارب قرنك! وليت روحك تعرف الـ ... طريق إلى باب «مَن يخبئ الضعف»،[١٧٩] مرحبًا يابن الملك!»

ومدَّ الأمير «حردادف» إليه يده وساعده على القيام، وبعد ذلك ذهب معه إلى شاطئ النهر؛ آخِذًا بيده طوال الوقت.

وقال «ددي»: «مُرْ بسفينة لي لتحضر إليَّ الأطفال[١٨٠] وكتبي معًا.» فوُضِعت تحت تصرفه سفينتان ونواتيهما؛ أما «ددي» فإنه انحدر في النهر في سفينة الأمير «حردادف».

ولما وصل الأمير «حردادف»: إلى مقر الملك دخل ليقدم تقريره للملك «خوفو»، فقال الأمير «حردادف»: «أيها الملك، سيدي، لقد أحضرت «ددي».» فقال جلالته: «اذهب وأحضره لي.»

ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات العمد في القصر، وأحضر «ددي» إليه، وقال جلالته: «كيف كان ذلك يا «ددي»؟! إني لم أرك قطُّ من قبلُ؟»

فقال «ددي»: «إن مَن يُطلَب عليه أن يحضر، إن الملك طلبني، وها أنا قد أتيت.»[١٨١] فقال جلالته: «أصحيح ما يقال من أنك يمكنك أن تركِّب ثانيةً رأسًا قد قُطِع؟!» فقال «ددي»: «نعم، أعرف ذلك يأيها الملك، يا مولاي.» فقال جلالته: «أحضروا لي سجينًا من السجن حتى يوقع عليه عقابه.» فقال «ددي»: «ولكن ليس على رجل[١٨٢] أيها الملك، يا مولاي، انظر، أليس من الخير أن يُجرَّب شيء مثل هذا على الماشية السامية؟»[١٨٣]

فأُحضِرت إليه إوزة ثم فصل رأسها، ووضعت الإوزة في الجانب الغربي من القاعة، ورأسها في الجانب الشرقي منها، وتلا «ددي» تعويذة سحرية، فوقفت الإوزة ومشت، وكذلك فعل رأسها، ولما وصل أحد الجزأين إلى الآخَر وقفت الإوزة وصاحت، وأُحضِرت إليه بطة وعمل فيها بالمثل.

---

[١٧٩] بواب في العالم السفلي.

[١٨٠] تلاميذه؟

[١٨١] المعنى: يقع الوزر عليك إذا لم تكن قد رأيتني حتى الآن؛ وذلك لأنك لم تكن لتسأل عني.

[١٨٢] يصور الحكيم رجلًا إنسانيًّا.

[١٨٣] «سامية» لأنها متاع الملك، ونجد في هذه النقطة عاطفة الشفقة التي أظهرها الساحر، والتي لم نجدها إلا بعد مرور قرون عدة، وأعني أنها عاطفة ظهرت فقط في العصور الحالية.

وأحضر له جلالته ثورًا وجعل رأسه يسقط على الأرض، وتلا «ددي» تعويذته السحرية فوقف الثور وراءه، على حين أن حبله سقط على الأرض،[١٨٤] فقال الملك «خوفو»: «يقال إنك تعرف عدد أقفال معبد تحوت.» فقال «ددي»: «معذرة فإني لا أعرف عددها أيها الملك يا مولاي، ولكني أعرف أين هي.» فقال جلالته: «أين هي؟» فقال «ددي»: «يوجد صندوق من الظران في حجرة تُسمَّى «فهرس هليوبوليس» (انظر إنها) في الصندوق.»[١٨٥] فقال «ددي»: «أيها الملك يا مولاي، انظر، لستُ أنا الذي آتي بها إليك.» فقال جلالته: «مَن الذي يحضرها إذن؟» فقال «ددي»: «إنه أكبر ثلاثة الأطفال الذين في بطن «رد-ددت» الذي سيحضرها لك.» فقال جلالته: «ولكني أرغب في أن تقول مَن هي «رد-ددت» هذه.» فقال «ددي»: «إنها زوجة كاهن «رع» في بلدة «سخبو»،[١٨٦] وهي التي حملت في ثلاثة أطفال «لرع» رب «سخبو»، وقد أخبرها أنهم سيتولون هذه الوظيفة الكبرى[١٨٧] في كل هذه البلاد، وإن أكبرهم سيكون الكاهن الأعظم في عين شمس.»

وعندئذٍ استولى الحزن على قلب الملك من أجل ذلك، فقال «ددي»: «أستميحك عفوًا، ما هذه الحالة أيها الملك يا مولاي؟ أمن أجل ثلاثة الأطفال؟! وعلى ذلك أقول لك: ابنك، فابن ابنك، وبعد ذلك واحد منهم.»[١٨٨]

فقال جلالته: «ولكن أخبرني في أي وقت ستضع «رد-ددت» هذه؟» (فقال «ددي»): «ستضع في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء.» فقال جلالته: «هي ... إقليم (؟) «قناة السمكتين»، وأنا بنفسي سأضع قدمي (؟) هناك، وسأرى معبد «رع» رب «سخبو».» فقال «ددي»: «إذًا سأجعل الماء يقف على عمق أربعة أذرع في إقليم «قناة السمكتين».»[١٨٩]

---

[١٨٤] هكذا في الأصل.

[١٨٥] يظهر أن كلامًا للملك سقط هنا.

[١٨٦] بلدة صغيرة في منطقة منف وعين شمس.

[١٨٧] أي يصبحون ملوكًا بعد إقصاء أسرة «خوفو» عن تولِّي العرش.

[١٨٨] تؤكد النبوءة: أن ابنك خفرع سيحكم، ثم ابنه منكاورع، ثم تأخذ الأسرة الجديدة التي تنتسب «لرع» مقاليد الحكم، غير أنه — في الواقع — حكم ملكان في الفترة بين انتقال الحكم من أسرة «خوفو» إلى أسرة «رع»؛ ولكن لم يَبْقَ من بين ملوك الأسرة الرابعة في ذاكرة القوم غير بناة الأهرام الثلاثة.

[١٨٩] وبذلك يمكن للملك أن يسبح مرتاحًا إلى «سخبو»، وهذا يشبه ما جاء في القرآن عن قوم موسى وفرعون.

وبعد ذلك عاد جلالته إلى قصره، وقال جلالته: «رع … يخبر بأن يقيم «ددي» في بيت الأمير «حردادف» ليسكن معه، واجعل جرايته ألف رغيف من الخبز، ومائة إناء من الجعة، وثورًا واحدًا، ومائة حزمة من الكراث.» وقد نفذ ذلك على حسب ما أمر به جلالته.

والآن اتفق أن «رد-ددت» كانت في ألم المخاض، فقال جلالة «رع» رب «سخبو» عندئذٍ إلى «إزيس» و«نفتيس» و«مسخنت» و«حكت» و«خنوم»:[١٩٠] «قفن واذهبن أنتن وخلصن «رد-ددت» من ثلاثة الأطفال الذين في فرجها، وهم الذين سيتولون هذه الوظيفة الممتازة في هذه الأرض قاطبة، إنهم سيبنون معابدكن، وسيمدون موائدكن بالطعام، وسيملئون موائد شرابكن، وسيجعلون قرابينكن عظيمة.»[١٩١]

وعندئذٍ ذهبت هؤلاء الإلهات وقد تزين بزي الراقصات، وكان «خنوم» معهن يحمل محفتهن،[١٩٢] وأتين إلى بيت «رع وسر»[١٩٣] ووجدنه واقفًا وقميصه متدلٍّ،[١٩٤] وبعدئذٍ قدَّمنَ له عقودهن ودفوفهن،[١٩٥] فقال لهن: «يا سيداتي،[١٩٦] انظرن إن هنا سيدة في المخاض.» فقلن له: «دعنا نرها، حقًّا إنَّا نعرف في الولادة.» فقال لهن: «احضرن.»

وعندئذٍ سبقن «رد-ددت» وأغلقن باب الحجرة عليهن وعليها، وجلست «إيزيس» أمامها، و«نفتيس» خلفها، وأسرعت «حكت» في عملية الوضع، وقالت «إيزيس» تخاطب الجنين: لا تكونن شديدًا في فرجها كاسمك «وسر-كاف».[١٩٧] فانزلق هذا الطفل إلى الخارج

---

[١٩٠] «مسخنت» إلهة الولادة، و«حكت» إلهة قديمة أزلية، أما «خنوم» فهو صانع بني الإنسان.

[١٩١] وبذلك كان ملوك الأسرة الخامسة أتقياء في نظر الرأي العام، على عكس ملوك الأسرة الرابعة، ولا نعرف إن كانوا قد نسلوا من كاهن إله الشمس «رع»، ولكن من المؤكد أنهم أظهروا احترامًا خاصًّا لهذا الإله؛ إذ إن كل واحد منهم قد بنى في مقره معبدًا جديدًا له على نموذج معبد عين شمس. (انظر كتاب مصر القديمة للمؤلف عند الكلام على الملكة خنتكاوس.)

[١٩٢] جئن في هيئة نساء مسافرات في صحبة رجل يقوم على خدمتهن.

[١٩٣] زوج «رد-ددت».

[١٩٤] كانت ملابسه متهدلة بسبب اضطرابه.

[١٩٥] أي إنهن غنَّين ورقصن أمامه.

[١٩٦] يتكلم إليهن بأدب جمٍّ حتى ينصرفن.

[١٩٧] تدل الأوامر التي نطقت بها «إزيس» على أن أسماء الأطفال هي «وسر-كاف»، «ساحو-رع»، «ككو»، وهم الثلاثة الملوك الأولون للأسرة الخامسة الذين يسمون هكذا: وسركاف، ساحورع، كاكاي. وفي هذه الأوامر جناس خاص بأسماء الأطفال الذين صاروا ملوكًا فيما بعدُ.

على يديها وطوله ذراع، قوي العظم، وكان لقبه الملكي مكتوبًا على جسمه بالذهب، ولباس رأسه من خالص اللازورد،[١٩٨] فغسلنه وقطعن حبل سرته، ووضعنه على رقعة من نسيج فوق قالب من اللبن، واقتربت منه «مسخنت» وقالت: «ملك سيتولَّى الملك في البلاد قاطبة.» ومنحه «خنوم» الصحة في جسمه.

(وقد قُصَّتْ ولادة الطفلين الآخَرين بنفس الألفاظ والتفاصيل، غير أن العزائم السحرية مختلفة طبعًا.)

«لا تقتربن من فرجها، كما ستسمى حقيقة «ساحو-رع».»[١٩٩] «ولا تكونن مظلمًا في فرجها، كما ستسمى حقيقة «ككو».»

ثم خرجت هؤلاء الإلهات بعد أن خلصن «رد-ددت» من الأطفال الثلاثة، ثم قلن: «ليكن قلبك فرحًا يا «رع وسر». انظر، لقد وُلِد لك ثلاثة أطفال.» فقال لهن: «يا سيداتي ماذا يمكنني أن أفعل لَكُنَّ؟ أرجو منكنَّ أن تعطين هذا الكيل من الشعير لحامل محفتكن، وخذنه لأنفسكن معكن في أوانيكن أجرًا.»[٢٠٠] فحمل «خنوم» الشعير.

ولما ذهبن في طريقهن من حيث أتين قالت «إيزيس» لهؤلاء الإلهات: «ما معنى أننا أتينا إليها ولم نأتِ بأية أعجوبة لهؤلاء الأطفال حتى نخبر بها والدهم الذي أرسلنا إلى هنا؟»

وعلى ذلك صنعن ثلاثة تيجان ملكية، ووضعنها في الشعير، وجعلن العاصفة والمطر يحدثان في السماء، وعُدْنَ إلى البيت،[٢٠١] وقلن: «نرجو منكم أن تدعونا نضع الشعير في حجرة مغلقة إلى أن نعود ثانيةً ...»

ووضعن الشعير في حجرة مقفلة.

وطهَّرت «رد-ددت» نفسها طهور الأربعة عشر يومًا،[٢٠٢] وقالت لخادمتها: «هل أُعِدَّ البيت؟» فأجابت: «لقد أُعِدَّ، كل شيء جميل اللهم إلا الأواني فلم يمكن إحضارها.»

---

[١٩٨] يجيء الأطفال إلى العالم مرتدين لباس الرأس الملكي ذا اللونين الأزرق والأصفر، على حين أن الألقاب التي يُسمَّى بها الملوك عند اعتلائهم العرش تكون مكتوبةً بالذهب على أعضائهم. والقاص يتصور الأطفال كتماثيلَ مرصَّعةٍ بالبرونز.

[١٩٩] See Blackman Journ. of Egypt. Archaeology X. P. 196.

[٢٠٠] يحتمل أنه يقصد بذلك الأواني الفخارية التي تشبه البرميل، والتي يخزن فيها الحبوب وغيرها.

[٢٠١] لقد أحدثن العاصفة والمطر لتكون عذرًا لهن في إعادة الشعير إلى البيت.

[٢٠٢] وعلى ذلك فإن المرأة كانت تُعتَبر نجسة لمدة من الوقت بعد ولادة الطفل.

فقالت «رد-ددت»: «لماذا لا يمكن إحضار الأواني؟» فقالت الخادمة: «لا يمكن عمل شيء ما هنا؛[٢٠٣] إذ إن شعير الراقصات قد وُضِع في حجرة عليها خاتمهن.» فقالت «رد-ددت»: اذهبي وأحضري بعضًا منه، وسيكافئهن «رع-وسر» بعد عودته.

وعلى ذلك ذهبت الخادمة وفتحت الحجرة وسمعت في الحجرة غناءً وموسيقا ورقصًا وفرحًا، وكل ما يفعل احتفالًا بالملك، فعادت وأخبرت «رد-ددت» بكل ما سمعت، فذهبت «رد-ددت» إلى الحجرة، ولكنها لم تَرَ المكان الذي كان يحدث فيه ذلك، ثم وضعت جبهتها على صومعة الغلال ووجدت أنه فيها، فوضعتها في صندوق، ثم وضعت هذا في خزانة أخرى، وربطتها بجلد، ووضعتها في حجرة صغيرة تحتوي على أوانيها، وأغلقت الباب عليها.

ولما عاد «رع-وسر» من الحقل قصت عليه «رد-ددت» هذا الأمر ففرح كثيرًا، وجلسا وأخذا في أسباب السرور.

وبعد أن مضت أيام معدودات غضبت «رد-ددت» على خادمتها لسبب ما وعاقبتها بالضرب، فقالت الخادمة للقوم الذين في البيت: «هل ستفعل الـ ...؟ لقد ولدت ثلاثة ملوك، وسأذهب وأخبر جلالة الملك «خوفو» بذلك.»

وعلى ذلك ذهبت ووجدت أخاها من أمها[٢٠٤] يربط خيوط الكتان في الجرين، فقال لها: «إلى أين تذهبين أيتها العذراء الصغيرة؟» وعندئذٍ قصَّتْ عليه هذا الأمر، فقال لها أخوها: «وعلى هذا قد أتيت إليَّ لأشترك معك في الخيانة! (؟)»[٢٠٥] وأخذ ... من الكتان وضربها ضربة مؤلمة.

وبعدئذٍ ذهبت الخادمة لتحضر لها شيئًا من الماء، فقبض عليها تمساح، وعندئذٍ ذهب أخوها ليخبر «رد-ددت» بذلك، فوجد «رد-ددت» جالسة ورأسها على ركبتها، وقلبها مكتئب جدًّا، فقال لها: «لماذا أنت مضطربة كذلك؟» فقالت له: «إن هذه البنت التي قد نمت في هذا البيت، خرجت الآن قائلةً: سأذهب لأفشي السر!»

---

[٢٠٣] See Gardiner, Recueil de Traveaux, XI. PP. 79 ff.

[٢٠٤] هذا يدلنا على أن الأرقاء كانوا ينتسبون إلى أمهم، ولم يكن للأب أهمية؛ لأنه كان لا يدَّعِي الطفل لنفسه.

[٢٠٥] المعنى على أي حال: إني لا أرغب في مشاركتك في خيانتك.

فحنا رأسه وقال: «يا سيدتي، لقد أتت وقالت لي ... بجانبي، وضربتها ضربة مؤلمة، وقد ذهبَتْ لتجلب لنفسها شيئًا من الماء، فقبض عليها تمساح.»

(وهنا كُسِرت الورقة البردية.)

(٢) قصص الدولة الحديثة

(٢-١) قصة الأخوين

مقدمة

قصة الأخوين أول قصة من نوعها في الأدب المصري القديم، ولقد جذبت أنظار العالم؛ لغرابة وقائعها، ومشابهتها قصصًا أخرى حُكِيت في الزمن الحديث، وهي بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصري من زميلاتها التي رُوِيت لنا من عهد الفراعنة، وهي قطعة من الشعر القصصي العام ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وتحلِّق بوقائعها الخيالية في عالم الخرافات، وقد نقلها الكاتب «أنانا» تلميذ كاتب الخزانة الملكية «كاجبو».

(أ) ملخص القصة

يضم بيت واحد أخوين مخلصين، كبيرهما متزوج ويُسمَّى «أنوبيس»، وصغيرهما غير متزوج ويُسمَّى «باتا»، وكان ساعد أخيه الأكبر في فلح الأرض وزراعتها وتربية أنعامها، وفي يوم كانا يزرعان في الحقل فاحتاجا إلى بعض البذر، وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره، وكانت زوجة أخيه الكبير تمشِّط شعرها، فما رأته يحمل قدرًا كبيرًا من البذور على سواعده حتى راقها جماله، وأُعجِبت بقوته، فراودته عن نفسه، وغلَّقت الأبواب، وقالت: هيت لك. قال: معاذ الله، إن أخي الكبير رب نعمتي، وقد أحسن مثواي فلا أخونه في زوجته. فأضمرت المرأة في نفسها الكيد لهذا الفتى الذي فوَّت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع، وقابلت زوجها في المساء متمارضة متباكية متظاهرة بالألم، وادعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها، وما جزاء مَن يفعل ذلك إلا أن يُقتَل أو عذاب أليم، فصمَّم الأخ الكبير على قتله عندما يعود بالماشية، واختبأ وراء الباب لهذه الغاية، وما إن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بقرة من التي كان يسوقها بما دُبِّرَ له، ففرَّ «باتا» وتبعه «أنوبيس» بسلاحه، ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح،

فعجز «أنوبيس» عن اللحاق به، وجرت بينهما محادثة برَّأ فيها «باتا» نفسه، وَجَبَّ عضو التناسل منه، وأبَانَ عزمه على الرحيل إلى وادي الأرز، وأنه سيضع قلبه على زهرة في أعلى إحدى أشجاره، وعيَّنَ له علامة إذا حدثت كانت دليلًا على وفاته، وعلى الأخ الكبير حينئذٍ أن يذهب إلى وادي الأرز، ويبحث عن قلبه، ويضعه في الماء؛ فتعود الحياة إلى «باتا» ثانيةً، وينتقم لنفسه من القاتل.

وبعد هذه المحاورة رجع «أنوبيس» إلى قريته فقتل زوجته انتقامًا لأخيه، أما «باتا» فقد سعى إلى وادي الأرز، ولما رأته الآلهة وحيدًا في هذا الوادي أشفقت عليه وجعلت الإله «خنوم» يسوي له زوجة، وقد خالفته هذه الزوجة فخرجت إلى البحر رغم تحذيره لها من هذا العمل، فأراد البحر أن يختطفها، ولكن «باتا» أنقذها منه، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر، وهناك فاح شذاها وانتشرت رياها، فشغف الفرعون بصاحبتها، وأرسل إلى وادي الأرز في طلبها، فحضرت زوجة باتا مع الرسل، وصارت حظية عند الفرعون. ولما كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التي تحمل قلبه، فسقط قلبه بسقوطها ومات، وعندئذٍ حدثت العلامة التي كان قد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهي فوران إبريق من الجعة — فسعى في الحال «أنوبيس» إلى وادي الأرز لينقذ قلب أخيه، وبعد سنتين وجده في صورة فاكهة، فأعاده إلى الحياة بوضعه في الماء، ثم صيَّر «باتا» نفسه ثورًا وحمل أخاه إلى مصر، وأفصح لزوجه عن شخصيته، فأغرت الفرعون بذبحه، فتطايرت منه نقطتان من الدم نبتتا بعدُ شجرتين من الأثل سكن فيهما «باتا»، وأسر إلى زوجته بأمره، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين، وصنع أثاث لها منهما ففعل، وأثناء صنع الأثاث تطايرت شظيتان من الخشب، دخلتا فم الزوجة؛ فحملت وأنجبت صبيًّا صار وليًّا للعرش، وعند وفاة الملك نصب هذا الصبي خلفًا له ملكًا على البلاد، ولم يكن ذلك الصبي إلا «باتا» نفسه، فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها.

(ب) دراسة القصة

أسلوب هذه القصة ركيك، وليس فيه تلك الروعة التي نلمسها في قصة «سنوهيت»، أو في قصة «الغريق»، ولقد اتبع في قصها كاتبُها أسلوبَ الدولة الحديثة المألوف، وأقحم فيها بعض العبارات التي لا حاجة إليها، ولا مناسبة لها، كما نراه من عامة المصريين الآن إذا قصوا قصة، أو حملوا إليك خبرًا، فجاءت خالية من طلاوة العبارة، ورشاقة الأسلوب،

ولكن نرى من جهة أخرى أن مؤلفها قد أظهر في صناعتها مهارة وحذقًا من حيث هي قصة.

وإذا أمعنا في النظر إلى هذه القصة وجدناها ذات مرحلتين كأختها «قصة الملك خوفو والسحرة»، فالمرحلة الأولى قصة الأخوين، وإغراء زوجة الكبير أخاه الصغير بارتكاب الفاحشة، وتعفُّفه، وقلب الزوجة الحقائق للتنكيل به، وقد حاول بعض رجال الأدب إثبات أن قصتي «يوسف وزليخا» و«قمر الزمان في ألف ليلة وليلة» مأخوذتان من هذه القصة القديمة؛ لما بينهما وبينها من شبه كبير. ولكنا نرى أن في ذلك بعض التكلُّف، فإن هذه المحاولة التي رغبت فيها الزوجة، وتعفَّفَ عنها الصغير، وما تلاها من كيد وتدبير، تحصل كل يوم بين ظهرانينا، وهي تكاد تكون أمرًا طبيعيًّا يحدث في كل أمة مع اختلاف يسير في التفصيل. وليس في هذه المرحلة الأولى من القصة ما تمتاز به من نظائرها إلا ما خالف الأمر المألوف؛ كتحدُّث الحيوان، وخلق إله الشمس بحيرة مملوءة بالتماسيح للحيلولة بين الأخ وأخيه.

وأما المرحلة الثانية فكلها من خوارق العادة والمعجزات، وخلاصتها: إثبات خيانة الزوجةِ زوجَها — وإن كان الإله قد صاغها — بعدما عرفت أن عضو التذكير مبتور فيه، وتعرض علينا أثناء ذلك كثيرًا من الأمور الخارقة للطبيعة التي لا تأتي في العادة على يد إنسان؛ فنرى البحر يمتد لابتلاع زوجة «باتا»، ونرى العبير يتأرج من خصلة الشعر حتى يصل إلى الفرعون في مصر، ونرى «باتا» يعود للحياة ثانية ويتحوَّل إلى ثور، ويسافر إلى مصر ويخاطب زوجته، ونرى نقطتين من دمه تتحولان بعد ذبحه شجرتين هما «باتا» نفسه، فيسر بالأمر إلى زوجته، ونرى أخيرًا قطعتين صغيرتين من الخشب تصيران طفلًا في بطن زوجته، يئول إليه عرش مصر.

وقد ربط الكاتب بين المرحلتين بوصية «باتا» لأخيه «أنوبيس»، بأن يعيد إليه قلبه عندما يعلم أنه قد مات تكفيرًا «لأنوبيس» على اتهامه أخاه زورًا وبهتانًا.

ولما كانت هذه القصة المصرية الصميمة قديمة العهد ومملوءة بالخرافات؛ فإن الباحثين في الأدب العالمي يعتقدون أن ما شابهها عند الأمم الأخرى مأخوذ عنها. وقد عني بعض العلماء بهذا الموضوع وقرنوا بين هذه القصة وما يقابلها من قصص العالم (Hyacinthe Husson Le Chaine Traditionelle Contes et Legendès au point de vue Mythique. Paris 1874 P. 91).

والواقع أننا نجد صدى لهذه القصة في الأدب الفرنسي والإيطالي، وفي مختلف أجزاء ألمانيا، وفي النمسا والمجر، وفي الروسيا، وفي البلاد السلافية، وفي رومانيا، وفي بلاد اليونان،

وفي آسيا الصغرى، وفي بلاد الحبشة، والهند. وَلْنأخذِ القصة الروسية[٢٠٦] على سبيل المثال؛ لنرى إلى أي حد تشابهت مع قصة الأخوين.

نجد في القصة الروسية أن «باتا» اسمه «إيفان» بن «جرمان» خادم الكنيسة، وقد وجد سيفًا سحريًّا في بعض الأدغال، وذهب ليحارب به الأتراك الذين غزوا «أرنيار» Arinar وذبح منهم ثمانين ألفًا، وقد كوفئ على عمله هذا بأن زوَّجه الملك ابنته «كليوباترا»، ولما مات حموه تولى الملك من بعده، ولكن زوجته خانته وأعطت الأتراك السيف، فلما أصبح «إيفان» أعزلَ مات في حومة الوغى، وسلَّمت زوجه نفسها لسلطان الترك — كما فعلت بنت الآلهة عندما ذهبت إلى فرعون — ولقد استطاع أبوه «جرمان» خادم الكنيسة أن يخلص جسم ابنه عن طريق مجرى من الدم كان يتدفق من وسط الإصطبل، وعندئذٍ قال له الحصان: «إذا كنتَ تريد إعادة الحياة إليه فافتح بطني، وخذ أحشائي، ودَلِّك الميت بدمي، وعندما تأتي الغربان لتلتهم جسمي بعد ذلك خذ واحدًا منها، وكلِّفه أن يحضر لك إكسير الحياة العجيب». ففعل «جرمان» ذلك، وعاد «إيفان» إلى الحياة، قام «إيفان» وقال لوالده: «ارجع إلى حصانك، وسآخذ على عاتقي الانتقام من عدوي.» وتركه وانصرف فرأى فلاحًا في طريقه، فقال له: «سأصيِّر نفسي حصانًا جميلًا ذا معرَفة من الذهب، وعليك أن تقوده وتقفه أمام قصر السلطان.» وكان، فلما رأى السلطان الحصان وضعه في إصطبل معجبًا به، كلفًا برؤيته، فسألته كليوباترا يومًا عن سبب ملازمته للإصطبل، فأجاب: «لقد أحضرت حصانًا جميلًا له معرفة من الذهب.» فقالت له: «ليس هذا بحصان، إنه «إيفان» ابن خادم الكنيسة! مُرْ بأن يُذبَح، ولكن وُلِد من دم الحصان ثور مكسو بالذهب، فأمرت «كليوباترا» بذبحه أيضًا، فنبت من رأسه شجرة تفاح ثمرها من الذهب، فأمرت «كليوباترا» بقطعها، فطارت شظية عند ذلك من جذع الشجرة وتحولت ذكرًا عظيمًا من البط، فأمر السلطان بصيده، وقفز هو بنفسه في الماء ليمسكه، ولكنه أفلت إلى الناحية الأخرى، ثم ظهرت صورة «إيفان» مرة ثانية في زي السلطان، وألقى بكليوباترا وعشيقها في أتون النار، واستولى على الملك بعدهما.

فهذه القصة الروسية نرى من روحها أنها مأخوذة من الأصل المصري القديم بعد انقضاء ٣٠٠٠ سنة، على أننا نستطيع أن نجد في آداب العالم عناصر مختلفة تشبه

[٢٠٦] Rambaud, La Russie Epique pp. 377–380.

عناصر هذه القصة؛ مما يحملنا على القول بأن مصر كانت مصدرًا ثابتًا يُستمَد منه مثل هذا القصص.

ولا شك أن في هذه القصة المصرية قصورًا لا يرتفع بها إلى مستوى القصص في العصر الحديث، ولكن يجب علينا أن نذكر وقتها الذي صِيغَتْ فيه أولًا، وأن نذكر أنها كُتِبت للعامة وبلغتهم ثانيًا، وإذا جادت علينا التربة المصرية بقصة من أدب الخاصة وجدنا وجهًا للموازنة والقياس والحكم. ومع كل ذلك فإنه يكفي أن يقال عن هذه القصة إنها ترسم لنا صورة صادقة عن حياة الفلاح في ذلك العصر السحيق؛ مما نراه مصوَّرًا على مقابر العظماء في كل عصور التاريخ المصري القديم.

(ج) المصادر

لقد تناول معظم علماء اللغة المصرية هذه القصة بالبحث والتحليل، وترجمها الكثير منهم، وأحدث التراجم لها ترجمة الأستاذ إرمان.
والمصادر الهامة هي:

(1) Erman: The Literature of the Ancient Egyptians (translated by Blackman) P. 15 ff.
(2) Griffith in The World's Best Literature P. 5253.
(3) Maspero: Popular Stories of Ancient Egypt P. 1–20).

ويجد القارئ في المصدر الأخير فهرسًا لكل مَن ترجَمَ هذه القصةَ قبل مسبِرو، وآخِر مَن حلَّلَ هذه القصة هو «ماكس بيبر» في كتابه:

(4) Die Agyptische Literatur. P. 78 ff (Max Pieper).

(د) نص القصة

يُحكَى أن أخوين كانا يسكنان في بيت واحد، وكان أبوهما واحدًا، وأمهما واحدة، واسم أكبرهما «أنوبيس» والآخَر «باتا»، وقد تزوَّجَ «أنوبيس» أكبر الأخوين، وأسكن معه أخاه «باتا» وجعله كابنه، وكان «باتا» يصنع ملابس أخيه، ويرعى ماشيته في الحقل، ويحرث له الأرض، ويحصد الزرع، ويقوم بكل أعمال الحقل، وفي الحق كان أخوه الصغير فلَّاحًا

ماهرًا لا مثيل له في كل الأرض بقوته. وبعد[٢٠٧] مرور عدة أيام على ذلك، كان أخوه الأصغر يرعى ماشية أخيه في الحقل كل يوم، ويروح إلى بيت أخيه كل مساء محمَّلًا باللبن والعشب والكلأ والخشب الجاف، ويقدِّمه راضيًا إلى أخيه الأكبر وهو جالس إلى زوجته ... فإذا ما انتهى من ذلك تناوَلَ طعامه وشرابه، وأخذ سبيله إلى مرقده في حظيرته ليحرس أبقاره.

فإذا خلع الليل سواده وانبثق فجر اليوم الجديد، كان يهيئ لأخيه الأكبر طعامًا ويضعه أمامه، ثم يأخذ طريقه إلى الحقل ويحمل معه طعامه، ويسوق أبقاره ليرعاها في الحقل، وكان يمشي خلف ماشيته، وكانت تقول له: إن العشب والكلأ في مكان كذا جميل جدًّا، وكان يستمع إلى قولها، ويتبعها إلى حيث المرعى الخصيب والمكان الرغيب ... وعلى ذلك أصبحت ماشيته التي يرعاها سمينة بدينة، وأصبح نتاجها كثيرًا صالحًا.

ولما جاء فصل الحرث قال له أخوه الأكبر: «جهِّزْ زوجًا من الثيران للحرث، فإن الأرض قد جفَّتْ من الماء، وأصبحت صالحة لأن تُحرَث، وهيِّئ البذر للأرض فإننا سنحرث بعزم عند البكور.» وهكذا كان يقول له، وكان أخوه الأصغر ينفذ كل ما يأمر به أخوه الأكبر، وعندما انبثق الفجر وطلع يوم جديد ذهَبَا إلى الحقل ومعهما ... وابتدأا يحرثان بعزم، وكانت الغبطة تملأ قلبيهما؛ لأنهما بدأا يعملان في عام جديد. وبعد مضي عدة أيام على هذا اليوم كانا في الحقل ونفدت منهما البذور، فأرسل أخاه الأصغر إلى القرية قائلًا: «اذهب وأحضر لنا من القرية بذرًا.» فذهب إلى القرية (ودخل البيت على حين غفلة من أهله) فوجد امرأة أخيه جالسة تمشط شعرها، فقال: أسرعي وهيِّئِي لنا البذر لأذهب إلى الحقل، فإن أخي هناك ينتظرني، لا تتأخري. فقالت له: اذهب وافتح المخزن بنفسك، وخذ منه ما تريد، واتركني أكمل تمشيط شعري. فذهب الغلام إلى حظيرته وأخذ وعاءً كبيرًا ليأخذ فيه بذورًا كثيرة، وحمل نفسه القمح والشعير وخرج بهما، فابتدرته قائلة: ما مقدار ما تحمله على كتفك؟ فأجابها: أحمل ثلاث حقائب من القمح، واثنتين من الشعير، فتلك خمس كاملة. وهكذا كان حديثه إليها وهي ... فقالت له: «إنك إذن لذو بأس عظيم، حقًّا إني أرى كل يوم عِظَم قوتك، وكان شغفها أنها تعرفه كما تعرف المرأة الشاب القوي، ثم همَّتْ به وقالت: تعالَ، سنتمتَّع سويًّا، وننام، وسيكون ذلك من حظك أيضًا؛ لأني سأصنع

[٢٠٧] هذه جملة لا معنى لها، كانت تكرر كثيرًا في القصص المصري.

لك ملابس جميلة.» وإنها لقولة نكراء ثار لها الغلام كالفهد، فخافت زوجة أخيه، فأخذ يخاطبها قائلًا: «اسمعي، إنك بمثابة أم لي، وزوجك بمثابة والد، وقد ربَّاني لأنه أكبر مني، فما هذا الإثم العظيم الذي تتحدثين به إليَّ؟ لا تعيدي الحديث على سمعي، ولن أخبر به إنسانًا، ولن أدعه يخرج من فمي، ولن أفضي به إلى أي مخلوق.» ثم حمل البذر وأخذ سبيله إلى الحقل، وهناك لقي أخاه الأكبر، فأخذ كلٌّ منهما يعمل بجد.

وفي المساء عاد أخوه الأكبر إلى بيته، أما الأصغر فظل يرعى قطيعه، ويحمل نفسه بكل أنواع حاصلات الحقل، وعاد يسوق قطيعه إلى حيث ينام في حظيرته بالقرية.

وكانت زوجة أخيه الأكبر تخشى عاقبة ما قالت، فأخذت دهنًا و«سوت»؟ وتظاهرت كذبًا بأنها قد ضُرِبت، وتريد بذلك أن تقول لزوجها: «إن أخاك هو الذي ضربني.» وعاد زوجها إلى البيت عند الغروب كعادته، ودخل بيته، ووجد زوجته راقدة ومتمارضة بشدة، فلم تصبَّ الماء على يديه كما عوَّدته، ولم تشعل لأجله نورًا عند عودته، فبدا البيت في ظلام دامس وهي راقدة تقيء، فقال لها زوجها: «هل تكلَّمَ معك أحد؟» فقالت له: «لم يتكلم معي إلا أخوك الأصغر، وكان ذلك حينما أتى ليأخذ البذر من هنا، ووجدني جالسة وحدي، وقال لي: تعالي نتمتع وننم، تحلي بشعرك (المستعار؟) وهكذا قال لي، ولكنني عصيته وقلت له: انظر، ألستُ لك أمًّا، أَوَليس أخوك الأكبر لك أبًا؟» فمشى الخوف في نفسه، وضربني حتى لا أخبرك بشيء مما حدث، فإذا كنتَ إذن تتركه حيًّا فإني سأقتل نفسي؛ لأنه عندما يعود إلى البيت عند الغروب، وأقص هذه القصة الدنيئة، فإنه سيكون قد جعلها تظهر بيضاء (أي لا غبار عليه).

وعندئذٍ ثار أخوه الأكبر ثورة الفهد الغضوب، وحدَّ نصل حربته، وأمسكها في يده، واحتلَّ مكانًا خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه حينما يعود في المساء مع أبقاره إلى حظيرته.

ولما مالت الشمس إلى الغروب حمَّل «باتا» نفسه بما اعتاد أن يحمله من أعشاب الحقل وعاد، وما كادت تدخل طليعة الأبقار حظيرتها حتى قالت لراعيها: خذ حذرك! إن أخاك الأكبر واقف أمامك بحربته ليذبحك، فِرَّ من أمامه. ففهم «باتا» ما قالته طليعة أبقاره.

ثم دخلت البقرة الثانية وقالت له بالمثل، فنظر تحت باب حظيرته فرأى قدَمَيْ أخيه الأكبر وهو واقف خلف الباب وفي يده حربته، فألقى حمله إلى الأرض ولاذ بالفرار مسرعًا، وأخوه الأكبر يعدو خلفه بحربته، ونادى أخوه الأصغر ربه «رع حور أختي» قائلًا: «يا إلهي الطيب، إنك أنت الذي تفصل بين المبطل والمحق.» فسمع «رع» ظلامته،

وجعل بينهما متَّسعًا من الماء مملوءًا بالتماسيح، فاصلًا بينه وبين أخيه الأكبر، وصار كلٌّ منهما على جانب لا يجد إلى صاحبه سبيلًا، وضرب أخوه الأكبر على يده[٢٠٨] مرتين (آسفًا)؛ لأنه لم يذبحه، ثم نادى الأخُ الأصغر أخاه من الجانب الآخَر قائلًا: «امكث هنا حتى ينبلج الصبح، وسنحتكم إلى الشمس معًا عند شروقها، وسيسلم المبطل للمحق؛[٢٠٩] لأني لن أكون معك بعدُ، ولن أعيش في مكانٍ أنتَ فيه، وسأتخذ لي في وادي الأرز مقامًا.»[٢١٠]

ولما انبثق الفجر عن يوم جديد أشرق «رع حور أختي» فرأى كلٌّ منهما صاحبه، وهنا ابتدر الصبي أخاه الأكبر قائلًا: «ماذا تعني بتتبعك إياي لتذبحني غدرًا دون أن تسمع مني ما أقول؟ لأني — في الحق — أخوك الأصغر، وإنك لي كوالد، وإن زوجتك لي كوالدة، أليس كذلك؟ (وسأقص عليك القصص): عندما كلَّفتني الذهاب (إلى القرية) لأحضر البذر، (راودتني زوجك عن نفسي) وقالت: «دعنا نتمتع وننم.» ولكن تأمَّلْ، لقد شُوِّهَ ذلك لديك، وحُرِّفَ إلى شيء آخَر.» وأعلمه بكل ما وقع له مع زوجته، وحلف «برع حوارختي» قائلًا: وا أسفاه! إنك يا أخي أردت أن تغتالني لوقيعة دسَّتْها عليَّ امرأةٌ بغيٌّ قذرة.[٢١١]

ثم أخذ سكينًا من الغاب وقطع بها (قُبْلَهُ) وألقى به في الماء، فابتلعته سمكة كبيرة فأغمي عليه وأصبح تعسًا. وإذ ذاك حزن عليه أخوه الأكبر حزنًا عظيمًا، ووقف وأجهش بالبكاء عليه بصوت عالٍ، إلا أنه كان عاجزًا عن أن يَعْبُرَ حيث يوجد أخوه الأصغر بسبب التماسيح، وبعد ذلك صاحَ عليه أخوه الأصغر قائلًا: «إذا كنت قد فكرت في شيء خبيث، فهل لك أن تفكِّر في شيء طيب، أو في شيء يمكنني أن أفعله لك[٢١٢] أيضًا؟ اذهب الآن إلى بيتك، وارع بنفسك ماشيتك؛ فقد نويت ألَّا أسكن في مكان أنت فيه، وسأذهب إلى وادي الأرز، ولن يكون بيني وبينك إلا أنك ستعودني إذا علمت أن شيئًا نزل بي، وسيحدث أني سآخذ قلبي وأضعه في أعلى زهرة شجرة أرز، فإذا نُثِرت شجرة الأرز وسقطت على الأرض وأتيت تبحث عنه، ثم قضيت في بحثك سبع سنين، فلا تمل من ذلك، وإذا ما

---

[٢٠٨] من الغيظ.

[٢٠٩] أي سينتصر الحق.

[٢١٠] قد تكون لبنان الحالية؛ حيث كان المصريون يأتون بالخشب منه.

[٢١١] التعبير أفحش من ذلك.

[٢١٢] يذكره في وقت الحاجة إليه.

وجدته ووضعته في إناء فيه ماء بارد فإني حينئذٍ سأحيا ثانية،[٢١٣] وسأجيب عن التهمة التي أُسنِدت إليَّ، وإذا أعطاك إنسان قدحًا من الجعة فاختمر، أدركتَ حينئذٍ ما حاق بي من الأذى، ولا تتوانَ فإن ذلك في مصلحتك.

ذهب «باتا» إلى وادي الأرز، وعاد أخوه الأكبر إلى بيته ويده على رأسه، وهو ملطَّخ بالطين،[٢١٤] ولما أتى منزله تذكَّرَ أخاه الصغير (فثارت بنفسه ثورة)، وذبح زوجته، ورمى بها للكلاب، وقعد حزينًا على أخيه الأصغر.

وبعد ذلك بأيام عدة كان أخوه الأصغر في وادي الأرز وحيدًا، وكان يقضي يومه في صيد وحوش الصحراء، ويقضي ليله في النوم تحت شجرة الأرز التي وضع قلبه في أعلى إحدى زهراتها، وبعد أيام عدة على تلك الحياة الهادئة بنى لنفسه قصرًا في وادي الأرز، وكان مملوءًا بكل شيء حسن؛ لأنه كان يريد أن يتزوج.

وخرج «باتا» ذات يوم من قصره فقابَلَ تاسوع الآلهة في طريقهم إلى نواحي الأرض يشرفون عليها، ولقد نطق التاسوع بلسان واحد قائلين له: «إيه يا «باتا» أنت يا ثور التاسوع،[٢١٥] أأنت هنا وحدك؟! أتركتَ مدينتك أمام زوجة أخيك الأكبر «أنوبيس»؟ اسمع، إن زوجته قد ذُبِحت؛ لأنك كشفتَ له عن الجناية التي ارتكبت ضدك.» وأظهروا عطفهم الشديد عليه، ثم قال «رع حور أختي» لـ «خنوم»:[٢١٦] سوِّ زوجة «لباتا» حتى لا يكون في بيته وحيدًا، فوهبه «خنوم» رفيقة تَبُزُّ كل امرأة في الأرض جمالًا، ونفخ فيها كل إله من روحه، ثم أتت سبع البقرات «حاتور»[٢١٧] ليرينها، وقلن جميعًا بلسان واحد: «إنها ستموت ميتة شنعاء.»

وكان قد أُغرِم «باتا» بها (وقد شغفته حبًّا)، وأسكنها في بيته، وكان يقضي يومه في صيد وحوش الصحراء، فإذا جاء المساء عاد إليها محمَّلًا بصيده، فيضعه أمامها وقال لها: «لا تخرجي كي لا يحملك البحر بعيدًا؛ لأني أنثى مثلك لا أستطيع إلى تخليصك

---

[٢١٣] فإن القلب سيشرب الماء ويحيا.

[٢١٤] دليل الحزن.

[٢١٥] وكان يُطلَق هذا اللقب على الآلهة في غير هذا المكان.

[٢١٦] إله الخلق.

[٢١٧] إلهة الحب.

سبيلًا، وإن قلبي في أعلى زهرة إحدى شجر الأرز، فإذا عثر عليه إنسان آخَر كنتُ تحت سلطانه.» وقد فتح لها كل قلبه (أي باح لها بكل سره).

وبعد أيام عدة على ذلك ذهب بعدها «باتا» ليصطاد كعادته اليومية، فخرجت العذراء لتتنزه تحت شجرة الأرز التي كانت بجوار بيتها، ونظر البحر إليها وامتدَّ خلفها، فأخذت الحسناء تعدو أمامه حتى دخلت بيتها، ولكن البحر نادَى شجرة الأرز قائلًا: «اقبضى لي عليها.» فأخذت شجرة الأرز خصلة من شعرها وقدَّمتها إلى البحر، فأخذها البحر إلى مصر ووضعها في المكان الذي كان فيه سقاة الملك،[٢١٨] فتأرجت ملابس فرعون بأريج هذه الخصلة من الشعر، وقد شجر بين «الواحد»[٢١٩] وبين سقاة فرعون خلاف من أجل هذا العطر المتأرج، وقال الواحد للسقاة: «إن رائحة العطر في ملابس فرعون.» وكان الواحد يتنازع معهم يوميًّا (ولم يجد السقاة إلى الخلاص من هذا الخلاف سبيلًا).

وذهب كبير السقاة يومًا إلى شاطئ النهر، وكان قد ضاق صدره بهذا الخلاف الذي يشجر كل يوم، ووقف على كثيب من الرمل[٢٢٠] ساكنًا، وكانت وقفته أمام خصلة الشعر التي كانت في الماء.

فكلَّفَ أحد أتباعه أن ينزل إلى الماء ويحضر الخصلة، فأُحضِرت إليه، فوجدها تفوح عن أريج طيب، فأخذها إلى فرعون.

وأتى بكُتَّاب فرعون وحكمائه إلى حضرته، ثم قالوا له: «إن هذه الخصلة لبنت «رع حور أختي»، وفيها من كل إله نفحة، حقًّا إنها هدية سِيقَتْ إليك من أرض أخرى. ابعث في كل أرض رسولًا ليحضروها لك، فإذا بعثتَ إلى وادي الأرز رسولًا فاشدد أزره بعدة رجال ليحضروها إلى هنا.»

فقال جلالته: «إن ما قلتموه حسن جدًّا.» وأرسلت الرسل.

مضت على ذلك أيام عاد بعدها الرسل الذين بعثهم الملك في كل أرض ليقدموا إليه تقريرًا، إلا أن الذين ذهبوا إلى وادي الأرز لم يعودوا؛ لأن «باتا» ذبحهم إلا واحدًا منهم ليقدِّم تقريره إلى جلالته، فأرسل جلالته ثانيةً جنودًا عدة وجهَّزَها بعجلات تجرها الخيل

---

[٢١٨] بجانب النيل قريبًا من سراي فرعون، ولا غرابة في أن الخصلة عامت إلى النهر من البحر؛ لأن كل ذلك في عالم الخرافة.

[٢١٩] يقصد الملك نفسه.

[٢٢٠] والمعنى حرفيًّا: الصحراء، والمقصود هنا الشاطئ الرملي الناتج من رواسب النيل.

ليحضرها، وكان معهم امرأة قد أعطيت كل أنواع الحلي الذي تتحلى به امرأة، وعادت المرأة معها إلى مصر وقد عمَّ الفرح البلاد بها (أي الحسناء)، وكانت موضع الحب من جلالته فجعلها أميرة عظيمة.[٢٢١] وتحدَّثَ الواحد (الملك) إليها في شئونها، فسألها أن تخبره عن حال زوجها، فقالت لجلالته: «مُرْ بقطع شجرة الأرز وإبادتها.» فبعث «الواحد» إلى وادي الأرز جنودًا ومعهم أسلحتهم ليقطعوا شجرة الأرز، فأتوا إلى شجرة الأرز وقطعوا الزهرة التي كان عليها قلب «باتا»، فَخَرَّ لوقته صريعًا.

وانبثق الفجر عن يوم جديد، وكانت شجرة الأرز مقطوعة، وذهب «أنوبيس» الأخ الأكبر إلى بيته، وقعد وغسل يديه (قبل الأكل) وقد أعطي قدحًا من الجعة فاختمرت، وقُدِّم إليه آخَر من النبيذ فصار رديئًا (حامضًا).

عندئذٍ أخذ عصاه وانتعل، واشتمل بملابسه، وحمل سلاحه وجدَّ في السير إلى وادي الأرز، ولما دخل قصر أخيه «باتا» وجده راقدًا على السرير وقد فارقته الحياة، فبكى عندما رأى أخاه على الفراش ميتًا، وأخذ يبحث عن قلبه تحت شجرة الأرز التي كان ينام تحتها كل مساء.

قضى «أنوبيس» ... ثلاثة أعوام يبحث عنه (القلب) فلم يهتدِ إليه، ولما بدأ العام الرابع تاقَ قلبه إلى مصر فقال: «سأسافر غدًا.» وكان هذا حديثه لقلبه.

انبثق صباح يوم جديد فأخذ يمشي تحت شجرة الأرز، وقضى يومه في البحث عنه، ولما جاء المساء كفَّ عن بحثه، ثم ألقى نظره مرةً أخرى ليبحث عنه، فوجد فاكهة، فعاد بها إلى البيت، وكانت هي قلب أخيه الأصغر.

فأعَدَّ قدحًا من الماء البارد ورمى فيه قلب أخيه وجلس كعادته كل يوم، ولما جَنَّ الليل وامتص القلب ماء القدح، ارتعَدَ «باتا» في كل أعضائه وأخذ ينظر إلى أخيه الأكبر، على حين كان قلبه لا يزال في القدح، ثم أخذ «أنوبيس» أخوه الأكبر قدحَ الماء البارد الذي كان فيه قلب أخيه الصغير، وقدَّمه إلى «باتا» ليشربه، ولما أخذ قلبه مكانه عاد «باتا» إلى شكله الأول فتعانقا، وتحدَّثَ كلٌّ منهما إلى أخيه، فقال «باتا» لأخيه الأكبر: «اسمع سأصير ثورًا عظيمًا فيه كل لون جميل جدًّا،[٢٢٢] لا يعرف طبيعته أحد، وستركب أنت على ظهري، فإذا أشرقت الشمس فستكون في المكان الذي فيه زوجتي، وهناك سأجيبها على ما فعلت،

[٢٢١] هذه مرتبة في الحريم، وسيتحدثون عنها فيما بعدُ بأنها زوجة فرعون «الواحد».

[٢٢٢] يقصد العلامات التي كان يُعرَف بها الثور المقدس، مثل العجل «أبيس».

وستأخذني إلى الملك، وسيقدم إليك كل شيء طيب، وستُكافَأ بالفضة والذهب على أخذي إلى فرعون؛ لأني سأكون أعجوبة، وسيفرح الناس بي في كل الأرض، وبعد ذلك تسافر أنت إلى قريتك.»

ولما كان يوم جديد أخذ «باتا» الشكل الذي تحدَّثَ به إلى أخيه، وركب «أنوبيس» على ظهره، وعند الفجر وصل إلى حيث كان الملك، وقد علم جلالته به ففحص عن حقيقته بنفسه وفرح به فرحًا شديدًا، وقدَّمَ إليه قربانين عظيمين قائلًا: «عجيبة عظمى تلك التي حدثت.» وكان لها في الأرض كلها رنة فرح، وكافئوا أخاه الأكبر على هذه العجيبة وزنها ذهبًا وفضة، ثم استقر في قريته وأهداه الواحد (أي الملك) ملابس كثيرة وعدة عظيمة، وغمره الفرعون بحبه أكثر من كل الناس الذين كانوا في البلاد جميعًا.

وبعد أيام من ذلك الحادث دخل الثور مطبخ «الواحد»، ووقف حيث كانت الأميرة، فأخذ يتحدَّثَ معها قائلًا: «اسمعي إني لا أزال حيًّا.» فقالت له: «أرجو أن تخبرني مَن أنت؟» فقال لها: «أنا (باتا) حقًّا، أتذكرين حينما أوعزتِ إلى فرعون أن يبيد شجرة الأرز حتى لا أعيش بعدها؟ ولكن انظري فأنا الآن حي وإني ثور.» وهنا وجلت الأميرة أشد الوجل للقصة التي قصَّها عليها زوجها.

ثم خرج من المطبخ، وجلس جلالته وتفكَّهَ مع الأميرة، وصبَّتِ الماء لجلالته، وكان ملاطفًا لها كلَّ الملاطفةِ، وعندئذٍ قالت لجلالته: «أقسم لي بالإله قائلًا: إن أي شيء ستقولينه سأستمعه منك.» ثم أصغى إلى كل ما قالت وهو: «إن هذا الثور لن يفيدنا شيئًا،[٢٢٣] فدعني آكل كبده.» وهكذا كان قولها، فحزن «الواحد» لما قالته حزنًا عظيمًا، وصار قلبه من أجله مكلومًا.

وانبثق الفجر عن يوم جديد، وأعلن إقامة عيد ضحية عظيم، وسيكون الثور ضحية ذلك العيد، وجيء برئيس قصابي جلالته ليذبح الثور، وبعد ذبحه كان موضوعًا على أكتاف الناس، فهَزَّ رأسه فسالت نقطتان من الدم بجانب منكبي باب جلالته: سقطت واحدة على جانب من جانبي الباب الأعظم لفرعون، وسقطت الثانية على الجانب الآخَر، وتحوَّلت النقطتان إلى شجرتين ناميتين من السنط، وكانت كلٌّ منهما جميلة، فحمل رجل ذلك النبأ إلى جلالته قائلًا: «إن شجرتين من السنط عظيمتين قد نمتا في الليل! عجيبة عظيمة لجلالته! وهما بجانب باب جلالته الكبير.»

[٢٢٣] لأن الثور سيضحى على كل حال في أحد الأعياد.

وفرح الناس بهاتين الشجرتين في كل البلاد، وقدَّم «الواحد» لهما قربانًا، وبعد ذلك بأيام ظهر جلالته من نافذة «اللازورد» وحول رقبته إكليل من كل أنواع الزهر، وركب عجلة من الذهب، وخرج من القصر ليرى شجرتي السنط، وامتطت الأميرة ظهر جواد[٢٢٤] خلف فرعون.

ثم قعد جلالته تحت إحدى شجرتي السنط، وعندئذٍ تكلَّمَ «باتا» مع زوجته: «إيه يا خائنة، أنا «باتا» وسأعيش بالرغم منك، حقًّا إنك تذكرين كيف أغريت فرعون بقطع شجرة الأرز، وكيف ذُبِحْتُ بإغرائك بعدما صرتُ ثورًا.»

وبعد أيام من هذا صبت الأميرة الماء لجلالته وكان «الواحد» متطلفًا معها، ثم قالت لجلالته: «أقسم لي بالإله قائلًا: إن كل ما تقوله الأميرة لي سأصغي إليه.» فاستمع لكل ما تقول، فقالت: «مُرْ بقطع شجرتي السنط؛ لنصنع منهما أثاثًا جميلًا.» فأصغى الواحد لكل ما قالت، وبعد عدة أيام من هذا أرسل جلالته عمَّالًا مهرة، وقطع شجرتي السنط.

ووقف الفرعون يشاهد مع زوجه (عملية القطع)، فطارت شظية ودخلت فم الأميرة فابتلعتها، وفي اللحظة عينها حملت (أي صارت حبلى)، وعمل منهما (أي الشجرتين) كل ما رغبت فيه (من الأثاث).

وبعد عدة أيام من هذا وضعت الأميرة ولدًا، فذهب رجل وبلغ جلالته قائلًا: «لقد وُلِد لك ولد.» فأحضر وعيَّن له مرضعًا، وجعل له خادمًا، وعمَّ الفرح به البلاد، وأقام جلالته له الأفراح، وقد رُبِّيَ وأحبه في الحال جلالته حبًّا شديدًا، وعيَّنه حاكمًا لإثيوبيا» (ابن الملك)، وبعد عدة أيام من هذا جعله ولي عهد للبلاد جميعًا.

وبعد مضي عدة أيام على ذلك بعد أن قضى عدة سنين وهو ولي عهد للبلاد جميعها، طار «الواحد»[٢٢٥] إلى السماء، وقال الواحد:[٢٢٦] «ليحضر إليَّ كل المستشارين الملكيين لأخبرهم كل ما حدث لي.» ثم أحضرت إليه زوجه، وتحاكما أمام المستشارين الذين انتصفوا له منها، وأحضر إليه أخوه الأكبر فعيَّنه وليًّا للعهد في كل أملاكه.

وقضى ثلاثين عامًا ملكًا على مصر، ثم رحل عن هذا العالم واستولى أخوه على عرشه يوم مماته.

---

[٢٢٤] يحتمل أنه يقصد بهذا أنها كانت تركب عربة؛ لأن المألوف عند المصريين أنهم كانوا لا يمتطون ظهور الخيل.

[٢٢٥] مات.

[٢٢٦] الملك الجديد.

(٢-٢) الأمير المسحور

(أ) ملخص القصة

اشتاق ملك أن ينجب ذكرًا بعد أن حُرِم ذلك دهرًا طويلًا، فأعطاه الإله ما يتمناه، ولكن قدر على هذا المولود أن يلقى حتفه على يد تمساح، أو حية، أو كلب، وعرف والده ذلك فأفرده في بيت بناه له في الصحراء، حتى شبَّ فرأى في الطريق كلبًا يتبع صاحبه، ولم يكن له عهد بسحنة الكلاب، فسأل عنه، ثم طلب واحدًا من جنسه، فأمر له والده بجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية، ولا يغضبه من ناحية أخرى.

كبر الطفل، فاشتاق إلى الحرية، وطلب الخروج إلى أرض الله الواسعة، فأجيب إلى طلبه، سافر الطفل وأبعد في سفره حتى وصل إلى رئيس النهرين، وكانت له بنت جميلة، جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التي ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعًا، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء سوريا ذلك، واستطاعه ذلك الشاب الوافد إليهم من مصر، فتزوَّجَ البنت بعد لَأْيٍ وامتناع، وأحبته وأخلصت له، وسهرت على راحته وحفظ حياته، وأنقذته مرات من الموت، حتى انتهى أجله بإحدى الطرق التي كانت مقدَّرة له من قبلُ.

(ب) دراسة القصة

إن العنوان الذي اختاره «جورج إبرس» الأثري الألماني المعروف لهذه القصة لا ينطبق على موضوعها، فليس الأمير فيها مسحورًا، وليس في القصة شيء عن السحر، والعنوان الصحيح الذي أصبحت تُعرَف به القصة الآن هو: «الأمير المحتوم عليه الموت».

ومن الصعب علينا أن نرجع هذه القصة إلى عهدها بالدقة، والمرجَّح أنها كُتِبت في عهد الأسرة التاسعة عشرة، ومما يُؤسَف له أن نهاية البردية التي كُتِبت عليها قد حُطِّمت، ويقال إنه عُثِر عليها سليمة، ولكن حدث انفجار في البيت الذي كانت مُودَعة فيه في الإسكندرية، فأصابها التحطيم. ومن الممكن أن نتبيَّن خاتمتها من سياقها، فنعرف أن الأمير لا بدَّ ملاقٍ حتفه وفق ما قُدِّر له.

والقصة بادية في ثوب خرافي، وإذا حذفنا منها التمساح، وغيَّرنا الأسماء، كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة، والقصة تدور حول وحيد الأبناء المدلَّل المعنيِّ به، ووحيدة البنات التي يُبذَل كل نفيس في سبيل سعادتها. ويحدث أن يخرج الشاب في مخاطرة

من مخاطرات الحياة، فيلتقي عن غير قصد بالفتاة، فيتحابَّان ويتزوجان بعد تذليل الصعوبات بإتيان المعجزات، وبعد التغلُّب على الفوارق الاجتماعية التي تكون دائمًا عقبة كبيرة بين الحبيبين المُدَلَّهين، ونقرأ الآن كثيرًا من شبيهات هذه القصص في الأمم المختلفة، ولا يبعد أن يكون مصدرها الأول مصر.

وإذا نظرنا إليها من ناحية الأسلوب رأيناها تشبه قصة الأخوين، والتكرار في عباراتها واضح؛ شأن قصص عصر الدولة الحديثة، وهي ترينا من الناحية التاريخية أن السفر من مصر إلى بلاد النهرين كان ميسورًا، وما على المسافر إلا أن يمتطي عربته، ويأكل مما يصادفه من صيد الصحراء، ويتخذ وجهته إلى هدفه فيصل إليه، وبخاصة لأن اللغة المصرية كانت معروفة هناك، كما كانت معروفة في سوريا، فإن الأمير حين قابَلَ أولاد أمرائها تحدَّثَ معهم من غير حاجة إلى وسيط يترجم قوله إلى لغتهم، أو يترجم قولهم إلى لغته، مما يشعرنا بأن أميرنا كان يعرف لغة هذه البلاد، وليس هذا بغريب، فإن مما يعاب عند الكتَّاب المصريين أن يجهل أحدهم طرق السفر، أو لغة التخاطب التي لجيرانه. وسنجد في ورقة أنستاسي الأولى أن الكاتب يلوم زميله ويعيره بأنه لا يعرف الطريق الحسنة التي يخترقها إلى سوريا …

هذا في عصر الدولة الحديثة الذي اختلط فيه المصريون بالأقوام المجاورة لهم عن طريق الفتح أو التجارة، أما في عصر الدولة الوسطى فلم تكن العلاقة قد توثَّقت بين مصر وجيرانها؛ ولذلك نجد «سنوهيت» (وقد سبقت قصته) عندما فرَّ هاربًا إلى «سوريا» قال: إنه وجد أميرًا هناك يعرف المصرية وتحادَثَ معه، مما خفَّفَ عنه بعض عنائه، ثم تعلَّمَ لغة القوم وصار منهم. وسيجد القارئ كذلك عندما نعرض عليه قصة «ونأمون» أنه لما وصل إلى جزيرة «قبرص» سأل جماعة من الحاشية التي كانت تحيط بملكتها عمَّن يعرف منهم اللغة المصرية، وقد أخبره واحد منهم أنه يعرفها.

فاللغة المصرية كانت منتشرة لدى جيران مصر انتشارًا يسايِر كثرةً وقلةً ما كان بين مصر وجاراتها من صلات، وهو أشبه بذيوع اللغة الإنجليزية في كثير من بقاع العالم التي تتبع إنجلترا أو تتصل بها. جاء في تعاليم «آني»: إن اللغة المصرية كانت منتشرةً في كل البلاد الأجنبية (انظر نصائح آني).

وبعدُ، فقصتنا ليست بسيطة في تركيبها، بل إنها تحتوي على جزأين منفصلين وصل بينهما الكاتب كما فعل في قصة الأخوين، مع اختلاف في مغزى كلٍّ من القصتين.

والقسم الأول من قصتنا يعرض القضاء المقدَّر على الوليد بأنه سيلاقي حتفه حتمًا بإحدى وسائل ثلاث: الكلب، أو التمساح، أو الثعبان.

والقسم الثاني ما شاع في عالم القصص من أن ملكًا وملكة حُرِمَا إنتاج الأبناء، فدَعَوا ربهما، أو سألا منجِّمًا عن حظَّيْهما فبشرهما بإجابتهما إلى ما يبغيان. وقد مزج الكاتب القسمين وصقلهما فكان منهما هذه القصة التي نتحدث عنها، وأهم ما يلفت النظر إليها أخلاق الأمير وزوجه؛ فالأمير يعرف نوع الميتة التي تنتظره على يدي التمساح أو الثعبان أو الكلب، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لَمَّا عُرِض عليه ذلك؛ حرصًا على حياته، حتى بعد أن أعدم التمساح والثعبان؛ لأن الكلب قد تربَّى في ظله، فلم يَرَ من الشهامة أن يزهق روحه وقد أظَلَّهما سقف واحد، والزوجة تمثِّل الإخلاص النقي الصافي، فها هي تسهر على حماية زوجها، وتحرص على حياته، وتنتظر رحمة ربه، في الوقت الذي أسلم فيه نفسه لمصيره المحتوم، وهي التي بيقظتها قتلت الثعبان الذي كان يتربص به ريب المنون، وهي التي أشارت عليه بقتل الكلب فأبى، وهي التي كانت تبعث فيه الأمل فتقول: «إن ربك قد خلصك من أحد أعدائك، وسينجيك من الآخرين.»

وإن مَن يرى ذلك الموقف الطاهر النبيل الذي وقفَتْه هذه الزوجة من زوجها، ويقرنه بموقف الخسَّة الذي وقفته الزوجة مع زوجها «باتا» في قصة الأخوين؛ ليأخذه العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين؛ تبعًا لاختلاف المعدنين، ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب تلك، وقد صوَّرَ لنا النقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائمًا شرًّا، ولا تكون دائمًا خيرًا، بل إنه إذا صفا جوهرها كانت مخلصة شديدة الإخلاص، وإذا خبث معدنها كانت خائنة فاجرة في الخيانة، وأن الطبائع البشرية تختلف باختلاف نفس الإنسان وجرثومته.

(ج) متن القصة

يُحكَى أن ملكًا لم يُولَد له ولد ذكر، وقد دعا آلهة زمانه أن يهبوه ولدًا، فقضوا أن يُولَد له ولد، وفي تلك الليلة حملت منه زوجته، ولما أتمت أشهر الحمل وضعت ذكرًا، ثم أتت البقرات «حتحور» ليقررن مصيره، فقلن إنه سيلاقي حتفه على يد تمساح، أو حية، أو كلب، وقد سمع الناس الذين كانوا حول الطفل ذلك، ونقلوه إلى جلالته، وعندئذٍ صار الملك حزينَ القلب جدًّا، وأمر الملك أن يُبنَى له بيت من الحجر في الصحراء، مُجهَّز بالخدم وبكل شيء جميل يليق ببيت ملكي، على ألَّا يغادره الصبي إلى خارجه. ولَمَّا ترعرع الطفل صعد إلى سطح البيت، ولمح كلبًا سلوقيًّا يتبع رجلًا يمشي في الطريق، فقال لخادمه الذي كان واقفًا بجانبه: «ما هذا الذي يتبع الرجل في سيره؟» فقال له: «إنه كلب.» عندئذٍ قال

له الطفل: «مُرْ بإحضار واحد مثله لي.» فذهب الخادم وأخبر جلالته بذلك، فقال جلالته: «دعوا جروًا صغيرًا يُجلَب إليه لئلا يحزن قلبه.» وعلى ذلك أخذوا له جروًا.

وبعد أن مضت عدة أيام نما الطفل جسمًا وعقلًا، وأرسل إلى والده قائلًا: «ما فائدة مكثي هنا؟ انظر، إني قد صرت في يد القدر، دعني أكن طليقًا حتى أعمل حسب رغبتي، وإن الله سيفعل ما في قلبه.» فأصغوا إليه، وأمروا أن يُعطَى عربة مجهَّزَة بكل نوع من العدة، وتبعه خادمه بمثابة رفيق (حامل الدرع)، ثم عبروا به إلى الشاطئ الشرقي وقالوا له: «اذهب حيث شئتَ.»

وقد كان كلبه معه، ثم اتجه شمالًا متبعًا في ذلك ما يميل له قلبه في الصحراء، وعائشًا على أحسن لحوم صيد الصحراء، حتى وصل إلى رئيس النهرين، ولم يكن قد وُلِد لرئيس النهرين إلا بنت، وقد أقام لها بيتًا، شرفته على ارتفاع ٥٦ ذراعًا من الأرض، وقد أحضر كل أولاد رؤساء بلاد سوريا وقال لهم: «إن مَن يصل إلى شرفة بنتي سيأخذها زوجة له.»

والآن بعد انقضاء عدة أيام مَرَّ بهم الشاب وهم يقومون بعملهم اليومي، فأخذوا الشاب إلى بيتهم فاغتسل، وأعطوا جياده علفًا، وقد قاموا بكل خدمة لهذا الأمير؛ إذ دلَّكوه ولفوا قدميه، وأعطوا تابعه طعامًا، ثم قالوا له من طريق المحادثة: «من أين أتيتَ أيها الشاب الجميل؟» فقال لهم: «إني ابن ضابط من أرض مصر، وقد ماتت والدتي واتخذ والدي له زوجة أخرى، وقد بدأَتْ تمقتني، وقد وليت الفرار منها.» وعندئذٍ ضموه إلى صدورهم، وقبَّلوه مرارًا، وبعد انقضاء عدة أيام قال للشبان: «ما هذا الذي تفعلونه ...؟»

فقالوا له: «لقد كنَّا هنا منذ شهور مضت ننفق وقتنا في الطيران؛ لأن مَن يصل منا إلى شرفة بنت رئيس النهرين، فإنه سيهبها له زوجة.» فقال لهم: «ليتها تكون لي، فإذا أمكنني أن أسحر ساقي فإني أذهب للطيران معكم.» ولقد ذهبوا جميعًا للطيران حسب عادتهم اليومية، ولكن الشاب وقف بعيدًا يرقب، وكانت نظرة بنت رئيس النهرين متجهة نحوه.

وبعد انقضاء عدة أيام أتى الشاب ليطير مع أولاد الرؤساء، فطار ووصل إلى شرفة بنت رئيس النهرين، فقبَّلَتْه وضمَّتْه مرارًا، فذهبوا ليخبروا والدها، وقالوا له: «إن رجلًا قد وصل إلى شرفة بنتك.» فسألهم الرئيس: «ابن مَن في الرؤساء هو؟» فقالوا له: «إنه ابن ضابط قد أتى طريدًا من أرض مصر فارًّا من وجه زوج والد.» ولكن رئيس النهرين استشاط غضبًا وقال: «هل أعطي ابنتي طريدَ مصر؟! دَعْه يبتعد من هنا ثانيةً.» فأتوا ليخبروه قائلين: «ارجع إلى المكان الذي أتيت منه.» ولكن الابنة أمسكت به وحلفت يمينًا

قائلة: «بحياة «رع حور أختي» إذا أخذتموه بعيدًا عني فلن آكل ولن أشرب وسأموت في الحال.» وعندئذٍ ذهب الرسل وأخبروا والدها بكل ما قالت، فأرسل الرئيس أناسًا ليقتلوه في الحال، ولكن البنت قالت: «بحياة «رع» إذا قتلتموه فإني عند مغيب الشمس سأكون ميتة، ولن أعيش بعد ساعة واحدة.» فذهبوا ليخبروا والدها بذلك ... الابنة ... وعندئذٍ ... الخوف منه ... دخل على الرئيس، فضمَّه وقبَّله مرات، وقال له: «أخبرني عن حالك، انظر، إنك لي بمثابة ابن.» فقال له: «إني ابن ضابط من أرض مصر، قد ماتت والدتي، واتخذ والدي له زوجة أخرى، وقد أخذت تمقتني، وقد لذت بالفرار أمام وجهها.» وعندئذٍ وهبه ابنته زوجة له، وقدَّمَ له جوادًا، وكذلك ضيعة، وكل أنواع الماشية الطيبة.

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك، قال الشاب لزوجته: «لقد قُدِّرَ لي أن أموت بواحد من ثلاثة: التمساح، أو الحية، أو الكلب.» فقالت له: «إذن فَلْيُقتَل الكلب الذي يتبعك.» ولكنه قال لها: «... لن أقتل كلبي الذي ربَّيْتُه منذ أن كان جروًا.» وعلى ذلك أخذت تراقب زوجها بدقة، فلم تدعه يذهب إلى الخارج وحده. والآن تأمَّلْ.

... إلى أرض مصر ... ليتقهقر (؟) انظر، تمساح البحيرة ...

وأتى إليه في المدينة التي كان فيها الشاب ... بحيرة وكان فيها عفريت ماء.

ولم يسمح عفريت الماء للتمساح أن يخرج، ولكن عندما نام التمساح (؟) خرج ملاك الماء للنزهة، فعندما أشرقت الشمس وقَفَا يتحاربان كل يوم لمدة شهرين كاملين.

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك جلس الشاب يمتِّع نفسه في بيته، وعند حلول الليل نام الشاب على سريره، وأخذه النعاس تمامًا، ولكن زوجته ملأت (كأسًا بـ) ... وكأسًا أخرى بالجعة، وعندئذٍ خرجت (حية) من جحرها لتلدغ الشاب، ولكن تأمَّلْ! لقد كانت زوجه جالسةً بجانبه يقظةً ... الحية، فشربت حتى ثملت، وذهبت لتستلقي على ظهرها، وعندئذٍ تسببت زوجه في أن تقضي عليها بفأسها، ثم أيقظت زوجها ...

وقالت له: انظر، لقد وضع الله أحد ما قُدِّر حتفك به في يدك، (وسيسلم لك الآخران أيضًا)، وعلى ذلك قدم قربانًا إلى «رع» مادحًا إياه، ومعظمًا قوته كل يوم.

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك خرج الشاب للتنزُّه على الشواطئ في ضيعته دون أن يذهب خارجها ... وقد كان كلبه يتبعه، وقد أعطي الكلب قوة الكلام ... وهرب منه، فوصل إلى البحيرة، ونزل فيها (ليهرب من) كلبه، فقبض عليه التمساح (؟) وذهب به إلى المكان الذي كان يسكن فيه عفريت الماء ...

وعندئذٍ قال التمساح للشاب: «إني أنا قابضك الذي كان يتبعك و... لعدة أيام مضت، إني على وشك محاربة عفريت الماء، وانظر سأطلق سراحك، ولكن إذا ... لتحارب ... وإنك

ستصفِّق إعجابًا بي، عندما يقتل عفريت الماء (؟) ... وإذا نظرت ... ننظر الـ ... والآن عندما انبثق الفجر، وحلَّ اليوم الثاني ... إني ... (وهنا نجد الورقة محطَّمَة — بكل أسف — ولا شك أن الكلب هو الذي سيقضي على حياة الشاب).

(د) المصادر

يجد القارئ أحدث ترجمة لهذه القصة في:

(1) The Journal of Egyptian Archeology Vol. XI P. 227 etc.
(2) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians. P. 191 etc.

أما الأصل المصري القديم فمحفوظ بالمتحف البريطاني، وقد طُبِع في مجموعة الأوراق البردية المعروفة باسم: Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum Second Series. Pls XLVIII–LII). Pap Harris 500, verso 4–8.

وقد كان أول مَن لفت النظر إليها جدون Goodwin وقد ترجمها كذلك «جرفث».

(3) Griffith in The World's Best Literature PP. 5250 ff.
(4) Maspero Popular Stories of Ancient Egypt P. 185.

ويجد القارئ فهرسًا كاملًا لهذه القصة في المؤلَّف الأخير.

(٢-٣) قصة الملك «أبوفيس» و«سقننرع»

(أ) ملخص القصة

أرسل ملك الهكسوس «أبوفيس» رسلًا إلى ملك طيبة «سقننرع»، مدعيًا أن جاموس البحر الذي يعيش في بحيرة طيبة يقضُّ مضجعه، بسبب أصواته المزعجة التي تصل لقوتها إلى مقر جلالته — بصا الحجر — وأنه لذلك يأمر ملك طيبة بإبادة جاموس البحر الذي يسكن في تلك البحيرة جميعه إن أراد أن يبقى حائزًا لرضاه ...

(ب) دراسة القصة

يظهر لنا أن هذه القصة، والقصة التي تليها المسماة «الاستيلاء على يافا» أشبه بقصص التاريخ وإن بدتا في ثوب خرافي، فنحن نعرف أن البلاد قد غزاها الهكسوس، وأن ملوك

«طيبة» كانوا يناهضون الغزاة، ومن المحتمل جدًّا أن تكون هذه المقاومة قد بدأت في عهد «سقننرع تاعا» المعاصر لملك الهكسوس المسمَّى «أبوفيس» «عاقننرع» والذي اتخذ «أواريس» (صا الحجر الحالية) عاصمة له، وإذا صحَّ ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها تَعِلَّة لإعلان الحرب على ملك طيبة الذي يكيد له، وتكون قصة «الذئب والحمل» التي نتناقلها ونتمثل بها في التاريخ الحديث صدى لأختها قصة «إبادة جاموس البحر» في العصر القديم. ويعزز هذا الرأي بردية من عهد الدولة الحديثة تؤيِّد ما سبق، إن لم يكن ما جاء فيها ترديدًا لتلك الحوادث الدامية التي أدَّتْ إلى طرد الهكسوس من البلاد.

كما أنه ليس من البعيد أن تكون هذه القصة خرافية، وأنها من وحي الخيال جملةً، وأن دسَّ هذه الأسماء الحقيقية التي وردت في ثناياها كانت لتكسبها أهميةً، ولتذكر القارئ القديم بصفحة منسية من تاريخ بلاده؛ وحينئذٍ تكون مسألة طلب ملك الهكسوس إبادة جاموس البحر من قبيل الأحاجي التي كان يتهاداها الملوك في ذلك العصر على ما قاله «مسبرو»، ويسلطون عليها أشعة عقولهم حتى يجدوا حلًّا لما فيها من المآزق، وحينئذ يفوزون بمدح إنْ وُفِّقوا، أو يعودون بقدح إن أخفقوا، أو أن هذا الطلب الشاذ كان لغرض ديني يتبعه، فإذا رفض ملك طيبة مثلًا تنفيذ إرادة ملك الهكسوس أُجبِرَ على ترك عبادة إلهه «رع» إلى عبادة معبود الهكسوس الإله «سوتخ».

ولقد ظهر في الخرافات الشرقية مثيل لخرافتنا هذه، مبني على أساس فكرتها. وقد دُوِّنَتْ قصتنا هذه في عهد الملك «مرنبتاح» في الأسرة التاسعة عشرة، ونجد شبيهًا لها في قصة «إعماء الصدق» من نفس عصرها، وكذلك نجد مثيلًا لها في عهد الملك «نقطانب» من الأسرة الثلاثين، حُكِيت فيما بعدُ على لسان «أيسوب»، ومضمونها: أن الفرعون «نقطانب» أرسل سفيرًا إلى «ليسيرس» Lycerus ملك «بابل» وإلى وزيره «أيسوب» قائلًا: إن لديَّ أنثى من الأفراس لقاحها صهيل الجياد التي في «بابل»، فتحمل من هذا الصهيل؛ فما جوابك على ذلك؟ فأعَدَّ «الفريجي» جوابه بأن أغرى بعض الأطفال بضرب قطة في الشارع أمام الناس، ولما كان المصريون يقدِّسون القطة غضبوا لذلك أشد الغضب، وخلصوا القطة من أيدي الأطفال، وشكوا أمرهم إلى ملكهم، فأحضر «الفريجي» أمامه لاستجوابه، وسأله: «ألَا تعرف أن القطة من آلهتنا؟! فلِمَ تعاملها بهذه الطريقة؟» فأجاب: «لقد فعلتُ ذلك لأنها ارتكبت جريمة بالأمس ضد «ليسيرس» Lycerus، فقد خنقت ديكًا له مجتهدًا كان يصيح في كل ساعة.» فقال له الملك: «كذبت، فكيف تستطيع قطة أن تقوم بسياحة طويلة كهذه

في وقت قصير كهذا الوقت؟!» فأجاب «أيسوب»: «وكيف تستطيع إناث خيلك أن تسمع أصوات جيادنا مع طول الشقة وبعد المسافة، فتحمل من صهيلها بمجرد سماعه؟!»

فهذه القصة التي ذكرنا لبابها صدى لقصتنا المصرية، ظهر في خرافات «أيسوب»، وقد يحتمل أن يكون بين مستشاري «سقننرع» مَن أجاب بمثل ما أجاب به «أيسوب»، أو بمثل الجواب الذي رأيناه في قصة «إعماء الصدق».

هذا، ولا يختلف أسلوب قصتنا هذه عن أسلوب قصص عصرها، اللهم إلا بكثرة ما رأينا فيها من الأخطاء، ولعل ذلك لجهل التلميذ المصري القديم الذي نقلها، وفيها تكرار لبعض جملها، وغموض في بعض نواحيها نشأ من تهشُّم بعض أجزائها.

(ج) متن القصة

حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء (؟)، ولم يكن للبلاد حاكم بمثابة ملك في هذا الوقت، وقد حدث أن الفرعون «سقننرع» كان حاكمًا على المدينة الجنوبية (يعني طيبة)، ولكن كانت الجائحة الشنعاء في بلد العامو (الهكسوس)، وكان الأمير «أبوفيس» في «أواريس»، وكانت كل البلاد خاضعة له، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها، وكذلك كل طيبات تميرا (أي مصر، وقد بقي هذا اللفظ في كلمة دميرة).

وقد اتخذ الملك «أبوفيس» الإله «سوتخ» ربًّا له، ولم يعبد أي إله آخَر في البلاد غير «سوتخ»، وقد بنى معبدًا ليكون عملًا حسنًا خالدًا بجانب قصر «أبوفيس»، وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله «سوتخ»، وكان موظَّفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يُفعَل تمامًا في معبد «رع حور أختي».

أما فيما يتعلق بالملك «أبوفيس» فإن رغبته كانت في إيجاد موضوع للنفار بينه وبين الملك «سقننرع» أمير المدينة الجنوبية.

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبوفيس» بإحضار ... رئيسه ...

عند هذه النقطة نجد المتن غير متَّصِل لكثرة الفجوات، وقد حاول «مسبرو» مَلْأها على وجه التقريب.)

... وقال لهم (أي للمستشارين): إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولًا إلى المدينة الجنوبية لآتي بتهمة) ضد الملك سقننرع. و... لم يعرفوا كيف يجيبونه، وعندئذٍ أمر بإحضار كتابه والحكماء من أجل ذلك، فأجابوه قائلين: أيها الحاكم يا سيدنا ... توجد بحيرة جاموس بحر (في المدينة الجنوبية ...) النهر (...) وهي (جاموس البحر) لا تسمح

للنوم أن يأتي لنا نهارًا ولا ليلًا؛ لأن الضجيج في أذننا، وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية ... الملك «سقننرع»، ودَعِ الرسول يقل له: الملك أبوفيس (...) يأمرك أن تجعل جاموس البحر يترك البحيرة ... وبذلك سترى جلالتك مَن يكون معه معينًا؛ لأنه لا يميل لأي إله في كل الأرض قاطبةً إلا «آمون رع» ملك الآلهة.

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسَلَ الملك «أبوفيس» إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التي قالها له كتَّابه والحكماء؛ ووصل رسول الملك «أبوفيس» إلى أمير المدينة الجنوبية، فأخذوه إلى حضرة أمير المدينة الجنوبية، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك «أبوفيس»: ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية؟ وكيف قطعت هذه الرحلة؟ فقال له الرسول: «لقد أرسل لك الملك «أبوفيس» يقول: مُرْ بأن يَهْجُرَ جاموس البحر بحيرته التي في ينبوع المدينة الجاري (المدينة هنا طيبة)؛ لأنه (أي جاموس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشاني ليلًا أو نهارًا؛ إذ إن أصواته المزعجة في أذني.»

وعندئذٍ بقي أمير المدينة الجنوبية صامتًا وبكى مدة طويلة، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابًا لرسول الملك «أبوفيس»، فقال له أمير المدينة الجنوبية: كيف سمع سيدك عن البحيرة التي في ينبوع المدينة الجاري؟ فقال له الرسول: ... الموضوع الذي من أجله قد أرسلك (؟). وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدِّم لرسول الملك «أبوفيس» كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز ... وقال له أمير المدينة الجنوبية: ارجع إلى الملك «أبوفيس» سيدك! ... أي شيء تقوله له سأفعله عندما تأتي (؟) (...) وعاد رسول الملك «أبوفيس» مسافرًا إلى المكان الذي فيه سيده.

وعندئذٍ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضبَّاطه العِظَام، وكذلك كل كبار الجند الذين كانوا عنده، وأعاد عليهم التهمة التي بعث بها إليه الملك «أبوفيس»، وقد ظلوا صامتين جميعًا لمدة طويلة، ولم يعرفوا أن يجاوبوا بأي شيء قطُّ، حسنًا كان أو سيئًا، وأرسل الملك «أبوفيس» إلى ...

(وهنا تنقطع القصة في الورقة التي استُعمِلَتْ بقيتها في خطابات نموذجية، وهي أسلوب إنشائي كان بلا شك في ذلك الوقت أكثر فائدة، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن؛ لأننا كنَّا نود أن نعرف نهاية القصة.)

(د) المصادر

كان أول مَن فهم مضمون هذه القصة هو «دي روجيه»، ثم قام بترجمتها بعده عدة علماء، وأهم التراجم ما يأتي حسب جدتها:

(1) Gunn & Gardiner in The Journal of Egyptian Archeology Vol. V. P. 40 ff.

(2) Erman The Literature of the Ancient Egyptians Translated by Blackman P. 165 ff.

(3) Maspero Papular stories of Ancient Egypt P. 298 ff.

أما الأصل المصري القديم فيوجد في ورقة «ساليه» Pap. Sallier 1–3 In the British Museum.

(٢-٤) قصة الاستيلاء على يافا

(أ) ملخص القصة

الملك تحتمس قاهر الأعداء يرسل قائده ليستولي على يافا، ذلك الثغر العظيم الواقع جنوب فلسطين، فيحاصر القائدُ المدينةَ، وتمتنع عليه، فيعجز عن اقتحامها فيلجأ إلى الحيلة، ويغري أمير المدينة بالخروج إليه لمحادثته، ولما تقابَلَا أكرمه واحتفى به، وأدخل في روعه أنه سينضم بجنوده إليه، وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله، وباشتراكه مع عصا تحتمس التي كانت تشبه عصا موسى تغلَّبَ على العدو، وفتح بلاده بعد خدعة حربية رائعة.

(ب) دراسة القصة

لقد دوَّنَ تحتمس الثالث كل حروبه على جدران معبد الكرنك، وعلى صحائف أثرية أخرى، ولم يَرِدْ فيما دُوِّنَ من ذلك إشارة إلى حوادث هذه القصة.

والذي رواه لنا التاريخ أن تحتمس الأول قد فتح يافا، ونرى اسم حاكمها في قائمة غزوات هذا الملك باسم «مقهور يافا» (وكان لقب «مقهور» يُطلَق على كل أمير مغلوب في هذا العصر، فكان يُقَال «مقهور» قادش، مثلًا).

غير أننا نرى من جهة أخرى أن «تحوتي» الذي جاء في القصة أنه استولى على تلك البلدة كان شخصية معروفة في عهد تحتمس الثالث، ومن عظماء رجاله البارزين، ولا بد

أنه كان من أعظم قوَّاده وأمهرهم في السياسة، ومقبرته قد كشف عنها في مقابر طيبة، ولقد تكلَّمَ عن نفسه، فأرانا أنه كان موضع ثقة الملك في كل الأصقاع الأجنبية، وفي جزر البحر الأبيض المتوسط، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية، وأنه كان أول قائد صاحَبَ الملك في كل الأراضي الأجنبية، والظاهر من كل هذا أنه كان ذا شخصية عظيمة، ولهذا كان اسمه يتردد على الشفاه أمدًا طويلًا بعد انقضاء عصره. ويوجد الآن في متحف «دارمستاد» خنجر «تحوتي»، وفي متحف «اللوفر» طبق من الذهب أهداه إليه الملك تحتمس أيضًا.

ويبدو أن الشخصيات التي مثَّلت أدوارًا في هذه القصة لها أصل تاريخي، أما ما نُسِب إليها من الأعمال، فغالب الظن أنه من نسج الخيال. هذا، وأرجو ألَّا تفوتنا الإشادة بذكر ما لتحتمس الثالث — الذي وقعت في عهده هذه القصة — من مجد حربي فاقَ كل أنداده من ذوي التيجان الفرعونية، وقد ظل اسمه يقذف الرعب في قلوب الأمم المقهورة التي ضرستها غزواته حتى بعد موته بعدة أجيال، وقد كانت التعويذات تحصن باسمه، ولم ينقطع أمرها بعد أن لحق بخالقه، بل ظل الناس على ذلك قرونًا عديدة، وكان اسمه تميمة سحرية يُهزَم عند ذكرها الأعداءُ؛ وما ذلك إلا من آثار ما خلَّفه في النفوس من الذعر والهلع اللذين غرسهما بطشه وجبروته، فلا غرابة إذن في أن يؤلِّف المصريون القصص عن عهده، وأن ينسبوا إليه القدرة على هزيمة الأعداء — وإن لم يبرح بلاده — وأن يجعلوا لعصاه ما لعصا موسى من السحر والغلبة، فتقتل عدوه، وتيسِّر له السبيل إلى فتح يافا.

(ج) متن القصة

والآن بعد ساعة سكرهم قال «تحوتي» لـ ... (سأحضر) ومعي زوجتي وأطفالي إلى مدينتك، فمُرِ المحاربين ليحضروا (الجياد) ويعطوها العلف، أو مُرْ أحد «العبر» يمر ... فأمسكوا بالجياد وأعطوها علفًا و... الفرعون «منخبر رع» فأتوا ليقصُّوا ذلك على «تحوتي»، وبعدئذٍ قال أمير يافا «لتحوتي»: إن رغبتي هي في أن أرى عصا الملك تحتمس المسماة «الجميلة»، وإني أستحلفك بحياة الملك «منخبر رع» أن تكون في يدك هذا اليوم ... «الجميلة» وأحضرها، ففعل ذلك وأحضر عصا الملك «منخبر رع» وأخفاها تحت عباءته، ثم وقف من فوقه (؟) قائلًا: انظر إليَّ يا أمير يافا! هذه هي عصا الملك «منخبر رع» الأسد الهصور ابن «سخمت»، وقد أعطاه «آمون» والده الطيب القوة ليستعملها؛ وعندئذٍ ضرب جبهة أمير يافا فسقط مطروحًا أمامه، فوضعه في ... جلد ... هو ... قطعة

النحاس التي ... ضرب أمير يافا ووضعوا قطعة النحاس التي تزن أربعة أرطال على قدميه، وبعد ذلك أمر بإحضار خمسمائة سلة كان قد أعَدَّها لهذا الغرض، ووضع فيها مائتي جندي، وقد كبلوا أذرعتهم بالأغلال والسلاسل عليها أقفالها (؟) وأعطوهم نعالهم وعصيهم (اترر)، وجعلوا كل خيرة الجند يحملونها، وكان عددهم خمسمائة رجل، وقالوا لهم: «عندما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفاقكم (الذين في السلال) وتقبضوا على كل رجل في المدينة وتضعوهم في الأغلال.» وعندئذٍ خرجوا وقالوا لسائس أمير «يافا»: إن سيدك يقول: اذهب وأخبر سيدتك: افرحي؛ لأن الإله «سوتخ» قد أسلم إلينا «تحوتي» وزوجه وأطفاله. انظري، لقد أسرتهم يدي. وتشير إلى هذه السلال المائتين المملوءة بالرجال المكبلين بالسلاسل والأغلال. وذهب أمامهم ليخبر سيدته قائلًا: لقد أسرنا «تحوتي» وعندئذٍ فُتِحت حصون «يافا» أمام الجند ودخلوا المدينة فخلصوا رفاقهم، وقبضوا على كل رجل كان في المدينة — صغيرًا كان أو كبيرًا — ووضعوهم في السلاسل والأغلال في الحال، وهكذا استولت قوة فرعون الظافرة على المدينة، وأرسل «تحوتي» ليلًا إلى مصر لسيده «منخبر رع» قائلًا: انظر إن «آمون» والدك الطيب قد أسلم إليك أمير يافا مع كل رجاله ومدينته أيضًا؛ فأرسل لنا رجالًا ليأخذوهم أسرى حتى تملأ معبد والدك «آمون» ملك الآلهة بالعبيد من الرجال والنساء الذين سقطوا تحت قدميك إلى الأبد. لقد انتهت القصة بسرور بيد الكاتب الماهر بأنامله كاتب الجيش ...

ولسنا في حاجة إلى أن نلفت نظر القارئ هنا إلى أن هذه القصة تشبه في بعض النقط ما جاء في «ألف ليلة وليلة» عن «علي بابا والأربعين حرامي». أما الحيل الأخرى فنجدها في قصص أخرى عند الإغريق والرومان. وأما لغة القصة فهي لا تختلف عن لغة هذا العصر وأسلوبه، بل نجد فيها التكرار الممل للأعلام والجمل المألوف تكرارها.

(د) المصادر

لقد وجدت هذه القصة مكتوبة بالهيراطقية في نفس الورقة التي كُتِبت عليها قصة الأمير المسحور؛ فهما من عصر واحد، ولغة واحدة، وقد تُرجِمت القصة مرارًا، وأهم التراجم ما يأتي:

(1) Peet: Journal of Egyptian Archeology Vol. XI P. 225 ff.

(2) Maspero Papular Stories of Ancient Egypt P. 108.
(3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 197 ff.
(4) Grifrith The World's Best Literature P. 5250 ff.

(٢-٥) قصة «إزيس» وإله الشمس «رع»

(أ) دراسة القصة

هذه القصة تُعتبَر من الأمثلة الطريفة في الشعر القصصي عند المصريين، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يصلنا إلى الآن مجموعة عظيمة من هذا النوع من الشعر، كما نجد ذلك في «بابل» و«فلسطين»، ولا شك أنه كان موجودًا، وربما تجود تربة مصر بشيء منه في القريب العاجل، ولدينا في الكتابات المصرية إشارات صريحة تدل على وجوده، فنعلم مثلًا أنه كان يوجد مجموعة من الخرافات خاصة بإله الشمس، وقد بقي منها نتف في «متون الأهرام»، وكذلك قصة «هلاك الإنسانية» التي أوردناها في هذا الكتاب، يضاف إلى ذلك قصة المخاصمة بين «حور» و«ست» التي سنفصِّل الكلام عنها. ولا نشك في أن «بلوتارخ» عندما بدأ الكتابة عن «إزيس وأزير» كانت أمامه معلومات طريفة عن هذا الموضوع.

وعلى أية حال فإن الحظ لم يواتنا في موضوع الخرافات المصرية؛ إذ لم يَبْقَ لنا منها إلا النزر اليسير، ولا بد أن مقدارها كان عظيمًا جدًّا، غير أننا لسنا في مركز يسمح لنا بأن نقول إنها كانت تشتمل على تلك الصفات العالية التي يمتاز بها الشعر القصصي في «بابل» و«فلسطين».

والقصة التي نحن بصددها الآن مثال من هذا الشعر، وهي تُرِينَا كيف أن «إزيس» خدعت الإله «رع» حتى أخبرها باسمه الخفي، ولا بد أن نفسِّر ذلك هنا بأن معرفة اسم الشخص تعطي مَن يعرفه قوة يسيطر بها عليه حسب اعتقادهم في الأمور السحرية؛ ومن ذلك نفهم السر في أن «رع» كان يحرص على إخفاء اسمه، وسبب خداع «إزيس» له حتى وصلت إلى معرفته.

(ب) متن القصة

كانت «إزيس» امرأة حكيمة الكلام، وكان عقلها أكثر مكرًا من ملايين الرجال، وكانت أعقل من ملايين الآلهة، وكانت تعادل (؟) ملايين الأرواح، وكانت تعرف كل ما في السموات وما في الأرض مثل «رع» الذي يعمل كل ما تحتاج إليه الأرض.

وقد كان «رع» يدخل السماء كل يوم على رأس نواتيه ويجلس على «عرش الأفقين»، غير أن الشيخوخة المقدَّسة جعلت لعاب فمه يسيل (؟)، وعلى ذلك بصق على الأرض، وسقط لعابه عليها، فجمعته (كشطته) إزيس في يدها بالتراب الذي كان عليه، وسوَّته في صورة ثعبان فخم، وصوَّرته في شكل … غير أنه لم يَتحرَّك كأنه حي أمامها، ولكنه امتد على الطريق الذي كان من عادة الإله العظيم أن يمر به حسب رغبته في طريقه. وخرج الإله المتعالي في بهاء، وفي معيته الآلهة الذين في القصر، ليمشي في الخارج كما كان يفعل كل يوم، وعندئذٍ لدغه الثعبان الفخم حتى نفث فيه النار المتقدة التي خرجت منه … فصاح الإله المقدس بصوته، فوصل صوت جلالته إلى السماء؛ حتى إن تاسوعه صاحوا: «ما هذا؟ ما هذا؟» وآلهته: «ماذا؟ ماذا؟» على أنه لم يجد صوتًا ليجيب، وارتعدت شفتاه، وزُلزِلت كل أعضائه؛ لأن السم كان قد أمسك بجسمه كما يمسك النيل بـ …

وعندما استرد الإله قلبه ثانيةً نادى أتباعه: «تعالوا إليَّ أنتم يا مَن أتيتم إلى الوجود من جسمي، أنتم أيها الآلهة الذين خرجوا مني، وذلك لأخبركم بما حدث لي. لقد لدغني شيء رديء، وقلبي لا يعرفه، وعيني لم تره، ويدي لم تسوه، ولا أعرفه من بين كل الذين خلقتهم، ولم أشعر بألم مثله، ولا شيء أكثر ألمًا منه. وإني أمير وابن أمير، وإني بذرة إله اتخذت وجودها من إله، وإني عظيم وابن عظيم، اخترع والدي اسمي، وإني واحد له عدة أسماء وعدة أشكال، وصورتي في كل إله. «أتوم»، و«حور-حكنو» يُلتمسان فيَّ، وقد أعطاني والدي ووالدتي اسمي، وقد بقي مخفيًّا في جسمي منذ وُلِدت حتى لا يكون لساحر أو ساحرة سلطان عليَّ. والآن عندما خرجت لأشاهد ما صنعت، ولأسير في الأرضين اللتين خلقتهما لدغني شيء لا أعرفه، فلم يكن نارًا، ولم يكن ماءً، ومع ذلك كان قلبي يحترق، وجسمي يرتعد، وتجمَّدَتْ كل أعضائي. أرسِلوا إليَّ الأولاد المقدسين الذين لهم كلام ناجع، حكماء اللسان والذين يصل مكرهم إلى السماء.»

عندئذٍ أتى إليه الأولاد المقدسون كلٌّ منهم بعويله (؟)، وكذلك أتت «إزيس» بخدماتها، ونصيحتها نَفَس الحياة، وأقوالها تطرد المرض، وكلمتها تعطي الحياةَ مَن أخطَأَه النفس. فقالت: «ما الذي حدث؟ ما الذي حدث؟ أيها الوالد المقدَّس، ماذا؟ إذا كان قد ألحق بك ثعبان ضررًا (؟) أو أي مخلوق من مخلوقاتك قد رفع رأسه ضدك، فإني سألقي به أرضًا بالسحر الفعَّال وأمنعه مشاهدة أشعتك.»

وعندئذٍ فتح الإله الجليل فاه وقال: «لقد كنتُ ذاهبًا على الطريق، سائرًا في الأرضين وفي الصحراء؛ لأن نفسي كانت تتوق إلى رؤية ما خلقته، ولكن تأمَّلِي، لقد لُدِغت من ثعبان

لم أره، وإنها ليست نارًا وليست ماءً، ومع ذلك فإني كنت أبردَ من الماء وأحَرَّ من النار، وقد تصبَّب كل جسمي عرقًا، وإني أرتعد، وعيناي ليستا قويتين، ولذلك لا يمكنني أن أرى؛ لأن الماء يتصبَّب على وجهي كما يحدث في قيظ الصيف.»

وبعد ذلك قالت «إزيس» «لرع»: «أخبرني عن اسمك أيها الوالد المقدَّس؛ لأن الرجل الذي تُتلَى باسمه تعويذة سيبقى حيًّا.» فأجابها «رع»: «إني أنا الذي خلقت السماء والأرض، وأرسيت الجبال معًا وسويت ما عليها، أنا الذي خلق الماء، ومن ثَمَّ وجدت «محورت»، وأنا الذي خلقت الثور للبقرة، وعلى ذلك جاء الأب إلى عالم الوجود، وأنا الذي كوَّنت السماء وأسرار الأفقين، ووضعت أرواح الآلهة فيها، وأنا الذي فتح عينيه ومن ثَمَّ جاء النور إلى الوجود، والذي أغمض عينيه فجاء الظلام إلى الوجود، والذي بأمره يجري النيل، والآلهة لا يعرفون اسمه، وأنا الذي خلقت الساعات، ومن ثَمَّ جاءت الأيام إلى الوجود، وأنا الذي افتتح الأعياد السنوية، وأنشأ النهر، وأنا الذي خلقت نار الحياة لأجل أن توجد أعمال ... وأنا الإله «خبري» في الصباح، و«رع» في الظهيرة، و«آتوم» في المساء.»

ومع كل فإن السم لم يكف عن مجراه، ولا خفف ألم الإله العظيم، وعندئذٍ قالت «إزيس» للإله «رع»: إن اسمك لا يوجد بين الأسماء التي تلوتها عليَّ، فأخبرني به لأجل أن يخرج السم؛ وذلك لأن الرجل الذي ينطق باسمه سيعيش. ثم أخذ السم يحرقه بفظاعة، وأصبح أقوى من اللهيب أو النار، فقال جلالة «رع»: أعيريني أذنك أيتها البنت «إزيس»، وسينتقل اسمي من جسمي إلى جسمك.

وعندئذٍ خبَّأ نفسه (أو الاسم) من الآلهة؛ وذلك لأن المسافة كانت شاسعة في قارب ملايين السنين،[٢٢٧] وعندما حانت ساعة الكشف عما في القلب قالت لابنها «حور»: اجعله عاجزًا أمامي، وذلك بأن يحلف الإله يمينًا أنه يفقد عينيه (إذا أصابها بضرر)، وعلى ذلك كشف الإله العظيم عن اسمه للإلهة «إزيس»، ثم قالت «إزيس» الساحرة العظيمة: أيها السائل السام اخرج من «رع»، وأنت يا عين حور اخرجي من الإله ... ريق الفم. إني أنا الذي ينفذ، وأنا الذي أرسل، تعالَ إلى الأرض أيها السم القوي. انظر، إن الإله العظيم

[٢٢٧] مركب الشمس الذي يسبح فيه الإله «رع» ومعه أتباعه في السماء كل يوم من الشرق ثم إلى الغرب، ومن ثَمَّ يذهب إلى العالم السفلي ويسبح في سمائه، ثم يظهر في الشرق ثانيةً في اليوم التالي، وهكذا.

قد باح باسمه، إن «رع» يعيش والسم قد مات، وفلان[٢٢٨] ابن فلان يعيش والسم مات. وهكذا تكلمت «إزيس» العظيمة، أميرة الآلهة التي تعرف «رع» باسمه الحقيقي.

ويرى القارئ أن هذه القصة لم تُكتَب بطريقة شائقة؛ وذلك لكثرة ما فيها من التفصيلات الخرافية، حتى إن النقطة التي تدور حولها القصة قد صارت غامضة لكثرة ما في القصة من الصفات التي يتحلَّى بها «رع». وقد كان في مقدور الكاتب أن يكتبها في سطور قليلة، ولكنه أراد أن يُظهِر كل صفات رع، أو بعبارة أخرى يكتب حسب الطريقة المصرية، ويرخي لنفسه العِنان في المترادفات.

وإذا أراد القارئ أن يرى الفرق في الاقتصاد في التعبير بين المصرية والعبرية مثلًا، فما عليه إلا أن يقرن قصتنا هذه بقصة تشبهها سطحيًّا في التوراة، وأعني بذلك قصة موسى والثعبان (كتاب العدد، الإصحاح الحادي والعشرون، الآيات ٤–٩)، فالأولى قد كُتِبت في صفحات، والثانية في سطور، والأولى على الطريقة المصرية، والثانية على الطريقة العبرية، وكلتاهما طريفة في بيئتها.

(ج) المصادر

أحدث التراجم:

(1) Eric Peet. A comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 19 ff.
(2) Müller Egyptian Mythology P. 80 ff.

(٢–٦) عن ملك وإلهة

مقدمة

في متحف «برلين وفينا» قطع من ورقة بردي في حالة سيئة تتحدث عن ملك وإلهة وموظَّف يُدعَى «حورمين»، وإنَّا سنورد هنا القِطَع التي يمكن ترجمتها، وعلى خيال

[٢٢٨] في التعاويذ السحرية يُترَك اسم الشخص الذي يُرَاد رقيته خاليًا، ويستعاض عنه بكلمة فلان، وعندما يُعرَف اسم الشخص يُكتَب بدلًا من كلمة فلان ابن فلان.

القارئ أن يستكمل الباقي.[٢٢٩] غير أنه يمكننا أن نقول إن وجود موظف في منف يحمل اسم «حورمين» النادر، ويمضي الملك معه عشرة أيام، وتظهر في بيته البنت الجميلة؛ يجعلنا نفكِّر قهرًا في شخص حقيقي.

(أ) القصة

المشرف على خدر النساء الملكي في «منف» «حورمين» الشهير، وهذا الرجل العظيم قد كافأه الملك «سيتي» الأول بالذهب حينما بلغ حياة طويلة وعمرًا مديدًا مباركًا، دون أن يرجع إلى الطفولة، ومن غير أن يرتكب خطأ ما في البيت الملكي.[٢٣٠] ونجد في كل المتاحف آثارًا من قبره في سقارة،[٢٣١] فمن الجائز إذن أن تكون خرافة قد علقت بهذا الرجل كما هو الحال مع القائد «تحوتي» (انظر قصة الاستيلاء على «يافا»).

وكل أنواع الهدايا قد أحضرت إلى الملك، وعند الغروب أتت (؟) على رأس القوم الذين كانوا محملين بالهدايا ... بيتها، وقالت لجلالته ... احضر له القدح، هو ... على السطح، ونادى ... ضابط الجنود الاحتياطي للجيش ... أحضِرْ لي سلات فيها فضة وذهب، وفعل ... وبعد أيام مضت على ذلك ... نظرتها، وأخذت له ... هذه ثلاث السنوات فيها، وقد انبطحوا أمام (الملك) (؟) ...

... «سأفعل ما» يمليه قلبي ... خمسون إناء من الشهد ... قمح، وجعل جلالته ... وأمر أن يحضر الحمل أمامه ... تعال (؟) إلى «منف»، وحينئذٍ سيعمل لك ... وبعد أيام عدة مضت على ذلك جاء جلالته «منف» إلى «حورمين» المشرف على خدر النساء، وأمضوا عشرة أيام، وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك ... وحولت نفسها إلى عذراء جميلة ... وبعد أيام عدة مضت على ذلك ... لا تخف (؟) اصعد أنت ... وبعد أيام عدة مضت على ذلك ركب جلالته (عربة) (؟) ووصلوا إلى المملكة الشمالية ... وقال القوم لفرعون ما أنت فاعل (؟) ... لا يرجع أحد ثانية؛ فإن الإلهة (تذبح) الناس ... وبعد عدة أيام مضت على ذلك ...

---

[٢٢٩] حيث لا يمكنني ترتيب القطع الباقية.

[٢٣٠] اللوفر C 213.

[٢٣١] شواهد قبره في برلين.

(ب) المصادر

Erman. The Literature of Ancient Egyptians P. 172–173.

(٢-٧) قصة عن عشتارت

كانت الآلهة «عشتارت» الفينيقية معروفة عند المصريين في خلال الأسرة التاسعة عشرة، وفي حكم «رعمسيس» الثاني كان لها معابد خاصة في عاصمته، ولا بد أنه كان لها معابد غيرها في المدن الأخرى، على أن حشر إلهة أجنبية يمكن أن يكون السبب في تأليف هذه القصة التي لسوء الحظ لم يَبْقَ منها إلا قِطَع صغيرة محفوظة. والظاهر أن هذه القصة تخبرنا كيف أحضرت «عشتارت» إلى مصر من بلادها،[٢٣٢] ويظهر من القطعة الأولى من البردية أن إلهًا يطلب الجزية بوصفه ملكًا، ويظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك في المحكمة، و«رننوت»[٢٣٣] تخاطب «عشتارت» (؟): انظري، إذا أحضرت له جزية فإنه سيكون رحيمًا بك (؟)، وإذا لم تحضري الجزية فإنه سيأخذنا أسرى، وعلى ذلك أعطيه جزيته من الفضة والذهب واللازورد ... خشب، وقالت «لتاسوع الآلهة» ... جزية البحر. ليته يصغي إلينا ... وفي قطعة ثانية حيث لا يزال الموضوع خاصًّا بجزية البحر يمكن الإنسان أن يستخلص. ثم أخذت «رننوت» ... وقالت: اسمع ما أقول، لا تذهب لآخر واعل إلى «عشتارت» في بيتها، وتكلم تحت حجرة نومها، وقل لها: إذا استيقظت (؟) ... ولكن إذا نمت فسأعمل ... ليتك تأتي إليهم ... انظر، إن «عشتارت» تسكن في إقليم على البحر ... بنت «بتاح» الإلهة الغضبى المرعبة. هل النعلان اللتان في قدميك ... هل ملابسك التي تلبسها قد مُزِّقَتْ من ذهابك وإيابك الذي تقوم به في السماء وعلى الأرض؟

وقال: ... ماذا أصنع ضده؟ وسمعت «عشتارت» الـ ... البحر، فذهبت ودخلت في حضرة «تاسوع الآلهة» حيث كانوا ... فرآها (الآلهة) العظام ووقفوا أمامها، ونظرها (الآلهة) الصغار وانبطحوا على بطونهم، وهناك قدم لها عرشها وجلست عليه، ثم أحضر إليها ...

---

[٢٣٢] وإذا كان هذا التفسير صحيحًا، فإن القصة لا بد قد أُلِّفَتْ على نمط خرافة اللبؤة التي هربت إلى بلاد النوبة، ثم أحضرها «تحوت».

[٢٣٣] إلهة الحصاد.

... وذهب رسول «بتاح» قائلًا: «قدموا الخضوع «لبتاح» و«لنوت». و«نوت» ... الـ ... التي كانت حول عنقها ووضعتها في الميزان ...

ويجب أن نوافق كاشف هذه القطع قائلين: إن ما حفظ كافٍ ليجعلنا نأسف على فقدِ ما ذهب.

(أ) المصادر

أول مَن كتب عن هذه القطعة هو الأستاذ «برش»:

(1) Birch, Zeitschrift für Agyptische sprache 1871 P. 119.

ثم طبعها الأستاذ «نيوبري»:

(2) The Amherst Papyri Pls. XIX–XXI.

وترجمها الأستاذ «إرمان»:

(3) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 169–170.

(٢–٨) قصة عفريت

قد وصلت إلينا ثلاث قِطَع من نسخ محشوة بالأغلاط، مسطرة على أربع قطع من الخزف لقصة، ولكن هذه القطع لا تمكننا تمامًا من فهم مغزاها. وموضوعها أن شخصًا مات منذ زمن طويل، ثم ظهر ثانية لرئيس كهنة «آمون» وأمره مهدِّدًا إياه بترميم قبره الذي قد خُرِّب ونُسِي، وبعد بحث متواصل وجد رئيس الكهنة القبر، والملك «رع حتب» الذي عاش في زمنه المتوفى هو من ملوك العهد الإقطاعي في نهاية الدولة الوسطى، أما رئيس الكهنة فلا بد أنه عاش في عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين، ويُعرَف ذلك من مدلول اسمه (ورئيس الكهنة الذي نتكلم عنه بوصفه شابًّا يحتمل أنه هو الذي يتكلم في الأول ويشتكي كما يأتي): أنا لا أرى نور الشمس ولا أتنفس ... الهواء، والظلام فوقي يوميًّا ولا يأتون ...[٢٣٤]

[٢٣٤] يحتمل أن يكون المرض الذي أنزله به العفريت.

وقال العفريت له: حينما كنت حيًّا على الأرض كنت رئيس خزائن الملك «رع حتب»، وكنت ممثلًا للجيش،[٢٣٥] وكنت على رأس الرجال، وقريبًا من الآلهة.[٢٣٦]

وفي ثاني شهور الصيف من السنة الرابعة عشرة ذهبت إلى راحتي، وتوفيت في عهد الملك «منتوحتب» (؟) فقدَّمَ إليَّ أربعة أوانٍ مأتمية،[٢٣٧] وتابوتًا من المرمر، وأمر ببناء أهرام لي تليق برجل في مركزي، وجعلني أذهب إلى راحتي (الأبدية) ... انظر، إن الأرض من تحتي (؟) صارت بالية (؟) وتتساقط[٢٣٨] (؟) ...

أما ما يختص بقولك لي: سأجدد المدفن، فإني قد سمعت ذلك من قبلُ أربع مرات، ولكن ما الذي يفعلونه له (؟) ... هذا لا يتم بكل الألفاظ ...[٢٣٩]

فقال لي رئيس كهنة «آمون» ملك الآلهة «خنس امحب»: أرجو أن تنطق لي بأمر حسن يقضي بأنه يعمل ذلك لي أو يجعله يعمل لي (؟) وكذلك يعطيني خمسة من الأرقاء الذكور، وخمسًا من الإماء، فيكون مجموع ما أُعْطَاهُ عشرة ليصبوا الماء لي، وكذلك يخصص لي حقيبة من القمح يوميًّا لتُقدَّم إليَّ، ورئيس ... يصب الماء لي.[٢٤٠]

وكان العفريت مغضبًا وقال له: لأي غرض ذلك الذي تفعله (؟) أليس الخشب معرضًا (؟) للشمس ... والحجر الذي أصبح باليًا لا يمكث زمنًا أطول (؟) إنه يتداعى ...

وبعد ذكر إرسال أناس للقبر نقرأ: ثم قال له العفريت: «وعليه كذلك أن يخلد اسم والد والدي، واسم والدتي.» فقال رئيس الكهنة: «سأجعله يفعل ذلك لك، وسأجعله يبني مدفنًا لك ... وسأجعله يعمل لك ما يعمل لرجل في مركزك.» ومن المحتمل أنه يعده أيضًا أنه لن يبرد في الشتاء، ثم بعد جملة غير مفهومة يقول: ثم إن رئيس الكهنة «خنس امحب» قعد وبكى ... ولم يأكل ولم يشرب ... «لعل ذلك بسبب أنه لم يجد القبر الذي يجب أن يرممه.»

---

[٢٣٥] لقب معروف يحمله ضابط من أكبر الضباط.

[٢٣٦] أي كنتُ مشهورًا جدًّا.

[٢٣٧] الأواني التي تُحفَظ فيها الأحشاء عند التحنيط.

[٢٣٨] كان القبر يغوص في الأرض ويتداعى.

[٢٣٩] إذا كنَّا قد فهمنا معنى الجملة؛ فإن العفريت لا بد كان قد جاء للكاهن الأكبر ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يعده بالوعود الجميلة.

[٢٤٠] لا بد أنه كان قد عمل معه وثيقة واضحة يمكنه تنفيذها.

ولما كان من المحتمل أن المتوفى كان موظفًا للملك «رع حتب»، جاز أنه قد دفن بجواره.

وقد أرسل هناك الـ ... «لآمون رع» ملك الآلهة ثلاثة رجال ... فعبر النيل وتسلَّق إلى قبر بجانب قبر الملك «رع حتب»، السامي ... هذا هو القبر الذي كان يبحث عنه، ثم نزلوا إلى شاطئ النهر وعبروا إلى رئيس كهنة «آمون رع» رب الآلهة ووجدوه، بينما كان يقوم بتأدية وظيفته في المعبد.

وقابلهم بكلام يحتمل أن يعبر عن بعض الشك فيما إذا كانوا قد وجدوا المكان المقصود، وعندئذٍ تكلَّمَ ثلاثة الرجال بفم واحد: «لقد وجدنا المكان الطيب.» ثم قعدوا أمامه وفرحوا، وكذلك استولى السرور على قلبه حينما قالوا له: «... الشمس طلعت من الأفق.» ونادى هو ممثل بيت «آمون» المسمى «منتوكا» (وكلفه) القيام بعمله.

وفي المساء عاد لينام في المدينة وهو ...

(أ) المصادر

هذه القطعة يرجع عهدها للأسرة العشرين، وقد وُجِدت مكتوبةً على أربع قطع من الخزف: واحدة منها في متحف اللوفر بباريس، والثانية في فينا، أما الاثنتان الأخريان ففي متحف «فلرنسا» بإيطاليا. وكتب عنها الأستاذ «جولنيشف» في مجلة:

(1) Recuiel De Travaux Vol. III 3 ff. & ibid XVI P. 31.

ثم كتب عنها ثانية «برجمان»:

(2) Bergmann Hierat. Dem Texte, Vienna 1886 Pl. IV.

وقد ترجمها الأستاذ «مسبرو» مع بعض التصرف في كتابه:

(3) Maspero. Papular Stories of Ancient Egypt P. 275 ff.

(٢-٩) الشجار بين الجسم والرأس

مقدمة

هذه قصة قد يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين، وفيها مناظرة بين أجزاء الجسم، تدور حول مَن يفضل منها بقية الأعضاء، وقد كتبها تلميذ قديم، ووقع في أغلاط كثيرة في

كتابتها، وقد لاحظ «مسبرو» أنها شبيهة بخرافة «شجار البطن والأمعاء»، ولا نستطيع معرفة مدى وجه الشبه بينهما؛ لأن القصة لم ترد كاملة.

(أ) القصة

تشاجر البطن والرأس لحل ... متكلمين بصوت مرتفع أمام الثلاثين، وكان لا بد لهؤلاء من أن يكشفوا عن حقيقة الإهانة التي بكت من أجلها عين الرأس، وأن يقرر الصدق أمام الإله الذي يمقت الظلم. ولما نطق البطن باتهامه صاح الرأس عاليًا قائلًا بفمه: أنا، أنا ذلكم الشعاع الذي في كل البيت، والذي يحتمل الأشعة، ويخضع الأشعة معًا.

وكل عضو يرتكن عليَّ سعيد، فقلبي سعيد، وأعضائي تنمو (؟) ورقبتي مثبتة تحت الرأس، وعيناي تنظران بعيدًا، وأنفي يتنفس وينشق الهواء، وأذناي مفتوحتان وتسمعان، وفمي مفتوح ويعرف كيف يجيب، وذراعاه[٢٤١] تنموان وتعملان.

(ويظهر بعد ذلك أن الموضوع خاص برجل متكبر، يرى أن الأشراف منحطون، ولا نعرف بالضبط مَن يقصد بكلامه) ثم يعود الرأس إلى الكلام: إني سيدك، أنا الرأس الذي يريد إخوته أن يتهموه (؟).

وهذا ما قاله الفم له: «أليس هذا خطأ؟ دَعِ الرأس يكلمني، إني ذلك الذي يحفظ حيًّا ...»

(ب) المصادر

أول مَن كتب عنها الأستاذ «مسبرو»:

(1) Maspero Etudes Egyptiennes I, P. 260 ff.

ثم ترجمها الأستاذ «إرمان»:

(2) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 173 ff.

[٢٤١] وهما تابعتان للفم.

(٢-١٠) قصة إعماء الصدق ثم الانتقام له

(أ) ملخصها

اتهم الكذب الصدق بتهمة كانت نتيجتها أن حُكِم على الصدق بالعمى، ووافق «تاسوع الآلهة» على ذلك الحكم، ويظهر أن هذه التهمة كانت تنحصر في أن الكذب أودع عند أخيه الصدق مدية يحتفظ بها أمانة عنده، ولكنها لسبب ما فُقِدت أو تلفت، وأراد الصدق أن يعوض أخاه عنها بأخرى مثلها، ولكن أخاه الكذب كان يتعلل بعلل مختلفة، وكان يخلع على مديته أوصافًا تضخِّم من شأنها، وتُعجِز الصدق عن الإتيان بمثلها، فقال عنها: إن جبال «إيل» سلاحها، وأشجار «قفط» مقبضها، وقبر «الإله» قرابها، وماشية «كار» رباطها. فعجز الصدق طبعًا عن رد مثل هذه المدية، فحكم عليه «تاسوع الآلهة» بالعمى كما أراد الكذب. وبعد ذلك رغب الكذب في أن يقضي على حياة أخيه، ولكنه نجا من حبائله وأخذ الصدق مكانه تحت سفح جبل، فرأته خادم وأعجبت بجماله وأشفقت عليه، فأخبرت سيدتها بأمره وأحضرته إليها، فأعجبت به، واتصل بها اتصال الرجل بامرأته، فأنجبت طفلًا جميلًا اقتصَّ لأبيه بعد أن نما وأيفع، وأوقع به بمثل المكيدة التي دبَّرَها الكذبُ لأبيه، وانتهى الأمر بإعماء الكذب وانتصار الصدق عليه.

(ب) دراسة القصة

لا شك أن القارئ يلمح شبهًا بين هذه القصة وقصة الأخوين في الهدف الذي ترمي إليه كلٌّ منهما، وترجع كلتاهما إلى عهد الرعامسة، وأسلوب القصة بسيط، وتعبيراتها متشابهة مملة، وهي فقيرة في ثروتها اللغوية؛ وتلك سمة عُرِفت عن هذا العصر المتأخر، كما تمتاز بأن أسماء أبطالها ليست من أسماء البشر، بل من الآلهة أو غيرهم، وفيها شيء من خوارق العادات فيما يتصل بالسكين والثور. ولقد أبانت لنا بعض عادات للمصريين القدماء في عهد الرعامسة، كاستخدام عمى الرجال في حراسة الأبواب، وإيداع الثور عند راع مقابل أجر ضئيل، كما وضعت لنا صورة حية تمثل حياة الفلاح المصري في ذلك العصر، والحياة المدرسية التي تشبه حياة المدارس في عصرنا الحالي. ومما استرعى اهتمامنا أسماء بطلي القصة «الصدق» و«الكذب» اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين، ولم يكن ذلك منتظرًا؛

لأن كلمة «صدق» أو «عدالة» في اللغة المصرية القديمة من الأسماء[٢٤٢] المؤنثة، على أن إطلاق الأسماء المعنوية على الصور الحسية من الأمور الشائعة من قديم الزمان، فعندك الإلهة «ماعت» التي تدل على «الصدق»، «العدالة»، «الحق»، وهذا أقدم مثال للكناية، وقد استعمله «جون بنيان»[٢٤٣] في كتابه المشهور Pilgrim's Progress.

ومغزى القصة في إظهار الفوارق الأخلاقية بين الصدق والكذب.

وإذا دقَّقنا البحث في موضوعها لمحنا في ثناياه صورة أخرى لخرافة «حور» و«ست»: فالأخ الأكبر هو الذي يتحلى بالفضيلة، وهو الذي يتآمَر على قتله أخوه الصغير الشرير كما نرى في «أوزير وست»، والابن الذي جاء ينتقم لأبيه في قصتنا يعادل «حور» بن «أوزير»[٢٤٤] في تلك، والخلاف في مسلك الأم فيهما.

ومما يثبت لنا أن هذه الخرافة صدى مشوَّه لأسطورة «أوزير»، تلك المحكمة التي انعقدت من «التاسوع الإلهي»،[٢٤٥] ونظرت في شكاية كلٍّ من الصدق والكذب حينما رفع كلاهما الأمر إليها.

ومن التفاصيل الساذجة فيها استعمال القَسَم التقليدي الذي كان يُستعمَل دائمًا من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين، وهو القَسَم «بحياة آمون وبحياة الأمير»، وهذا مما يقفنا على تاريخ هذه الورقة على وجه التقريب.

(ج) المصادر

(1) A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels 1932 P. 30–6.

(2) Erman. Forschungen und Forschnitte eighth year no. 4 (Feb., 1932) P. 43–4.

(3) Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum Vol. I Text P. 2 ff.

---

[٢٤٢] ظن بعض علماء اللغة أن الاسم هنا منسوب إلى الصدق — صدقي — وبذلك خرج عن كونه مؤنثًا، ولكن الصورة التي ورد بها في نسختنا ليست صورة الاسم المنسوب.

[٢٤٣] في كتاب «بنيان» سُمِّيت أشخاص روايته بأسماء رمزية مثل الحقد، والأمين، واليأس، والجبار، والعنيد ... إلخ.

[٢٤٤] لاحظ الأستاذ دي بك العالِم الهولندي في الخطاب الهجائي — ورقة انستانس الأولى — أن «حور» قد سمَّى نفسه «حور بن ونفريس». وفي فقرة أخرى قال: «إني أنا ابن الصدق» مما يتفق مع تسمية «أوزير» بالصدق هنا.

[٢٤٥] أي مجموعة الآلهة التسعة.

(د) متن القصة

(ومن ثَمَّ يقول النص):

وعندئذٍ قال «الكذب» للتاسوع: دعوا «الصدق» (يحضر) ثم تعمى عيناه الاثنتان، ثم اجعلوه حارس باب منزلي، ولقد فعل التاسوع وفق كل ما قاله.

وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك رفع «الكذب» عينه ليشاهد، فرأى فضيلة «الصدق»، أخاه الأكبر.

وعندئذٍ قال «الكذب» لعبدين من عبيد «الصدق»: خَذَا سيدكما واقذفا به إلى أسد شرير معه عدة لبؤات رفيقات له، ودعاها (تلتهمه).

(وعندئذٍ أخذه العبدان)، وبينما هما يصعدان معه إذ قال «الصدق» لخادميه: لا تأخذاني لأجل أن تضعا آخر ...

هنا نجد أن الجزء الأكبر من الصفحة الثانية قد ضاع، وقد تركت لنا بعض جمل، غير أنه من الصعب أن يفهم الإنسان منها معنى متصلًا، ومن المحتمل أن ثلاثة الأسطر والنصف الأولى تقص كيف أن الخادمين قبلا رجاء «الصدق»، وكيف أنهما تفاديا الأسئلة التي وجَّهَها إليهما «الكذب» عند عودتهما. والفقرة التالية كذلك تضع أمامنا مسائل معقَّدَة، غير أنه يظهر أنها تخبرنا كيف أن خادمة للسيدة التي أصبحت فيما بعدُ والدة ابن «الصدق» (وقد فُقِد اسمها في كل مكان من الفقرة)؛ قد وجدت «الصدق» راقدًا تحت سفح تل، وقد تعجبت من جماله فذهبت لتخبر سيدتها بالأمر، وها هي ذي العبارة بنصها:

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء خرجت السيدة ... من بيتها ... وشاهدته نائمًا تحت سفح التل، وقد رأت جماله ولم يكن له مثيل في الأرض قاطبةً، وقد ذهبوا (؟) إلى المكان الذي فيه الـ ... وكانت السيدة (تقول) تعالَ معنا وانظر ... نائمًا تحت سفح التل، ودعهم يأخذوه ويجعلوه حارس باب بيتنا.

(وعندئذٍ) قالت السيدة لها (أي للخادمة): اذهبي وأحضريه حتى أراه. فذهبت وأحضرته، ولما رأته السيدة رغبت فيه كثيرًا؛ لأنها رأت جمال جسمه (؟)، ونام معها في الليل، وعرفها معرفة الذكر لأنثاه، فحملت منه على أثر ذلك في هذه الليلة في طفل صغير.

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء وضعت غلامًا، ولم يكن له مثيل في الأرض قاطبةً، وقد كان أكبر من ... وقد كان يشبه الإله الفتى، وقد وضعوه في المدرسة، وتعلَّمَ الكتابة بتفوق كما تعلَّم كل فنون الحرب، وتفوَّقَ على أقرانه ممَّن هم أكبر منه سنًّا في المدرسة.

وعندئذٍ قال له زملاؤه: ابنُ مَن أنت؟ إنك بدون أب. ثم سبُّوه وضايقوه قائلين: حقًّا إنك بدون أب.

وعندئذٍ قال الولد لأمه: ما اسم والدي حتى يمكنني أن أقوله لزملائي؛ لأنهم يضايقونني كثيرًا بقولهم: أين والدك؟ وهكذا يقولون لي ويؤلمونني.

عندئذٍ قالت والدته له: هل ترى ذلك الأعمى الذي يجلس بجوار الباب؟ هذا هو والدك، وهكذا قالت له.

عندئذٍ قال لها: كان خيرًا لكِ أن تجمعي أقاربك حتى يطلبوا تمساحًا ليحاسبك (ليلتهمك). ثم أخذ الولد والده وأجلسه على كرسي، ووضع مسندًا تحت قدميه، ووضع أمامه خبزًا، وجعله يأكل ويشرب.

وعندئذٍ قال الولد لأبيه: مَن أعماك حتى أنتقم لك؟ فقال له: إن أخي الصغير أعماني. ثم أخبره بكل ما حدث له.

فذهب الولد لينتقم لأبيه، ثم أخذ عشرة أرغفة وعصا، وحذاء، وقربة ماء، وسيفًا، ثم أحضر ثورًا جميل المنظر وذهب إلى المكان الذي فيه راعي «الكذب» وقال له: خُذْ هذه الأرغفة العشرة وهذه العصا وتلك القربة وهذا السيف وهذا الحذاء، وارعَ هذا الثور لي حتى أعود من المدينة.

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء كان ثوره قد أمضى عدة شهور مع قطيع ثيران «الكذب».

وعندئذٍ ذهب «الكذب» إلى الريف ليرى ماشيته، فرأى ثور الولد هذا، وقد كان جميلًا جمالًا فائقًا.

وعندئذٍ قال لراعيه: أعطني هذا الثور لآكله. فقال له الراعي: إنه ليس ملكي ... وليس في مقدوري أن أعطيك إياه.

وعندئذٍ قال له «الكذب»: انظر، إن ماشيتي كلها معك، أعطِ واحدة منها صاحبه.

وعندئذٍ سمع الولد أن «الكذب» قد أخذ ثوره، فحضر إلى المكان الذي فيه راعي «الكذب» وقال له: أين ثوري؟ إني لا أراه بين الماشية.

عندئذٍ قال له الراعي: إن الماشية كلها هنا أمامك، خُذْ منها ما يحلو لك.

عندئذٍ قال الولد له: هل هناك ثور كبير مثل ثوري؟ فإنه إذا وقف في «بالامون»،[٢٤٦] فإن شعر ذيله يرتكز على سيقان[٢٤٧] البردي (في نهاية الدلتا)، وقرنه على جبل الغرب، وقرنه الآخَر على جبل الشرق، والنهر العظيم يكون موضع راحته، ويُولَد له ستون عجلًا كل يوم.

عندئذٍ قال له الراعي: هل هناك ثور بالحجم الذي قلته؟ فأمسك به الولد، وذهب به إلى المكان الذي فيه «الكذب»، ثم أخذ «الكذب» إلى المحكمة في حضرة التاسوع.

عندئذٍ قالوا للولد: إنك على خطأ، إننا لم نرَ قطُّ ثورًا بالحجم الذي ذكرته.

عندئذٍ قال الولد للتاسوع: وهل هناك سكينة بالحجم الذي ذكرتموه، سلاحها جبل «إيل»، ومقبضها أشجار «قفط»، وقرابها قبر «الإله»، ورباطها ماشية «كار»؟

وعندئذٍ قال للتاسوع: احكموا بين «الصدق» و«الكذب»؛ لأني أنا ابن «الصدق» وسأنتقم له.

وعندئذٍ حلف «الكذب» يمينًا بالملك قائلًا: بحياة «آمون» وبحياة الأمير إنه إذا وجد الصدق حيًّا فَلْتُعْمَ عيناي الاثنتان، ولأصبح حارس بيت «الصدق».

عندئذٍ حلف الولد يمينًا بالملك قائلًا: بحياة «آمون» وبحياة الأمير إنه إذا وُجِد حيًّا فإنهم سيعاقبون الكذب ... وسيضربونه مائة جلدة، وسيجرحونه خمسة جروح بالغة،[٢٤٨] وسيعمون عينيه الاثنتين، وسيجعلونه حارس باب «الصدق».

ثم إنه ... وبذلك انتقَمَ الولد لأبيه، ليحسم النزاع القائم بين «الصدق» والكذب ... الـ ... لقد أتت النهاية (طيبة).

---

[٢٤٦] بلدة تسمى البلمون وتقع في أقصى وسط شمال الدلتا.

[٢٤٧] اسم عام لمستنقعات شمال الدلتا.

[٢٤٨] هذا العقاب بنفسه هو ما نراه يوقع في محاكم عصر الرعامسة، كما تخبرنا بذلك الوثائق Stela of Nauri Journ. Of Egyptian archeology XIII. 193.

(٢-١١) قصة المخاصمة بين «حور» و«ست»

(أ) ملخص القصة[٢٤٩]

اشتد النزاع بين الأخوين «أوزير» و«ست» على عرش مصر، فاغتال «ست» «أوزير»، ولكن الحياة دَبَّتْ ثانيةً في جسمه، بفضل أخته «إزيس»، فترك دنيا الغدر وما فيها، وهبط يحكم في العالم السفلي بعد أن نزل عن عرش مصر لابنه «حور». ولقد كان من الطبيعي أن يبدأ النزاع من جديد بين «ست» و«حور» على العرش مرةً ثانيةً، فتشاحنا وتخاصما إلى محكمة الآلهة التي كان يرأسها الإله «رع»، وكان «حور» يعتزُّ في عراكه بعدالة قضيته، وبإرثه الشرعي، وبمساعدة «إزيس». وكان «ست» يعتد بقوته وجبروته، ومعاضدة الإله «رع» له، ومن ثَمَّ كانت الأحكام الأولية في هذه القضية في جانبه خشية بأسه، وفرارًا من أذاه؛ حتى إذا ضاقَتِ الحلقة، وتضافرت الأدلة كلها ضده، بعد تهديد «أوزير» «لرع» ومجلسه، ولم يجد القضاة من الآلهة فرجة ينفذون منها إلى مناصرته، أصدروا حكمهم في جانب الحق، فآلَ ملك مصر إلى وارثه الشرعي «حور».

(ب) دراسة القصة

مقدمة

في عام ١٩٢٨ اشترى المستر «شستر بيتي» مجموعة من الأوراق البردية، عثر عليها في «دير المدينة» الواقع في الجهة الغربية من النيل بالأقصر، ويرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين والحادية والعشرين، أي في عهد الرعامسة، وتُعَدُّ من أكبر ذخائر الأدب المصري القديم التي عُثِر عليها حتى الآن، والمرجح أن بعضًا من هذه الأوراق لا يزال مخبَّأً عند بعض تجار العاديات بالأقصر. ولقد أهدى المستر «شستر بيتي» ما اشتراه من هذه الأوراق إلى المتحف البريطاني، وقام بترجمتها ونشرها في كتابٍ خاصٍّ الأستاذُ «جاردنر»، فرأينا من بينها وثيقة لها أهميتها الأدبية لما بدا لنا فيها من تجديد في عالم الأدب المصري القديم؛ ولذلك رأينا أن نعطيها مزيدًا من عنايتنا، وأن نتناول عناصرها بشيء من الإطناب والتفسير.

[٢٤٩] الجزء الأول من الملخص مفهوم من القصة، وإن لم يُذكَر فيها.

فقر الأدب المصري في الأساطير الدينية

إن كل مشتغل باللغة المصرية القديمة يدرك أن القصص الخرافية التي ينحصر أبطالها في محيط الآلهة وحدهم قليلة أو نادرة؛ فهذه متون الدولة القديمة والوسطى خالية من هذا النوع خلوًّا يثير دهشتنا، على حين أن كل إله مهما كان مغمورًا نرى لاسمه ذكرًا في متون الأهرام، أو في متون الدولة الوسطى التي كتبت على توابيت علية القوم بالمداد. وقد كان معروفًا ما علق بكل إله من الخرافات، وما أُذِيع عنه من المعجزات، فكان في تسطير اسمه ما يكفي لتذكير القوم بقصصه ووقائعه من غير حاجة إلى تطويل، أو مزيد تفصيل وإيضاح، ولم يكن يخلو الأمر بين آونة وأخرى من ظهور ومضة تجلو بعض ما غمض من هذه الدنيا المليئة بالإبهام والإلغاز.

وكان أول ما وصَلَ إلينا من قصص الآلهة ما وجدناه في كتب السحر وكتب الطب، التي تحمل في تضاعيفها تعويذات سحرية، ومن تلك: قصة شفاء «رع» على يد «إزيس»، وقصة إطفاء «إزيس» النار التي انغمس فيها ابنها «حور» (وقد وجدناها على لوحة «ماترنخ» الشهيرة)، وقصة هلاك الإنسانية، التي يحتمل أنها مقال عن أصل نشوء العالم والطوفان (وقد أوردناها في هذا الكتاب)، وقصة غزوات «حور» (وقد وجدناها منقوشة على جدران معبد «إدفو»)، وقصة أعمال «شو» بن «رع» الحربية العظيمة (وقد عُثِر على بعضها منقوشًا على مقصورة في وادي العريش).

والقصتان الأخيرتان وصلتا إلينا من نقوش عهد البطالسة أيام كانت الخرافات أحاديث السمار في المجالس، ينسبونها إلى عهدها القديم، ويتفكَّهون بها، ويتندرون بوقائعها. أما قصة مأساة «أوزير» — ولها علاقة وثيقة بقصتنا — فقد كان مصدرها الذي يشفي الغُلَّة ما ورد عنها في كتابة «ديدور» الصقلي و«بلوتارخ» من مشهوري كتَّاب اليونان، لولا ما دُسَّ فيها من العناصر الدخيلة التي شوَّهتها، وإذًا فليس لنا مرجع لهذه القصة إلا نتف يسيرة مبعثرة في المتون المصرية، وبخاصة الدينية منها والسحرية، تبدو كالشعرات البيض في الفرس الأشهب، وهي مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب.

وقد عزا بعضهم إحجام «هيرودوت» عن وصف مأساة «أوزير» إلى أنه شمله رداء من الرهبة التي أُلبسها المصريون أمام آلهتم، وأنه انساق في موجة الورع الديني التي جرفت المصريين، فلم يشأ أن يخرج عن هذه الحال بذكر وقائع عن الآلهة قد تمسُّ النعرة

الدينية عند المصريين. وهذه الحجة مردودة بما قاله «إيامبلخوس» Iamblichus:[٢٥٠] «إن المصريين وحدهم من بين أمم العالم كانوا معتادين تهديد آلهتهم.»[٢٥١] ولدينا في «متون الأهرام» وغيرها من النقوش المصرية ما يعزز هذا الرأي، وما يثبت أن المصريين لم يكن عندهم من سمو الشعور وعلو الوجدان نحو آلهتهم ما يخلق مثل هذا الجو الذي يخشاه «هردوت»، فيمتنع عن ذكر قصة أبطالها من الآلهة.

والذي نميل إليه أن العامل الحقيقي في فقر الأدب المصري من الأساطير الخرافية الدينية أو الإلهيات يرجع إلى سببين:

أولًا: أن هذا النوع من القصص الأدبية كان مألوفًا منتشرًا بدرجة عظيمة بين طبقات الأمة في كل مراحل النمو الإنساني، من الطفولة والصبا والفتوة والرجولة والكهولة والشيخوخة، بحيث أصبحت لا تحتاج إلى تدوين؛ لأنها على كل لسان، وفي كل قلب.

ثانيًا: أنه كان في نفوس القوم ميل غرزي إلى حب الكتمان، فيحسون أن الألفاظ تكون أدلَّ على الهيبة، وأكسبَ للاحترام إذا كانت رمزًا أو إشارة، أو كان مدلولها غامضًا.

ومهما يكن من الأسباب التي دعت إلى هذا الفقر في هذا النوع من الأدب، فإن العثور على هذه القصة بهذا التفصيل كان كسبًا للأدب المصري، ولونًا جديدًا منه بدا لعلماء الآثار. وقد تكون هناك أساطير إلهية أخرى خاصة كهذه بالآلهة وحدهم، وليس للإنسان دور ولو صغير في مسرحيتهم، مخبَّأة في جوف الأرض ولم يُرفَع عنها الغطاء بعدُ.

ومما يضفي على قصتنا أهميةً خاصةً غير التي كسبتها من موضوعها وأبطالها وممثليها، أنها صوَّرت لنا حياة البلاط الفرعوني وسياسته في عصر خاص من عصور التاريخ المصري كما سنورده بعدُ.

---

[٢٥٠] De Mysteriis, 6, 7; see Hopfner, Fontes historiae religionis Aègyptiacae, P. 501; and Porphyry, 1 oc. Cit., P. 472.

[٢٥١] H. Grapow, Bedrohungen der Götter in Zeitschrift für Agypt. Sprache. 49, 48; Also A. H. Gardiner, art. Magic (Egyptian) in Hastings, Encycl. Of Religion and Ethics, Vol. VIII, P. 265.

قصتنا ملحمة أدبية

يقسم الفرنج الآن الشعر عادةً إلى شعر غنائي، وهو الذي يعبِّر به الشاعر عما يضطرب في قلبه من عواطف. وشعر تمثيلي، وهو الذي يصوِّر حادثة ويتصوَّر لها أشخاصًا ينطق كلٌّ منهم بما يتفق وشخصيته وموقفه. وشعر الملاحم أو الشعر القصصي، وهو الذي يقال في الوقائع الحربية والمناقب القومية في شكل قصة طويلة «كإلياذة هوميروس» و«شاهنامة الفردوسي»، ولكن الشعر عند قدماء المصريين في بادئ الأمر غير ذاك، فهناك المتون السحرية التي تتضمن تعويذات لها أثرها النافذ في نفوس القوم، وتأثيرها القوي على عقولهم؛ لما يُظَنُّ من قدرتها على الإتيان بالمعجزات وخوارق الأمور، وأحسن مثال لها ما جاء في «متون الأهرام» والنقوش المكتوبة بالمداد على توابيت الدولة الوسطى، وغيرها من المتون التي ظهرت بعد هذا العهد.

وهناك الأناشيد الدينية التي تصف الإله وأحواله وحياته ومغامراته ومعجزاته، ومثال هذا النوع «أنشودة الإله أوزير» التي كُتِبت على لوحة نراها الآن في متحف باريس،[٢٥٢] وجاء فيها كيف حكم «أوزير» على الأرض، وما أحاطته به «إزيس» من العناية، وكيف ردَّتْ إليه الحياة بعد أن اغتاله أخوه «ست»، ومن هذا النوع أيضًا أنشودة الإله «آمون» العظيم، وهناك المتون السحرية المختلطة بالخرافات، ومثالها ما جاء في لوحة «ماترنيخ»[٢٥٣] التي نرى فيها الخرافة والتعويذات السحرية مختلطين، ومن هذا النوع أيضًا قصة شفاء «رع» على يد «إزيس» وقصة هلاك الإنسانية؛ وهناك الدراما، وتختلف عمَّا سبق بأنها وحدة متصلة ترمي إلى هدف معين وتدخل فيها الخرافة، غير أنها تمتزج معها، وتفنى فيها، فتبدوان شيئًا واحدًا، وهي إما أن تمثِّل موضوعًا حقيقيًّا له أصل تاريخي، وإما أن تمثِّل موضوعًا خرافيًّا يتصل بالآلهة، وكلا النوعين يظهر للرائي في ثوب الحقيقة الواقعة. وبدأ هذا النوع أول ما بدأ بسيطًا، فكان الإنسان يمثِّل حادثة خرافية في صورة حقيقية واقعة يتخيلها هو ويجعلها ملموسة أمام النظَّارة، ويكون هذا عادةً في المآسي الدينية وغيرها، كتمثيل مأساة المسيح — عليه السلام — أو مأساة أوزير، وقد تدل الدراما على حادثة سياسية إلى جانب ناحيتها الدينية، وتُمثَّل أمام القوم في ثوب

---

[٢٥٢] "Hymne d'Osiris", stele Bib. Nat. 20, Roeder, Urkunden zur Religion, P. 22–26.

[٢٥٣] Müller, "Egyptian Mythology", P.P. 210, 211.

خرافة، ومثال ذلك «الدراما المنفية» التي يقال إنها أُلِّفَتْ في فجر اتحاد مصر؛ فهي تمثل من جهة الاحتفال بتأسيس مدينة «منف» التي شيَّدها «مينا»، ومن جهة أخرى لها مغزى ديني خاص بها،[٢٥٤] ولدينا نوع آخَر من الدراما يمثل حوادث واقعة استُعِير لتمثيلها خرافة دينية رمزية، ومثاله الدراما التي عُثِر عليها في «الرمسيوم»، وهي تمثل موت ملك في أوائل الأسرة الثانية عشرة (أمنمحات الأول)، وتتويج ملك آخَر (سنوسرت الأول)؛ فقد استعير لتمثيلها مأساة موت «أوزير»، ثم تتويج ابنه على عرش البلاد من بعده والانتقام لوالده، وقد مُثِّلت كلها برموز كانت تُذكَر أولًا ثم تُتبع بتفسيرها. ومما تقدَّمَ نرى أن الخرافة قد ارتبطت بالحقيقة، والحقيقة قد ارتبطت بالخرافة في قصص المآسي؛ فقد تجد أن الخرافة تمثِّل الحقيقة، كما نجد أن الحقيقة قد تصوِّر الخرافة وتعبِّر عنها، فإذا ما انتهى هذا الارتباط إلى اتحاد تام واندماج كلي لا انفصام لعراه، فتبدو الحوادث الخرافية مثلًا مصوَّرة في حوادث زمنية حقيقية، كان ذلك نوعًا ممتازًا من القصص نسمح لأنفسنا أن نطلق عليه اسم «الملاحم» أو «الإيبيك»؛ فالملاحم كما عرَّفها الكاتب العظيم «جوليس» Jolles هي أن يأخذ الإنسان حادثة من الماضي،[٢٥٥] ثم يلبسها صورة تجعلها تعيش في الحاضر، وينطبق هذا التعريف أيضًا على «إلياذة هومر»؛ لأنها قصص شعري عن عصور ما قبل التاريخ، وضعه «هومر» في صورةٍ حيةٍ ناطقةٍ تعيش في زمننا، وستبقى حيةً ما بقي الشعر القصصي. وليس من الضروري أن تقتصر حوادث القصة على عصور ما قبل التاريخ، بل قد تضم معها حوادث عصر تاريخي معيَّن، وتتألف من مجموعهما قصة واحدة متسقة.

على أن المصريين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى الحوادث الخرافية كأنها حقائق ثابتة واقعة؛ لاعتقادهم بأن الوقت الذي سبق ظهور الإنسان كان عصرًا حكمت فيه الآلهة، وعاشت فيه بمفردها في دنياها، فلا فرق عندهم من هذه الناحية بين الحقائق التاريخية والخرافات الإلهية؛ فتعد من الملاحم أمثال هذه القصص التي امتزجت فيها الخرافة والحقيقة وانصهرتا معًا، وصبَّتَا في قالب واحد، فنيت فيه شخصية كلٍّ من

---

[٢٥٤] وهو تمثيل قتل «أوزير» على يد «ست»، ثم إحيائه على يد «إزيس»، ثم جعل «حور» يحكم البلاد جملةً بعد أن كان الإله «جب» أعطى «ست» الوجه القبلي، و«حور» الوجه البحري، وبذلك توحَّدَتِ البلاد، وهذا مغزى العيد الذي أقيم في «منف» التي أصبحت عاصمة البلاد، وقد أسَّسها «مينا» لهذا الغرض.

[٢٥٥] راجع Spiegel, Die Erzählung Vom striete des Horus und seth P. 47.

المزيجين؛ فظهرا في صورة واحدة لا يتميز فيها أحدهما. ومن هذا النوع قصة المخاصمة بين «حور» و«ست»؛ إذ بينما نجد الحوادث فيها تجري على يد الآلهة وحدهم، نرى ظل هذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخي معين وقع في مصر في وقت معين، فإذا أبدلنا بالإله «رع» ومَن مثل معه من الآلهة في هذه القصة، ملكًا جاء في بداية الأسرة الثانية عشرة ومعه حكَّام الإقطاع، رأينا أن هذه الرواية التي مثل الملك وحكام الإقطاع فصولها، تنطبق تمام الانطباق على أختها التي كان «رع» وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها.

ومن الجائز أن تأخذ الملحمة صورةً جديدةً بما يضاف إليها ويلحق بها من حوادث تنشأ بعد عصرها، وتتكون من الجميع وحدة متماسكة الأجزاء في صورة ملحمة، وإن كانت في الواقع تتكون من عناصر مختلفة، أولها حادث معين من عصور ما قبل التاريخ، أضيف إليه ثانيًا حادث تاريخي يصف واقعة بذاتها، ولحقت به ثالثًا حوادث أخرى تناسبه جاءت في عصرٍ غير عصره، ومثال ذلك خرافة «حور» التي وُجِدت على جدران معبد «إدفو»،[٢٥٦] فنرى فيها أولًا حوادث ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ، ونرى فيها ثانيًا حادثة طرد الهكسوس من مصر؛ فيمثل «حور» المصريين، ويمثل «ست» الهكسوس، ويطارد «حور» «ست» حتى يقذف به إلى الحدود الشرقية للدلتا، ويطرده من بلاده. ثم نرى فيها ثالثًا إشارة إلى غزو «الأشوريين» لمصر، و«الإثيوبيين» و«الفرس»، وإلى روح العداء التي ظهرت ضد الفرس في البلاد، كل ذلك تجمَّعَ في ملحمة «حور» التي كانت في أول أمرها كما قال الأستاذ «يونكر»[٢٥٧] عنها: إنها نضال بين الشمس والظلام.

موقف «أوزير» في القصة

كنَّا ننتظر من هذه القصة أن تعرض علينا في إسهاب أمر العداوة والنزاع بين «أوزير» و«ست»، واغتيال ثانيهما لأولهما، وعودة الحياة إلى «أوزير» بفضل أخته «إزيس» التي جمعت أشلاءه من مظانها، ونزول «أوزير» إلى العالم السفلي حاكمًا فيه بعد أن نزل لابنه عن عرش مصر، ولكن القصة أغفلت كل ذلك، وجاء استهلالها مطالبة «حور» بعرش

[٢٥٦] راجع Kees. Kultlegende und Urgeschichte, Nachr. d. ges. d. Wiss d. z. Gottingen, phil .hist. Klasse 1930. s. 345–362

[٢٥٧] راجع Junker: Onurislegende P. 20, 38, 118.

والده الذي كان ينازعه فيه «ست» عمه. ومما يسترعي النظر أننا نجد في صلب القصة «ست» يدَّعِي مرة أنه الأخ الأكبر للإله «حور»، وأخرى يظهر في ثوب العم، وقد اختفى «أوزير» في طول مراحل القصة، وتناوَبَ أهمَّ الأدوار فيها «رع» و«إزيس»، ولم يظهر «أوزير» إلا في نهاية المطاف عندما كتب إليه «رع» سائلًا أن يمده برأيه القاطع في هذا النزاع المحتدم بين ابنه وأخيه، فيجيب «أوزير» بصفته حاكمًا للعالم السفلي بأن يُعطَى ابنُه العرش، معدِّدًا للإله «رع» الذي كان ظهيرًا «لست» في كل أدوار النزاع فَضْلَه على العالم الذي خلق له القمح غذاءً. ولكن «رع» لكون هواه في جانب «ست» يسخر منه في الرد عليه، وعندئذٍ يبدي له «أوزير» ناجذيه مهدِّدًا «رع» وحاشيته بأشد أنواع العقاب، وأنه سيصليهم نار جهنم خالدين فيها أبدًا؛ لأنه حاكِم العالم السفلي، والمسيطر على كل قواه، وسيُحشَر الناس إليه أجمعون. وإذا تكلمت الأسياف أنصتت العقول والقلوب، فهذا «رع» وأتباعه يصدعون لرأي «أوزير» ويحكمون بما قال.

وفي اعتقادي أن هذه الخاتمة دعاية للإله «أوزير» وديانته، ضد الإله «رع» وديانته التي بلغت أوجها في عهد الرعامسة.

موقف الإله «رع»

لقد كان موضوع النزاع أمرًا مفهومًا، لا يختلف اثنان في أن الحق والعدل يقضي «لحور» على «ست»، فيُمتَّع بميراثه الشرعي، ويجلس على عرش أبيه، ولكن «رع» ذلك الإله العظيم كان في جانب «ست» دائمًا، ولم يكن يحد من غربه أحيانًا إلا ذلك المجلس الذي كان يعاونه على نصرة العدالة وهو مجلس الآلهة، فكان هوى هؤلاء المستشارين في جانب الحق غالبًا مما غاظ «رع»، وكان أقواهم وأصلبهم في نصرة الحق ومعارضة «رع» في موقفه الإله «تحوت»، مع أنه معتبر في الأساطير الدينية وزيره. ولا يمكننا أن نفسِّر موقف «رع» في هذا النزاع إلا أنه موقف سياسي أملته عليه الضرورة، وإذا تدخَّلت السياسة في أمر أفسدته، أو في قضية حجبت الحق والعدالة والقانون، وحكمت للقوة والسلطان، وليس من علاج لمثل هذه الحال إلا المكر والخداع، وهذا ما كان في هذه القصة؛ إذ إن «إزيس» والدة «حور» عندما رأت العرش يوشك أن يفلت من يد ابنها، أخذت تستعمل حيلة المرأة ودهاءها وخداعها، باذلةً ما تستطيع برًّا بابنها وحَدَبًا عليه.

وإن «رع» الذي كان يحكم العالم ويحمل كل الألقاب الملكية الفرعونية، كان بين أمرين أحلاهما مُرٌّ، فإما أن يجعل «ست» يفوز بالملك؛ لأنه أثير عنده، أو اتقاءً لشره، وهذا

ظلم سيلتصق باسمه، فهو يخافه كما يخاف معارضة مجلس الآلهة الذي كان ينظر معه في أمر هذا الخصام، وإما أن يجعل الأمر «لحور» وهذا لا يطاوعه عليه هواه، وقد يتعرَّض بسببه لغضب «ست» البطاش الجبَّار؛ فكان لذلك دائم التردد لا يحسم النزاع ولا يتخذ فيه رأيًا قاطعًا، فيعقد مجلس الآلهة ثم يفضه بعد مناقشة قصيرة لا تصل إلى حد الحكم الفاصل. وإذا قضى المجلس «لحور» رفض «ست» ما قرَّره وبدأ المناقشة من جديد، كما حدث في أول جلسة، ومع كل هذه التيارات النفسية فإنه كان يضطر في بعض الأحيان إلى تجاهُلها إذا كانت الحجج دامغة تأخذ بتلابيبه، ولا يستطيع أن يجد فيها منفذًا لتحقيق رغبته، كما حدث عندما احتالت «إزيس» على «ست» وجعلته يحكم على نفسه من غير أن يدري حقيقة مراميها، فلم يجد الإله «رع» حينئذٍ بدًّا من أن يقول له: «لقد حكمت على نفسك بنفسك، ولا مفرَّ من أن يُسلَّمَ التاج لصاحبه.»

ولكن «ست» لم يقتنع، وطلب مبارزة «حور» ليهرب من حكم «رع»، واضطرت السياسة «رع» أن يخضع لطلب «ست» مرة أخرى. ومع موقف «رع» هذا الذي وقفه في هذه المخاصمة كانت مكانته محفوظة، وكان احترامه مفروضًا، حتى إن الإله «بابي» عندما تطاوَلَ عليه أمام التاسوع وقال له: «إن محرابك خلو من المتعبدين.» ويكني بذلك عن ضعف شوكته، وأنه لا أنصار له ولا أتباع؛ لم يطق التاسوع أن يسمع هذا القذف، وطرد الإله «بابي» من المجلس عقابًا له وترضية للإله «رع». وتصف المتون المصرية «رع» بأنه الإله الأعلى لا ينازعه في سلطانه منازع، وأن قوله القول الفصل، وأنه المنتصر على كل عدو، ولا تقف أمامه أي عقبة؛ ومن أجل ذلك نعتقد أن الدور الذي لعبه في قصة المخاصمة بين «حور» و«ست» إن هو إلا دور رمزي، أو بعبارة أوضح أن «رع» هنا في هذه القصة كان يمثِّل شخصية تاريخية، وأن القصة نفسها صدى لحادثة تاريخية بعينها، ولا غرابة في هذا؛ فإن الدور الذي مثَّله «رع» وأعانه عليه مَن حوله من الآلهة، يحكي قصة رمزية لبلاط ملكي على رأسه ملك توجِّهه حاشيته ومجلس إدارة بلاده حسبما يريدون.

موقف «إزيس»

قلنا فيما سبق إن هذه القصة اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة، وكان من هذا المزيج وحدة متماسكة الأطراف، وإنها تعتمد على أصل تاريخي، ومن هنا نستعرض فيها حوادث خرافية ممتعة تعطيها حلاوة وقوة، فتبرز فيها النواحي الإنسانية سائرة في إخاء تام مع خوارق الأعمال التي تأتيها الآلهة فتساعد على الوصول إلى الهدف المقصود.

وقد قام بتمثيل الدور الخرافي في معظم نواحي القصة الإلهة «إزيس»، وبذلك لم تحرم قصتنا أن تقوم المرأة بدور ممتع فيها، يمثل القدرة والمهارة والمكر والخداع وإحكام الأحابيل، حتى وصلت بهذه العدة إلى ما لم يصل إليه مجلس الآلهة والقانون والشرع. ومبدأ ظهورها في هذا الدور العظيم حينما خاف بَأْسَها «ست» وأحجم عن الاشتراك في مجلس الآلهة؛ لأنها عضو فيه وتحضر اجتماعاته، وقد انصاع المجلس لأمره، وانتقل إلى «جزيرة الوسط» ليستأنف النظر في موضوع (وظيفة الملك)، وحظر على النوتي «عنتي» أن يعبر بها إلى تلك الجزيرة التي اختاروها مكانًا لاجتماعاتهم، وعندئذٍ بدأت قدرة «إزيس» على تمثيل دورها تظهر، وقد آلَتْ على نفسها ألَّا تترك «ست» حتى يقر على نفسه ويشهد لابنها بعدالة مطلبه، فتراءت أولًا في صورة عجوز شوهاء قوَّسَتْ ظهرَها السنون، وأغرت «عنتي» النوتي حتى عبر بها إلى جزيرة الوسط، حيث كان الآلهة مجتمعين، وقدَّمت له في بادئ الأمر رغيفًا أجرًا له على مخالفة ما أصدره إليه الآلهة من الأوامر فأبى، فلما رفعت العطاء إلى خاتم من الذهب لم يقوَ «عنتي» على مقاومة هذا الشفيع الغالي، وأُخِذ ببريقه فاندفع يعبر «بإزيس» إلى الشاطئ الآخَر، وهناك خلعت رداء الشيخوخة المزري ولبست ثوب الكاعب الحسناء ترفل في أثوابها الهفهافة، فجذبت نظر «ست» إليها وهو جالس في مكانه بين الآلهة، فتدَلَّهَ في حبها وبدأ قلبه يحدثه في أمرها، فسعى إليها يمني نفسه بقنيصة يتمتَّع بها، وهنا مدت شراكها إليه فوقع فيها راضيًا سعيدًا، قالت له: «إن زوجي قد مات، وترك لي ابنًا وحيدًا يرعى ماشية والده، وجاء أجنبي فأكرمته، ولكنه ضرب ابني وأراد أن يغتصب ما نملك من الماشية (واستعملت في تعبيرها عن الماشية كلمة «ياوت»، ولهذه الكلمة معنًى آخَر هو «الوظيفة»، وبذلك استفادت من هذه التورية في تسجيل ما فاه به «ست» بعدُ)، فقال «ست»: «وكيف يمكن ذلك وابن الرجل لا يزال على قيد الحياة؟ فلا بد أن تُعطَى الماشية (الوظيفة على المعنى الآخَر للكلمة) لابنك.» وما كادت تسمع هذا الاعتراف الذي أرادته وقصدت إليه من أول الأمر حتى فرحت وانتفضت، فصارت حدأة طارت وحطت فوق شجرة وقالت «لست»: انعَ نفسك الآن فقد حكمت عليها بفمك، فإن الماشية (ياوت) ليست إلا وظيفة الملك التي تسعى لاقتناصها من ابني «حور» ... ولما قصَّ «ست» هذه الواقعة على «رع» لم يسعه إلا أن يحكم «لحور» بملك والده راضيًا أو ساخطًا.

ولم ينتهِ دور «إزيس» بذلك، بل قامت بمغامرات أخرى في النزال الذي قام بين «حور» و«ست»، وفي إرجاع بصر «حور» إليه عندما أعماه عمه، ثم في إنقاذ ابنها من وهدة السقوط والفحش التي دبَّرها له «ست»، بل قلبت القضية وجعلت البئر تستقبل من حفرها لأخيه، فوضعت نطفة «حور» على شجرة الخس التي اعتاد «ست» أن يأكل منها فلصقت به الرذيلة، وانتكس عليه الحكم.

موقف الإله «ست»

يُلاحَظ في قصتنا أن الإله «ست» كان غبيًّا أعمته شهوته، فاندفع وراءها، ووقع في حبائل «إزيس»، وكان من جهة أخرى قويًّا عنيدًا يريد أن يصل إلى أغراضه، إما بالوعيد الإجرامي؛ فقد هدَّد الآلهة بأن يقتل كل يوم واحدًا منهم إذا وقفوا في سبيله، وإما بالحيل الدنيئة، وذلك عندما أراد أن يأتي الفاحشة مع أخيه «حور» حتى يسقط من قدره فلا يصل إلى الملك، وإن الدور الذي لعبه في هذه القصة كان الدور الذي يلائم شخصيته في كل أطوار التاريخ المصري تقريبًا، فإنه كان يمثِّل الشر والغدر والظلام، وقد أبرز في هذه القصة يده على الإله «رع»، فإنه كان حاميه من الثعبان «إبوبي»، وقد ذكره بهذه المنة ليكون في جانبه عند القضاء. وإذا جعلنا الإله «ست» رمزًا لشخص تاريخي، فإن ذلك الشخص التاريخي الذي يرمز إليه «ست» يكون حاكم إقطاع من الذين كان لهم نفوذ عظيم في بداية الأسرة الثانية عشرة.

وقد كان «ست» في عهد الرعامسة، أو بعبارة أخرى في عهد الدولة الحديثة، يُعتَبر إله الحرب والقوة، وقد تبدَّدَتْ بمضي المدة شهرتُه السيئة الماضية، وكان كذلك معتبرًا إله البلاد الأجنبية، ولذلك وَصَّتِ الإلهة «نيت» بأن يُزوَّج من الإلهتين «عنات» و«عشتارت»، وهما إلهتان آسيويتان. ونرى في آخِر الأمر أن «رع» رغب في النهاية أن يتخذه ابنًا له يعيش معه ويكون إله الرعد في السماء، وفي ذلك ما يشير إلى أن «رع» قد انحاز إلى «ست» في النهاية حتى بعد أن غلب على أمره؛ لأنه عدو «أوزير» الذي كانت له السيادة والكلمة العليا في ذلك الوقت، وبذلك أصبح «ست» يسكن مع «رع» في السماء، وتركا العالم السفلي «لأوزير» يحكم فيه كيف يشاء.

موقف الإله «تحوت»

إن الدور الذي قام به الإله «تحوت» (إله العلم والعرفان) خليق به؛ فقد كان ينوب عن التاسوع في أعماله، فهو الذي قدَّمَ العين المقدسة (أي مصر) للإله «رع» ليقرِّر مصيرها، وهو الذي أَلَّفَ الرسائل التي تبودلت بين «رع» من جهة وبين الإلهة «نيت» والإله «أوزير» من جهة أخرى، وهو الذي حكم في نداء النطفة عندما ادَّعَى كل من «ست» و«حور» الغلبة له على قرنه، وقد كوفئ على عمله هذا بوضع القرص الذهبي الذي خرج من جبين «ست» على جبينه، وبواسطة هذا القرص أُحِّدَ تحوت بالإله القمر؛ لأن ذلك القرص كان يمثِّل القمر نفسه، على أن هناك رواية أخرى جاء فيها أن القرص الخارج من جبين «ست» هو الإله «تحوت» نفسه الذي كان يمثِّل القمر، ونجد في المتون الخرافية شيئًا آخَر غريبًا هو أن تحوت أو القمر وَلَدٌ للإلهين «حور» و«ست»، وهذا هو الحادث الوحيد الذي نسمع فيه أن الذكرين قد تناسَلَا. ولكن الخرافة في الواقع تُخفِي في ثناياها ظاهرة طبيعية هي النضال بين النهار والليل، أو بين النور والظلام، والذي انتهى بتغلُّب النور على الظلام لخلق القمر الذي شدَّ من أزره. ولما كان المصري لا يعرف المعنويات صوَّرَ هذا النضال بمحسات وحقائق ملموسة؛ «فحور» وهو النور قد تغلَّبَ على «ست» وهو الظلام بالتلقيح، فنتج من ذلك القمرُ الذي أصبح يضيء الكون ويبدِّد دياجير الظلمات.

الموقف التاريخي الذي توضحه القصة

قد أشرنا من قبلُ إلى أن لهذه الملحمة أصلًا تاريخيًّا توضِّحه وتشير إليه، وعلينا أن نوضح الآن هذا الأصل التاريخي الذي تمثِّله، والعصر الذي بدأ فيه.

إن «رع» يمثِّل شخصية الفرعون، وآلهة التاسوع يمثِّلون مجلس بلاطه، ومظاهرة «رع» «لست» على «حور» صاحب الحق الموروث تعني رغبة فرعون في تنصيب أحد عظماء قومه في وظيفة حاكم، متخطِّيًا بذلك قانون الوراثة الذي تسير عليه البلاد، وما دمنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فإنه يسهل علينا أن نعرف العصر الذي ترمز إليه هذه القصة؛ فإن موقف فرعون الذي شرحناه من أحد عظماء القوم لم يحدث إلا مرة واحدة في تاريخ مصر، وذلك في العهد الذي تلا سقوط الدولة القديمة؛ فإن أمراء الإقطاع قد ازداد نفوذهم، وصارت المقاطعات التي يحكمونها كأنها ضياع لهم، يستغلونها في حياتهم، ويورِّثونها أبناءهم بعد مماتهم، ولما جاء ملوك الأسرة الثانية عشرة، ووجدوا أن قوة هؤلاء الأمراء

عظيمة إلى حدٍّ بعيد، اضطروا أن يسلموا بالأمر الواقع، وبذلك اعترفوا بقانون الوراثة في تلك المقاطعات، ولكنهم أخذوا يعملون على هدم هذا النظام شيئًا فشيئًا بتنصيب حكام موالين لهم على تلك المقاطعات، والقضاء على الأسر الوراثية كلما مكَّنَتْهم الفرصُ من ذلك. وأكبر دليل على أن هذه السياسة قد نُفِّذَتْ ونجحت، هو نقصان عدد مقابر أمراء الإقطاع في عهد الأسرة الثانية عشرة، وإن كان محو هذا النظام جملةً كان بطيئًا وشاقًّا، ولم تظهر بوادره إلا في عهد «سنوسرت» الثالث. وقد أراد أحد الفراعنة — جريًا على تلك السياسة التي استَنُّوها لأنفسهم — أن ينصب حاكمًا قويًّا ممَّن يثق بهم على إحدى المقاطعات بدلًا من آخَر يستحقها بالوراثة؛ فقام هذا العراك بين الاثنين، فصُوِّرَ ذلك بصورة «رع» يعاضد «ست» في الخصام الذي جرى بينه وبين أخيه على وظيفة الملك التي آلت «لحور» بطريق الوراثة، ويريد «ست» — ويعضده في تلك الإرادة «رع» — أن يجعلها لنفسه بالقوة والجبروت، فإرث «أوزير» الذي كان يستحقه «حور» يُفَسَّرُ هنا بمقاطعة، وإذن فليس الشجار الذي أمامنا واقعًا بين «حور» و«ست»، بل بين الملكية وبين حكام المقاطعات الوراثيين في بداية الدولة الوسطى؛ فهي قصة تشرح في طياتها موقفًا سياسيًّا تاريخيًّا يدور حول ما كان يلاقيه الملك في ذلك الوقت من الصعوبات، وما كان لأمراء المقاطعات من القوة والبطش.

وهناك موقف آخَر في القصة نستطيع أن نجد له مقابلًا يفسِّره في الأصل التاريخي الذي نتحدث عنه؛ ذلك أن «ست» قد أصبح من أصدقاء «رع»، مناقضًا بذلك الحقائق التي وردت في الخرافات المصرية. ولقد برَّرَ «ست» هذه الصداقة التي جمعت بين الاثنين مع اختلافهما بقوله: «ماذا حدث لي؟! إني «ست» أعظم الآلهة قوة، فأنا الذي أقتل عدو «رع» كل يوم لأني أقف في مقدمة سفينة الملايين، على حين أنه لا يوجد إله آخَر في قدرته أن يعمل هذا، ولهذا أرجو أن تسلم إليَّ وظيفة «أوزير» ... إلخ.» وترجمة ذلك بلغة الواقع أن ذلك الحاكم الذي كان يعضده الملك كان يقوم بدور سياسي مستتر لمساعدة الملك على تعزيز ملكه وبناء سلطانه، ومن ثَمَّ زكَّاه الملك بدوره ليتقلد هذه الوظيفة.

ونرى كذلك مشهدًا آخَر في القصة يترجم عن حقيقة تاريخية؛ ذلك أن «ست» كانت له مكانة عالية بين أعضاء مجلس الآلهة، فكان يُعامَل معاملة حسنة، وكان في الوقت نفسه لا يأبه بهم، يدلُّك على ذلك أنه لما غضب منهم مرةً قال لهم مهدِّدًا: «سآخذ سيفي

الذي يزن ٤٥٠٠ رطل، وأقتل به واحدًا منكم كل يوم.» وترجمة ذلك أن مَن تسوِّل له نفسه من حكام المقاطعات أن يقوم بعمل عدائي ضد الملك، فإنه مستعد لإبادته.

ومما يدل على علاقة «ست» الوثيقة بالإله «رع»، ما جاء عند تبادل الآراء بين «رع» والإلهة «نايت»، التي كانت تُعتبَر أمًّا للإله «رع» نفسه عندما سألها عن رأيها في مصير تلك الوظيفة التي تشاحَنَ الاثنان عليها؛ إذ قالت: أعطِ ابن «أوزير» الوظيفة، ولكن في الوقت نفسه ضاعِفْ أملاك «ست» وأعطه ابنتيك «عنات» و«عشتارت». فلِمَ هذا الإكرام كله «لست»؟ وما سبب تلك الخطوة التي جعلت أم «رع» تسعى لترضية «ست» وإعطائه ما يعوضه عن التركة التي ينشدها؟ السبب واضح، وهو أن «ست» هذا ليس إلا الحاكم الذي يفضِّله الملك أميرًا للمقاطعة، وأنه ما دام قد التوى عليه القصد، فلم يقدر أن ينصبه في المركز الذي طمح إليه، فلا أقل من أن يعوضه عن ذلك غنى وجاهًا؛ تطييبًا لخاطره، وجزاءً لما قدمه لمليكه من أجَلِّ الخدمات. على أنَّا نلاحظ هنا شيئًا، فإن ذكر إعطاء «عنات» و«عشتارت» «لست» لا يمكن أن يتفق مع تاريخ الدولة الوسطى الذي تُنسَب إليه قصتنا، وليس من البعيد أن تكون تلك الفقرة دخيلة على القصة، أضيفت إليها في العصر الذي كُتِبت فيه حينما كانت مصر على اتصال وثيق بالأمم المجاورة التي كانت تُعبَد فيها هاتان الإلهتان، وهذه ظاهرة نجدها في كثير من القصص المصري؛ فلقد وجدنا في خرافة «حور» المنقوشة على معبد «إدفو» حوادثَ ترجع كذلك إلى أقدم عهود التاريخ المصري، ومع ذلك قد دُسَّ عليها، وأضيف إليها حوادث ترجع إلى عهد الهكسوس وغيره.

وقد يظن القارئ أن تشبيه إرث «أوزير» بمقاطعة مع أنه كان ملكًا على مصر كلها غير صحيح أو غير دقيق، ولكن إذا علمنا أن «رع» هو رب العالم كله كما كان يُلقَّب بذلك، كانت مصر من غير شك بالنسبة إلى هذا العالم الفسيح كمقاطعة من مقاطعاته، فالتشبيه محبوك من كل أطرافه،[٢٥٨] كما أن المرتبة التي كان يسعى إليها وارث «أوزير» قد أُطلِق عليها في القصة «حك»، وهي وظيفة حاكم المقاطعة، والتعبير عنها بكلمة (وظيفة) لا شك أنه مقصود حتى يفهم القارئ أن هذه وظيفة تُقلَّد، لا تركة تُورث، لموقف البلاد السياسي الذي سبق شرحه.

[٢٥٨] ويمكننا تفسير هذا الموقف بصورة أخرى، وهي أن «بتاح» كان والد كلٍّ من «أوزير» و«رع»، وأنه خالِق كل شيء، أي إن العالم كله تحت سلطانه؛ فلا غرابة إذا أعطى «ست» جزءًا من مصر، و«رع» الجزء الآخَر.

وقد لمحنا في القصة بعض التناقض، فهذا «رع» يسمِّي نفسه مرة «رب العالمين»، وأخرى «الملك الطيب لمصر»، وهذا مجلس التاسوع يطلق عليه أحيانًا مجلس الثلاثين.

مجلس الثلاثين

ومجلس الثلاثين — وقد يُسمَّى مجلس الثلاثين العِظَام — يضم الحكَّام الذين كانوا يديرون دفة البلاد في عهد الحكم الإقطاعي، ومنهم يُؤلَّف مجلس البلاط، وقد خلف مجلسُ الثلاثين مجلسَ العشرة العظام للوجه القبلي، الذين كانوا يتولون أمور البلاد في عهد الدولة القديمة. وفي ازدياد أعضاء هذا المجلس الذي أنشئ لمساعدة الملك، وللحد من سلطان حكَّام المقاطعات؛ تقويةٌ لهم، وعونٌ على تعزيز الأداة الحكومية، وداعٍ إلى القبض على ناصية الحال في طول البلاد وعرضها؛ لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون في الوقت نفسه حكَّامًا للأقاليم، وسادت هذه الحال في العهد الأهناسي، وعهد الأسرة الحادية عشرة، وهي الفترة التي طغت فيها سلطة حكَّام الأقاليم، واستمرت إلى أوائل حكم الأسرة الثانية عشرة. وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك في مختلف المقاطعات، غير أنه استبدل بهم حكَّامًا انتخبهم بنفسه، وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطانًا قاهرًا في أوائل عهد الدولة الوسطى، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال في كل مرفق من مرافق الدولة، ولقد كان له هذا السلطان في قصتنا أيضًا؛ فقد رأينا أن التاسوع كان يفصل في الأمور الخطيرة، وكان يحد من سلطة الفرعون. وهذا المجلس بعينه كان يُسمَّى «قنبت» أي المجمع، ولقد عرفنا تكوينه من نقش وُجِد في «حاتنوب» القريبة من ملوي، جاء فيه عن أمير مقاطعة «الأرنب» (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمَّى «نِحْري» الأول ما يأتي: «وقد اجتمع للتشاور مع المجمع «قنبت» دون أن يعرف ذلك أحد، وقد كان البلاط منشرحًا للآراء التي أدلى بها، وقد كان من الرجال المخلصين، وقد كان يأتي إليه (المجلس) الحكَّام (حكَّام المقاطعات) من الوجه القبلي.» والظاهر أن اجتماع المجلس هذا كان سريًّا كما يدل على ذلك سياق الكلام، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة العدو ولتسيير دفة الحرب في الجنوب. ويمكننا هنا أن نجد وجه شبه بين مجيء «نحري» إلى هذا المجلس، وندب الإله «با» من بلدة منديس (تل الربع الحالية) لحضور مجلس الآلهة.

أوزير والعهد الإقطاعي

جاء في الأساطير المصرية في الفصل الخامس والسبعين بعد المائة من كتاب الموتى، أن «أوزير» كان إلهًا في صورة ملك، وقد تناوَلَ الأستاذ «كيس»[٢٥٩] هذا الفصل من كتاب الموتى بالبحث، واستخلص منه أن «أوزير» كان الإله الرسمي عند تأسيس المملكة الأهناسية في خلال الأسرة العاشرة، وعلى ذلك كانت تُعتبَر هذه المملكة ملكًا «لأوزير» في العهد الإقطاعي، ومن هنا نجد النواة التي نبتت منها فكرة قيام مملكتين متجاورتين لكلٍّ منهما ملك مستقل، كما نجد صدى ذلك في قصتنا، فكان «رع» يحكم في طيبة و«أوزير» يحكم في «هيراكليوبوليس» (أهناس المدينة)؛ وذلك قبل توحيد البلاد على يد «أمنمحات» الأول، وبهذا كان «أوزير» يمثِّل في قصتنا مملكة «أهناس». والواقع أن هذه المقاطعة في هذا العهد الذي وصلنا إلى معرفته كانت من أقوى المقاطعات، وكان الحاكم عليها صاحب صولة وسلطان، يُخشَى جانبه، وتُرهب سطوته، ومن هنا كانت كلمة «أوزير» في قصتنا فصل الخطاب.

ولقد قلنا إن هذه القصة تمثِّل حقائق تاريخية سياسية، فهل يتمشَّى ذلك مع تحدُّث ملك إلى الأحياء وهو في عالم الأموات؟ والجواب ما قلناه من أن الملاحم المصرية تجتمع فيها الحقيقة مع الخرافة، ويتكون من المزيج المنصهر وحدة ترمي إلى هدف معين، وهذا ما نراه هنا.

ومما يدل على أن هذه القصة لم تُكتَب في عصر الرعامسة إغفال ذكر اسم الإله «آمون»، مع أن كاتب القصة يقول إنها كُتِبت في طيبة في عهد رعمسيس الرابع، أي أيام أن كان الإله «آمون» هو الإله الأعظم للدولة، فلو كانت قصتنا قد كُتِبت في عصر الرعامسة لجاء ذكر «آمون» كما جاء في أنشودة «آمون» العظيمة الموجودة بالمتحف المصري، والتي يرجع تاريخها إلى عصر الدولة الحديثة، والتي قالت: إن «آمون» كان القاضي فيما نشأ بين «حور» و«ست» من النزاع.

ومما يجب ذكره أن وصف بلاط «رع» في القصة ينطبق على حاله أيام العهد الإقطاعي وأوائل الدولة الوسطى، فنشاهد أن إدارة الملك لم تُوطَّد في مقر واحد ثابت، بل كانت تنتقل من مكان إلى مكان، وقد رأينا هذه العادة في أهرام ملوك الأسرة الثانية عشرة،

---

[٢٥٩] Kees, Agyptische, Zeitschrift 65, 1930. 65 ff.

مما يدل على أن قصتنا ليست من العصور الحديثة، وأنها — كما أثبتنا ذلك في مناسبات مختلفة — ترجع إلى العهد الإقطاعي. وإذا بحثنا الأمر من الناحية اللغوية، وجدنا في القصة تعبيراتٍ وأساليبَ لا يحذقها كتَّاب عهد الرعامسة، وتدل بمميزاتها على أنها من عهد الدولة الوسطى، وهذا الموضوع يهم طبعًا بصفة خاصة المشتغلين بأمر اللغة المصرية القديمة، ومَن شاء التوسع فيه فَلْيرجع إلى ما كتبه الأستاذ «جاردنر»، ثم الأستاذ «سبيجل» في هذا الموضوع في المراجع التي أشرنا إليها. على أنَّا نكتفي هنا بالإشارة إلى الموقف الذي حاوَلَ فيه «ست» أن يعتدي على «حور» اعتداءً منكرًا، فقد جاء هذا الحادث في ورقة «كاهون» (Heiratic Papyri From Kahun Vol. I Pl. I–III & Vol. II P. 4.) وفي كتاب الموتى في الفصل الثالث عشر بعد المائة، وترجع أقدم رواية لهما إلى الدولة الوسطى في متون التوابيت التي نشرها «لاكو»، وكذلك نجد محاربة «ست» و«حور» متشكلين في صورة جاموس البحر قد جاء ذكرها في ورقة «ساليه» رقم ٤، ويحتمل أنها من هذا العصر، ونجد أيضًا خرافة قتال «ست» للثعبان «أبوبي» عدو إله الشمس في كتاب الموتى في الفصل الثامن بعد المائة، ويرجع أصلها إلى نقوش الدولة الوسطى (Sethe A. Z. 59. P. 77 ff.)، كما نرى قصة «أوزير» ومملكته التي وعد أن يحكم فيها والتي كان منشؤها أهناس المدينة في العهد الإقطاعي، قد وردت في كتاب الموتى في الفصل الخامس والسبعين بعد المائة، ويرجع أصلها كذلك إلى الدولة الوسطى. ومن كل ما تقدَّمَ يمكننا أن ننسب قصتنا إلى الدولة الوسطى، ولا يمنع هذا أن يكون الكاتب الذي صقلها قد أسبغ عليها سمة أساليب عصر الرعامسة.

أسلوب القصة ولغتها وطريقة إنشائها

نلاحظ في أسلوبها البساطة التي انحطت إلى حد الابتذال والتعبير بلغة العامة، وهذا عين ما نجده في أساليب الدولة الحديثة؛ ذلك إلى أن مفردات القصة قليلة في عددها، عادية في نوعها، إذا استثنينا بعض ألفاظ وتراكيب أغفَلَها كاتب عهد الرعامسة الذي صاغ القصة من جديد ليُظهِرها في ثوب يلائم عصره، وأكثر التعبيرات سذاجةً ما جاء على لسان «ست» «لرع» يقصُّ عليه ما دار بينه وبين «إزيس» من الحديث، وفي نسج القصة تكرار ممل

دفعنا واجب الأمانة إلى تسجيله كما رأيناه. كما أوردنا الألفاظ المكشوفة في صورة تهدي القارئ إلى ما أراده منها واضع القصة.

وبين أسلوب هذه القصة وأسلوب قصص الدولة الوسطى الرائع فرق كبير يتضح جليًّا إذا قرنتها بأخرى من إنتاج هذا العصر كقصة «سنوهيت» مثلًا، وكذلك نجد بينها وبين كتابات عصر الرعامسة فارقًا كبيرًا تلمسه إذا قستها بالخطاب الوارد في ورقة أنستاسي الأولى، وسنوردها بعدُ.

ولا بد أن يكون القاص لقصتنا هذه قد أراد أن تكون غذاءً للعامة، فانحدر بأسلوبها إلى مستواهم، كما يفعل قاصُّو القرى الآن في مجالس الفلاحين، ومن هذا النوع قصة الملك «خوفو» والسحرة، وقصة الأخوين، وقصة الأمير المسحور، وغيرها، وقد تشابهت في طريقها وأسلوبها وكثير من تعبيراتها. وقصتنا من ناحية أخرى متصلة الحلقات، تسير في سردها إلى نتيجة منطقية ناجحة.

(جـ) المصادر

أول مَن كتب عن هذه القصة هو الأستاذ جاردنر، ثم كتب عنها سبيجل الألماني، وهاك المصادر:

(1) Gardiner, “The Chester Beatty Papyrus No. I”, P.P. 8–26, Pls I–XVI.

(2) J. Spiegel, “Die Erzählung vom streite des Horus und seth in Pap. Beatty 1”.

(3) Blackman, “The Journal of Egyptian Archaeology”, Vol. 19, 1933, p. 200 f.f.

(4) Gardiner, “Late Egyptian stories”, P.P. 37–60.

(د) متن القصة

(لقد حدثت) المحاكمة بين «حور» و«ست» صاحبي الصورة الخفية، العظيمين، وأكبر أميرين وُجِدَا.

جلس الطفل[٢٦٠] أمام رب العالمين،[٢٦١] مطالبًا بوظيفة والده «أوزير» صاحب الطلعة البهية، (وابن) «بتاح»،[٢٦٢] والذي ينير (أرض الغرب) بضوئه، على حين كان الإله «تحوت» يُقَرِّب العين[٢٦٣] (المقدسة) إلى الأمير الجليل في «عين شمس» (أي إله الشمس).

---

[٢٦٠] يقصد بالطفل هنا «حور»، وقد كان المعتاد أن يقف الشاكي في المحاكم المصرية أمام المحكمة ليقدم شكايته، ومن المحتمل أن «حور» قد مثل هنا جالسًا؛ لأنه كان طفلًا صغيرًا لا يقوى على الوقوف، وسنرى في سياق القصة أن «رب العالمين» يقول له: «إنك ضعيف الأعضاء، وإن وظيفة الملك لهذا السبب كبيرة عليك.» يضاف إلى هذا أننا نشاهد تمثال «حربوخراد» أي حور الطفل جالسًا على حجر أمه «إزيس».

[٢٦١] المعنى الحرفي «لرب العالمين» هو «الرب إلى النهاية»، وهذه التسمية تحتل المكانة الثانية للدلالة على اسم إله الشمس في هذا المتن، وقد وردت ٢٠ مرة. أما الاسم الذي يحتل المكانة الأولى فهو «رع-حور-أختي» وقد ذُكِر ٢٢ مرة. أما الاسم «رع» بدون أداة التعريف «ب»، فيُذكَر هنا في تعابير قديمة في أصلها مثل «شو» بن «رع». ومن أسماء إله الشمس التي ورد ذكرها هنا كثيرًا «آتوم» بوصفه «الأمير القوي الذي في عين شمس»، وكذلك فإن «الثور» الذي يسكن في عين شمس يُقصَد به إله الشمس. هذا، وقد يُسمَّى هنا إله الشمس باسم «خبري» كما سيرد بعدُ في هذا المتن.

[٢٦٢] «بتاح» هو إله «منف»، وقد ذُكِر هنا بوصفه خالق كل شيء، وهذا ما يفسِّر لنا في هذا المتن أبوَّته للإله «أوزير» و«رع». ولا يبعد أن الأفضلية التي أُعطِيت للإله «بتاح» في هذه القصة تجعلنا نفكِّر في أنها ترجع إلى أصل منفي، أو على الأقل نجد التأثير المنفي فيها؛ لأن «بتاح» هو إله «منف» العظيم.

[٢٦٣] العين المقدسة هنا التي يقدِّمها «تحوت» للإله «رع» الذي كُنِّي عنه «بالأمير الجليل في عين شمس»، هي بلاد مصر أو تاجها، وهي الموضوع الذي تدور حوله المخاصمة بين «حور» و«ست»؛ وذلك أنه لما اعتزل «أوزير» الملك ونزل إلى العالم السفلي ليحكم فيه، أصبح عرش البلاد خاليًا، وتنازعه كلٌّ من «حور» و«ست». وقد جاء «تحوت» بالعين المقدسة التي هي مصر نفسها ووضعها أمام الآلهة ليحكموا لَمن يُعطي وظيفة الملك؛ أتُعطَى «حور» أم «ست»؟ ولذلك فإن تفسير العين المقدسة بمصر في هذا الموقف مقبول جدًّا. والواقع أننا نجد في العصور المتأخرة أن البلاد المصرية كان يُرمَز لها بالعين المقدسة (وازيت)، وكذلك كان يُرمَز لتاج مصر بالعين المقدسة. وقد بحث هذا الموضوع الدكتور «سبيجل» الألماني بالتفصيل في دراسته لهذه القصة: Spiegel. Die Erzählung Vom Streite Des Horus und Seth P. 85 ff. وفي هذه الدراسة نجد أن «تحوت» يقوم بإعطاء العين (أي مصر) سيدها الذي يستحقها، وهو «حور».

ثم تكلَّمَ «شو»[٢٦٤] بن «رع» أمام (آتوم) الأمير العظيم في عين شمس وقال: «إن العدالة هي رب القوة، فنفذها بقولك: أعطِ الوظيفة (أي وظيفة الملك) إلى «حور».» عندئذٍ قال «تحوت» للتاسوع:[٢٦٥] «حقًّا وألف ألف مرة (حقًّا).»

وهنا صاحت «إزيس» عاليًا وفرحت جدًّا، وخرجت أمام رب العالمين وقالت: «يا ريح الشمال هبِّي غربًا! وأنعشي «قلب وتنفر» (أوزير) بهذا الخبر، وهو أن ابنه سيكون خلفه. ثم قال «شو» بن «رع»: «قرِّب العينَ (إلى حور)، فإن في ذلك عدالة للتاسوع.»

وعندئذٍ قال «رب العالمين»: «ما معنى أنكم تتخذون تدابيركم وحدكم؟!»

وهنا تكلَّمَ (التاسوع) وقال: «ليته يأخذ خاتم الملك «لحور»، وليت التاج الأبيض يوضع على رأسه.» فوجم «رب العالمين» (برهة طويلة) وغضب من التاسوع، ولكن عندئذٍ تكلَّمَ «ست» بن «نوت»: «دعه يخرج معي لأجعلك ترى أن يدي تقبض على يده في حضرة التاسوع؛ لأنه لا يعرف أحد طريقة التغلب عليه.»

وعلى ذلك قال له «تحوت»: «إذن سوف لا يمكننا أن نعرف من الكذَّاب، فهل ينبغي للإنسان على ذلك أن يعطي وظيفة «أوزير» إلى «ست»، في حين أن ابنه موجود هنا؟»

وهنا غضب «رع-حور-أختي» جدًّا — لأن رغبة الإله «رع» كانت أن يُمنَح «ست» العظيمُ القوةُ ابن «نوت» الوظيفةَ (وظيفة الملك) — وعندئذٍ صاح «أنوريس»[٢٦٦] عاليًا أمام التاسوع وقال: «ماذا ينبغي إذن أن نفعله؟»

---

[٢٦٤] «شو»: بكر أولاد «رع»، ولهذا السبب كان خليقًا أن يقوم بدور المتكلم عن «التاسوع».

[٢٦٥] «التاسوع»: كلمة التاسوع تقابل في المصرية «بسزت»، وهي جماعة مؤلَّفة من تسعة آلهة، وهو الاسم الرسمي لجماعة الآلهة من نسل إله الشمس «رع-آتوم»، وذلك حسب العقيدة الشمسية التي كان مركزها مدينة «عين شمس». وهذا التاسوع في الأصل كان يحتوي على «آتوم» نفسه وأربعة أزواج من آلهة، وهم: «شو» و«تفنت»، ثم «جب» و«نوت»، ثم «أوزير» و«إزيس»، ثم «ست» و«نفتيس».

وبعد ذلك زاد عدد أعضاء التاسوع حتى أصبح عددهم (نظريًّا) ١٨ أو ٢٧ إلهًا، غير أنه لم تصلنا قائمة بأسمائهم.

[٢٦٦] «أنوريس» وبالمصرية (إن-حرت)، ومعناه ذلك الذي أحضر الواحدة البعيدة أي العين المقدسة، وهي عين الشمس. وهو إله يُعبَد في بلدة طينة بالقرب من العرابة المدفونة، وهو هنا معاضِد للإله «حور».

وحينئذٍ تكلَّمَ «آتوم» الأمير العظيم الذي يقطن «عين شمس»: «فَلْيُنَادَ «با» ربُّ[٢٦٧] «منديس»، والإله العظيم الحي، الذي يقطن كذلك في «سهل»[٢٦٨] أمام «آتوم».

وكذلك أحضر معه «بتاح-تاتنن»[٢٦٩] وقال لهما: «افصلا بين الشابَّيْنِ، واردعاهما عن أن يقفا متخاصمين كل يوم.»

وهنا أجاب «با» رب «منديس» الإله العظيم الحي، على ما قيل له: «لا تدعنا نتخذ أيَّة تدابير على غير علم تام، فَلْيُرسَل خطابٌ إلى «نيت»[٢٧٠] العظيمة أم الإله، وما تقوله سوف ننفذه.»

ولكن «التاسوع» قال لـ «با» رب «منديس»، الإله العظيم الحي: «لقد فصل بينهما سابقًا في القاعة (المسماة) «الوحيدة للعدل».»

وعندئذٍ تكلَّمَ التاسوع إلى «تحوت» أمام رب العالمين: «اكتب خطابًا إلى «نيت» العظيمة أم الإله، باسم «رب العالمين» الثور الذي يقطن عين شمس.»

---

[٢٦٧] «با» رب «منديس»، وهو إله في صورة «تيس»، يُعبَد في بلدة «منديس»، وهي قرية تل الربع الحالية الواقعة في الجزء الأوسط من شرقي الدلتا. وقد كان مشهورًا بأنه المظهر الحي لكلٍّ من الإله «رع» و«أوزير»، أي إن كلًّا من هذين الإلهين كان يتقمص هذا التيس؛ وفضلًا عن ذلك فقد كان رب التناسل العظيم، ولذلك فإنه كان بلا نزاعٍ أعظمَ الآلهة صلاحيةً ليثبت شرعية «حور» للملك. وربما كانت هذه هي الأسباب التي دعت للالتجاء إليه، وسنرى في سياق الحديث هنا أنه لم يكن ميَّالًا ليعطي حكمه في هذه القضية، ولكننا نرى أنه فيما بعدُ كان يُظهِر ميله للإله «ست». أما فيما يختص بالشك الذي كان يحوم حول شرعية «حور»، فقد بحث في كتاب بلوتارخ Plutarch De Iside ch. 54، وكذلك راجع Lacau, Textes Religieux, XVII.

[٢٦٨] هذا الوصف الذي نُعِت به الإله «با» رب «منديس»، المقصود به هنا أن يُؤحِّده مع الإله «خنوم» رب «سهل»، وهي جزيرة واقعة في إقليم الشلال الأول. غير أن خنوم لا يُنسَب إلى «سهل» إلا نادرًا جدًّا.

[٢٦٩] يُلاحَظ أن «با» رب «منديس» عندما حضر جاء معه الإله «بتاح تاتنن»، وهو رب الأرض وصورة من الإله «بتاح»، غير أن السبب في مصاحبته معه هنا غير واضح، ولكن لدينا متن يوضِّح لنا ذلك، وهو مكتوب على لوحة من عهد «رعمسيس» الثاني: وبعد ذلك تكلَّمَ «بتاح تاتنن» رب الآلهة لابنه ... رعمسيس: «إني والدك وقد أنجبتك، وكل أعضائك آلهة، وقد تقمصت «با» رب «منديس»، واجتمعت مع والدتك لأجل أن تجعل خلقتك مثل خلقة الإله.» (راجع Bneasted Ancient Records III P. 400.)

[٢٧٠] «نيت» هذه الإلهة كانت مشهورة بأنها والدة «رع»، وقد مثلت هنا بصفتها إلهة محترمة من جبل قديم، تسكن منفردة في مدينتها (صا الحجر) بالدلتا.

فقال «تحوت»: «سأفعل ذلك حقًّا، سأفعل ذلك.»

وعندئذٍ جلس ليؤلِّف الخطاب فكتب: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رع-آتوم» محبوب «تحوت» رب الأرضين وإله عين شمس، ونور الشمس الذي يضيء الأرضين بجمالها، والنيل العظيم في وفائه «رع حور أختي» — إلى «نيت» العظيمة أم الإله التي أنارت في الأزل، ليتك تعيشين في صحة وشباب غض يا روح رب العالمين الحي، الذي يقطن عين شمس وملك مصر الطيب، إن خادمك هنا: (أنا) (يعني نفسه) الذي أسهر الليل من أجل «أوزير»، وأهتم كل يوم بأحوال الأرضين.

أقسم بحياة سبك[٢٧١] الذي يعيش حقًّا إلى الأبد، «ما الذي ينبغي أن نفعله مع هذين الشابين اللذين قضَيَا ثمانين حجة أمام العدالة، ولم يكن في استطاعة أحد أن يفصل بينهما؟ فهل لكِ أن تكتبي عمَّا يجب أن نفعله؟!»

وعندئذٍ أرسلت «نيت» العظيمة وأم الإله جوابًا إلى التاسوع متضمنًا: أعطوا وظيفة «أوزير» ابنه «حور»، ولا تقترفوا تلك الفعال الذميمة التي ليست في موضعها، وإلا فإني سأغضب وستسقط السماء على الأرض، وَلْيُبلَّغ رب العالمين الثور الذي في عين شمس: ضاعِف أملاك «ست»، وأَعْطِه «عنات» و«عشتارت»[٢٧٢] ابنتيك، وأجلس «حور» مكان والده «أوزير».

ووصل جواب «نيت» العظيمة أم الإله إلى «التاسوع» حينما كانوا جالسين في القاعة (المسماة) «حور أمام القرون»، وسلَّمَ الجواب ليد «تحوت»، وعندئذٍ تلاه «تحوت» أمام رب العالمين، وأمام التاسوع كله، فقالوا بفم واحد: «هذه الإلهة على حق.»

---

[٢٧١] الإله «سبك» وهو يمثل في صورة تمساح هو ابن الإلهة «نيت»، وكان يُعبَد في الدلتا بجوار والدته «نيت»، وقد بقي اسمه للآن في أسماء بعض البلاد المصرية مثل «سبك الثلاث» و«سبك الأحد» ... إلخ.

[٢٧٢] «عنات» و«عشتارت» هما إلهتان ساميتان، وتُذكَران كثيرًا معًا في المتون المصرية، وفي ورقة «عشتارت» تُسمَّى هذه الإلهة بنت الإله «بتاح»، والمساومة التي عُرِضت هنا لا توجد في أي نص مصري آخَر، غير أنها تطابق تمامًا آراء العصر الذي كُتِبت فيه الورقة؛ إذ كان «ست» يُعتبَر إلهًا أجنبيًّا معاديًا في ذلك الوقت.

فغضب رب العالمين على «حور» وقال له: «إنك ضعيف الأعضاء، ولهذا فإن الوظيفة (أي المُلْك) كبيرة عليك جدًّا، أنت أيها الغِرُّ ذو الفم الكريه الطعم!»[٢٧٣]

فغضب «أنوريس» لذلك ألف ألف مرة، وكذلك «التاسوع» كله، والمحلفون[٢٧٤] الثلاثون، ولكن الإله «بابي»[٢٧٥] قفز (من مكانه) وقال «لرع حور أختي»: «إن مقصورتك خاوية (أي لا يعبدك أحد).» فتألَّم «رع حور أختي» لهذا الجواب الذي قيل له، فاستلقى على ظهره، وحزن قلبه جد الحزن.

وعلى ذلك خرج «التاسوع» وصاحوا عاليًا في وجه الإله «بابي»، وقالوا له: «اخرج من هنا! إن الجرم الذي أتيته عظيم جدًّا.» وذهبوا إلى مآويهم.

وقد أمضى الإله العظيم يومًا مستلقيًا على ظهره في حجرته، وكان قلبه في شدة الحزن، وظل في عزلة.

وبعد فترة طويلة من الزمن جاءت «حتحور»[٢٧٦] سيدة شجرة الجميز الجنوبية ووقفت أمام والدها «رب العالمين» وكشفت عن سوأتها أمامه، فضحك الإله العظيم منها، وعلى أثر ذلك قام من مضجعه، وجلس مع التاسوع، وقال «لحور» و«ست»: «تكلَّمَا عن نفسيكما.»

---

[٢٧٣] راجع بلوتارخ (Plutarch De Iside ch. 19): وقد اجتمعت «إزيس» «بأوزير» بعد موته وحملت منه طفلًا وُلِد في غير موعده، وكان ضعيفًا في أعضائه واسمه «حربوخراد» (أي حور الطفل)، والواقع أن «حربوخراد» يمثل على الدوام بطفل جالس؛ ومن ثَمَّ لا يمكنه الوقوف.

[٢٧٤] المحلفون الثلاثون كانوا يكوِّنون منذ العهد الإقطاعي المجلسَ الأعلى لمصر، وقد كان هذا المجلس في عهد الدولة القديمة يتألَّف من عشرة حكام، وهذه الزيادة أتت من اشتداد سلطة حكام الأقاليم، فكان هذا المجلس بمثابة رادع لهم ليقلِّل من سلطانهم، وقد أُحِّد هذا المجلس بالتاسوع المصري. وهذا المجلس كان يدير الحكومة المصرية في عهد الدولة الوسطى، وربما جاء من هنا وجه الشبه بينه وبين التاسوع الذي كان على رأسه الإله «رع» وهو ما يقابل الملك. راجع Spiegel Die Erzahlurg. et P. 74 etc.

[٢٧٥] «بابي»: هو إله غامض جدًّا لا نعرف عنه الشيء الكثير، وقد ذُكِر في متون الأهرام؛ حيث وُصِف بأنه ذو أذنين حمراوين ودبر ملوَّن (Pyr 1349 a)، ويحتمل لذلك أنه قرد وهو ما يطابق المخصص الذي في ورقة «شستر بيتي» التي نحن بصددها، وكذلك يوافق سلوكه السيئ. وفي كتاب الموتى (فصل ١٢٥) يظهر أنه مؤحد مع المارد «أما» الذي يلتهم قلوب الأشقياء في يوم الحساب، وكذلك قد تكلَّمَ بلوتارخ في كتابه (Plutarcn De Iside ch 49) عن إله اسمه «ببون»، وهو على حسب قول بعضهم كان صاحب «ست-تيفون»، وقد قال عنه «مانيتون» إنه «ست» نفسه.

[٢٧٦] لا شك أن «حتحور» تمثل هنا إلهة الجمال «إفروديتي» اليونانية، وتُرسَم دائمًا عارية الجسم.

فتكلم «ست» العظيم القوة وابن «نوت» وقال: أما فيما يختص بي فإني «ست» أعظم الآلهة قوة بين التاسوع، ولذلك فإني أقتل عدو «رع» يوميًّا؛ لأني (أجلس) في مقدمة «سفينة الملايين»، وليس هناك إله آخَر في قدرته أن يعمل هذا، و(لذلك) أرجو أن أتسلَّم وظيفة «أوزير»؛ وعندئذٍ قالوا (أي التاسوع): «إن «ست» بن «نوت» على حق.»

وعندئذٍ صاح «أنوريس» و«تحوت» عاليًا قائلين: «هل ستمنح تلك الوظيفة لأخ من جهة الأم، في حين أن ابنًا من العصب لا يزال موجودًا؟» وهنا تكلَّمَ «با» رب «منديس» الإله العظيم الحي قائلًا: «هل ستعطي الوظيفة هذا الغِرَّ، في حين أن «ست» أخاه الأكبر لا يزال موجودًا؟!»[٢٧٧]

«حتحور» والكشف عن العورة

حتحور: إن الطريقة التي طيَّبت بها الإلهة «حتحور» خاطر والدها رب العالمين «رع»، تُرَى في ظاهرها من الأمور المعيبة التي تدل على الفحش والدعارة، ولكن كشف النساء عن عورتهن عند قدماء المصريين كان يُعتبَر عادةً دينية. وقد ذكر لنا «ديدور» وصفًا لهذه العادة في عبادة العجل إبيس (Diodor I. 85, 3) وهي تنطبق على ما جاء في قصة المخاصمة، ويؤيِّد ذلك ما ذكره الأستاذ فيبر (weber)؛ إذ عثر على تمثال من الخزف في متحف ليبزج (Leipzig Inv. Nr. 3634) في كتابه (Berliner Terrakotten text. b 119. A 5.) وقد مثل وهو يقوم بتلك الحركة، وكذلك قد ذكر هيرودوت شيئًا عن تلك العادة نفسها عند سفر القوم للاحتفال بعيد الإلهة «باست». وهي في ظاهرها عادة وحشية، إلا أنها بلا شك ترجع إلى نفس تلك العقيدة، والواقع أن ذكر هذه العادة هنا مما يثبت لنا أن الإغريق قد نقلوها عن المصريين؛ حتى إننا عندما نقرؤها في كتبهم ننظر إليها على أنها وحشية فاحشة، ولكن الكشوف الحديثة تضع الأمور في نصابها. والواقع أن هذه العادة تعبِّر عن منتهى الخضوع والخشوع، وأن الإله هو الذي يعرف عورات النساء، ولكن مما يلفت النظر هنا هو ضحك الإله «رع» من العمل الذي أتته أمامه «حتحور» بكشف عورتها؛ لأن ذلك منتهى ما يمكن من علامات الخضوع والدعاء، ولا يأتيه إلا عامة الشعب؛ ولذلك فإن قيام ابنته به أمامه لم يكن إلا لشدة محبتها له، وإرضائه بأعظم شيء يدل على الخضوع يمكن لامرأة في عالم الدنيا أن تأتيه، فكيف إذا أتته إلهة؟!

[٢٧٧] نجد في هذه الفقرة رأيين متضاربين فيما يتعلق «بحور» و«ست»، فعلى حسب الخرافات الأقدم عهدًا نجد أن «حور» و«ست» كانا أخوين متناظرين. وعلى حسب رواية أخرى أقل قدمًا من سابقتها، ولكنها مع ذلك ترجع إلى أزمان سحيقة، كان «ست» و«أوزير» ابني الإلهة «نوت»، وعلى ذلك لم يكن «ست» الأخ الأكبر لحور، بل خاله أو عمه.

وعندئذٍ صاح التاسوع صيحة عظيمة أمام «حور» (؟) وقالوا له: «ما هذه الكلمات التي فُهْتَ بها وليست جديرة بأن تُسمَع؟!»

وهنا تكلَّمَ «حور» بن «إزيس»: هذا ليس بالحسن في الواقع بأن أُظلَم أمام التاسوع، وأن تُغتصَب مني وظيفة والدي «أوزير».

وغضبَتْ «إزيس» من التاسوع وأقسمت بالله أمام التاسوع قائلةً: «بحياة والدتي الإلهة «نيت»، وبحياة «بتاح تاتنن» ذي الريش العالي وحاني قرون الآلهة، إن هذه الألفاظ ستُوضَع أمام «آتوم» الأمير الجليل قاطن عين شمس، وكذلك أمام «خبري»[٢٧٨] ساكن سفينته.» وعلى ذلك قال لها التاسوع: «لا تثوري؛ فإن الحقوق ستُعطَى مَن كان على حق، وإن كل ما قلته سيُنفَّذ.»

فاغتاظ «ست» بن «نوت» من التاسوع عندما قالوا هذه الكلمات لإزيس الجليلة أم الإله، وعندئذٍ قال لهم «ست»: سآخذ سيفي الذي يزن ٤٥٠ رطلًا وأقتل به واحدًا منكم كل يوم ... ثم أقسم «ست» يمينًا لرب العالمين قائلًا: «لن أتناقش بعدُ أمام العدالة ما دامَتْ «إزيس» هنا.»

وعندئذٍ تكلَّمَ «رع حور أختي» إليهم: «اعبروا إلى «جزيرة الوسط» وافصلوا بينهما وقولوا لـ «عنتي» لا تعبر بأية امرأة في صورة إزيس.» وعلى ذلك عبر التاسوع إلى «جزيرة الوسط» وجلسوا يأكلون.

وهنا حضرت «إزيس» واقتربت من «عنتي»[٢٧٩] النوتي عندما كان جالسًا بقرب قاربه، ولكن غيَّرت نفسها في شكل امرأة عجوز، وسارت منحنية، وكانت تلبس خاتمًا

---

[٢٧٨] اسم للإله «رع» وقت الظهيرة.

[٢٧٩] إن القليل الذي نعرفه عن هذا الإله يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ زيته في كتابه (Urgeschechte Und Alteste, Religion der Agypter Par. 51 and 53).

و«عنتي» في الأصل إله في صورة صقر، ويُنعَت «عنتي» أي صاحب المخالب، وكان في الأصل يقطن المقاطعة الثانية عشرة من الوجه القبلي (مقاطعة الثعبان) ووظيفته نوتي، وهي التي يُعرَف بها هنا في قصتنا، ولم تكن معروفة من قبلُ، ويمكننا بالمتن الذي في أيدينا أن نقتفي أثرها كما أشار «زيته» إلى ذلك في متون الأهرام (وازِنْ سطرَيْ 792 a و1359 a) وكذلك نلحظ في الرسم المقوس الذي تحت الصقر أنه لا بد أن يكون قاربًا، وبخاصة أن هذا القارب له سكان. والعقاب الذي وقع عليه هو قطع الجزء الأمامي من قدمَيْه؛ أي مخالبه التي يدافع بها عن نفسه؛ ومن أجل ذلك كان يُطلَق عليه صاحب المخالب (أي الصقر صاحب المخالب)، وهذه من الأمور التي ذُكِر فيها السبب والنتيجة في القصة.

من ذهب في إصبعها، وخاطبته قائلةً: «لقد أتيتُ إليك لتعبر بي إلى «جزيرة الوسط»؛ لأني حضرت بهذا الوعاء من الدقيق إلى الصبي الصغير. لقد كان يحرس بعض الماشية في «جزيرة الوسط» منذ خمسة أيام إلى هذا اليوم، وهو جوعان.» فقال لها: لقد قيل لي لا تعبر بأية امرأة.

فقالت له: «هل ما قيل لك خاص «بإزيس»، ذلك الذي تكلمت به؟»

فقال لها: «ما الذي ستعطينه إياي حتى أعبر بك إلى «جزيرة الوسط»؟»

فقالت له «إزيس»: «سأعطيك هذا الرغيف.»

وعندئذٍ قال لها: «ماذا يكون رغيفك؟! هل ينبغي لي أن أعبر بك إلى جزيرة الوسط — على حين أنه قيل لي: لا تعبر بأية امرأة — من أجل رغيفك؟!»

وعندئذٍ قالت له: «سأعطيك الخاتم الذهبي الذي في يدي.»

فقال لها: «أعطيني الخاتم الذهبي.»

فأعطته إياه، وعلى ذلك عبر بها إلى «جزيرة الوسط»، وبينما هي سائرة تحت الأشجار، إذ نظرت فرأت التاسوع وهم جالسون يأكلون في حضرة «رب العالمين» في نزله؛ فنظر «ست» ولمحها وهي آتية من بعيد، فتلت تعويذة من سحرها وغيَّرت نفسها إلى عذراء جميلة الجسم لم يكن لها مثيل في الأرض قاطبةً، فأحبها حبًّا جمًّا.

وحينئذٍ قام «ست» بعد أن كان جالسًا يأكل مع التاسوع العظيم، وذهب ليقابلها، ولم يكن قد رآها أحد سواه، فوقف خلف شجرة وصاح بها وقال لها: «إني أريد أن أكون معك أيتها الفتاة الجميلة.»

فقالت له: «آه يا سيدي الرفيع! ما حدث لي أني كنت امرأة راعي ماشية، وقد جئتُ منه بولد، وقد مات زوجي وأصبح الصغير يرعى ماشية والده، ثم حضر غريب وجلس في حظيرتي وخاطب ولدي قائلًا: «سأضربك وسأستولي على ماشية والدك وسأطردك.» وهكذا تكلَّمَ إليه، ورغبتي هي أن أجعلك تحميه.» وعندئذٍ قال لها «ست»: «هل ينبغي للإنسان أن يعطي الماشية الغريب، في حين أن ابن الرجل موجود هنا؟»

وعلى ذلك غيَّرَتْ «إزيس» نفسها إلى حدأة[٢٨٠] وطارت ثم حطت على قمة شجرة، ثم نادت «ست» وقالت له: «انعَ نفسك، إن فمك هو الذي قالها، وإن رأيك هو الذي قضى عليك، ما الذي تريده أكثر من ذلك؟»

فوقف باكيًا، ثم ذهب إلى المكان الذي كان فيه «رع حور أختي» وبكى، وعندئذٍ كلَّمَه «رع حور أختي»: «ماذا جرى لك ثانية؟»

فأجاب «ست» قائلًا: «هذه المرأة الشريرة قد اعتدت عليَّ كرة أخرى، وقد خدعتني مرة ثانية؛ فقد غيَّرَتْ صورتها إلى عذراء جميلة أمامي، ثم قالت لي: «ما حدث لي أني كنتُ زوجَ راعي ماشية، وقد مات بعد أن وضعتُ منه ابنًا، وأنه يرعى بعض ماشية والده، وأن غريبًا أتى إلى حظيرتي مع ابني فأعطيته طعامًا، وبعدَ مضيِّ عدة أيام على ذلك قال الغريب لابني: «سأضربك وسأستولي على ماشية والدك وستكون ملكي.» وهكذا كلَّم ابني. وهكذا قالت لي.»

فكلَّمَه «رع حور أختي»: «وماذا قلتَ لها؟»

فقال له «ست»: «قلتُ لها: هل ستُعطَى الماشية (ياوت) الغريب، وابن الرجل لا يزال موجودًا هنا. وعلى ذلك قلت لها: يجب أن يُضرَب المتطفل على وجهه بعصا ثم يُطرَد، وينبغي أن يجلس ابنك في مكان والده — وهكذا قلت لها.»

فقال له «رع حور أختي»: «انظر، إنك حكمت على نفسك بنفسك، فماذا تريد زيادة على ذلك؟» فقال له «ست»: «مُرْ بحضور «عنتي» ليوقع عليه عقاب صارم، وسَلْهُ: لماذا سمحت لها أن تعبر؟ هكذا ينبغي أن يقال له.»

وعندئذٍ أحضر «عنتي» النوتي أمام التاسوع وقطعوا الجزء الأمامي من ساقيه، وكفر «عنتي»[٢٨١] بالذهب إلى يومنا هذا وقال في حضرة التاسوع العظيم: «لقد أصبح

---

[٢٨٠] لقد حكم «ست» بنفسه على نفسه دون أن يعلم؛ لأنه هو الذي يريد أن يغتصب وظيفة اليتيم، وقد تقمَّصت «إزيس» حدأة وسخرت منه، وهذه الصورة التي تحوَّلت إليها «إزيس» هي من مميزاتها؛ وذلك لأننا نعرف أنها حينما كانت تبكي عند نعش أخيها «أوزير» كانت تُعرَف باسم الحدأة الكبرى، كما كانت أختها «نفتيس» تُعرَف باسم الحدأة الصغرى. ولكن الدور الذي لعبته هنا في صورة حدأة يختلف كثيرًا عن سابقه؛ إذ هنا أرادت أن تثبت شرعية ابنها لحكم البلاد بحيلةٍ.

[٢٨١] هذه العبارة من العبارات النادرة في القصة التي يوجد فيها السبب والنتيجة، وظاهرٌ أنه كان هناك شريعة تحرِّم استعمال الذهب في بلدة الإله «عنتي»، غير أننا لا نجد ذلك مذكورًا في أي متن مصري آخَر.

الذهب ممقوتًا لمدينتي.» عندئذٍ عبر التاسوع إلى الشاطئ الغربي[٢٨٢] وجلسوا على الجبل، ولكن عند المساء أرسل «رع حور أختي» وآتوم سيد الأرضين و(رب) عين شمس إلى التاسوع الرسالة التالية: ما الذي تفعلونه بمكثكم هنا إلى الآن؟ إنكم ستجعلون الشابين يمضيان كلَّ حياتيهما أمام العدالة، فعندما يصلكم خطابي يجب عليكم أن تضعوا التاج الأبيض على رأس «حور» بن «إزيس»، وينبغي أن ترفعوه على عرش والده «أوزير».

وعندئذٍ غضب «ست» غضبًا شنيعًا، ولكن التاسوع قال «لست»: لماذا أنت غاضب؟ أَلَا ينبغي أن يفعل كما قال «آتوم» رب الأرضين في عين شمس و«رع حور أختي»؟ وعلى ذلك وُضِع التاج الأبيض على رأس «حور» بن «إزيس»، فصاح «ست» عاليًا أمام التاسوع وعصف، ثم قال: «هل ستُعطَى الوظيفة أخي الصغير، وأخوه الأكبر ما زال موجودًا هنا؟»

وعندئذٍ حلف يمينًا وقال: ينبغي أن يُنزَع التاج الأبيض من رأس «حور» بن «إزيس»، وينبغي أن يُلقَى به في الماء حتى يمكنني أن أتنازع معه على وظيفة «الحكم!» (ياوت).

ووافقه على ذلك «رع حور أختي» فقال «ست» لـ «حور»: «تعالَ وليتقمص كلٌّ منَّا جاموس بحر، ودعنا نغص في الماء الذي في «الأخضر العظيم» (كناية عن البحر)[٢٨٣] ومَن يطفُ على سطح الماء قبل مضي ثلاثة أشهر لا يُعطَ هذه الوظيفة.»

---

[٢٨٢] يقصد بذلك حدود الأراضي المنزرعة غربي الدلتا، ويقابلها من الجهة الشرقية منطقة أخرى منزرعة في نهاية حدود الدلتا.

[٢٨٣] نجد هذه الحادثة مذكورة في كتاب (نتيجة الأيام السعيدة والأيام المشئومة) (Pap Sallier IV Recto 2, 6). غير أننا نجد في هذا المصدر الأخير أغلاطًا كثيرة، ولكنها دُوِّنَتْ بنفس التعابير التي في قصتنا هنا، وهاك الترجمة حرفيًّا للنصف الأول منها: «الشهر الأول من فصل الفيضان (يوم ٢٦) شؤم، شؤم. لا تَقُمْ بعمل أي شيء في هذا اليوم؛ لأنه اليوم الذي تحارَبَ فيه «حور» مع «ست»، وضرب أحدهما الآخَر ثم رقدا على جنبيهما، وتقمَّص كلٌّ منهما جاموس بحر عند باب (؟) رب «خرعاحا» (مصر القديمة)، ومضَّيَا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ على هذه الحال، ثم جعلت «إزيس» شصها يصيبهما، فأصاب وجه «حور» وعندئذٍ صاح قائلًا: «إني ابنك «حور».» وعلى ذلك نادت الشص قائلة: «تنحَّ عن ابني «حور».» وبعد ذلك أرسلت الشص ثانيةً فأصاب وجه أخيها «ست»، وعلى أثر ذلك صاح بصوت عالٍ وحزن، فنادت الشص قائلة: (اقبض بشدة (؟).) وعندئذٍ ناداها «ست» مرات عدة: «هل تريدين أن تعادي أخاك من أمك؟!» ثم صار قلبه حزينًا جدًّا، وعندئذٍ نادت الشص قائلة: «تنحَّ، انظر، إنه أخي من أمي.» فانفك الشص عنه، وقام كلٌّ واحد منهما، وولَّى ظهره لصاحبه.

وعندئذٍ غطس كلاهما في الماء وقعدت «إزيس» تبكي، وقالت: إن «ست» قد قتل ابني «حور». ثم أخذت كمية من الغزل وفتلت حبلًا، ثم أخذت رطلًا من النحاس وصهرته وصنعته سلاحًا للماء (شصًّا)، ثم ربطت فيه الحبل وألقته في الماء في المكان الذي غطس فيه «حور» و«ست»، فاشتبك الشص[٢٨٤] في جلالة ابنها «حور» فصاح «حور» عاليًا ونادى: النجدة يا والدتي «إزيس» يا أمي! مُرِي شصَّكِ حتى ينفك عني، إني «حور» بن «إزيس». فصاحت «إزيس» عاليًا آمِرَةً شصَّها: «انفكَّ عنه، انظر، إنه ابني «حور» طفلي هو ذا.» فانفك شصُّها عنه.

وبعد ذلك ألقت به في الماء ثانيةً فاشتبك في جلالة «ست»، فصاح «ست» عاليًا وقال: ماذا فعلت ضدك يا أختي «إزيس»؟! مُرِي شصك أن ينفكَّ عني، إني أخوك من أمك يا «إزيس». فآلمها قلبها من أجله جدًّا، ثم ناداها «ست» قائلًا: «هل تحبين الغريب أكثر مما تحبين أخاك من أمك؟!» فأمرت «إزيس» شصَّها قائلة: «انفكَّ عنه، انظر، إنه أخو «إزيس» من الأم ذلك الذي عضضته.» وعلى ذلك انفكَّ الشصُّ عنه.

من أجل ذلك غضب «حور» من «إزيس» أمه وخرج، وكان وجهه وحشيًّا كأنه فهد من الوجه القبلي، وكان سكينه الذي يزن ستة عشر رطلًا في يده، فقطع[٢٨٥] رأس والدته «إزيس» ووضعه في حضنه، وصعد إلى الجبل، وعلى ذلك تقمَّصت «إزيس» تمثالًا من الظرَّان بدون رأس. ثم قال «رع حور أختي» «لتحوت»: «مَن هذه التي حضرت؟ إنها

---

[٢٨٤] كانت الطريقة التي يتبعها المصري في صيد جاموس البحر هي أنه يربط شصًّا في خيط، ثم يرمي به في الماء بوساطة رمح، وبعد أن يصاب جلد الحيوان بعدة شصاص، كان يُجَرُّ إلى الشاطئ بعد أن يكون قد نزف كمية عظيمة من الدم؛ وذلك مما يسبب ضعفه على المقاومة (Gardiner Tomb of Amenmhet P. 48).

[٢٨٥] الجزء الثاني من الفقرة التي ترجمنا الجزء الأول منها من ورقة ساليه، يتفق مع ما جاء في قصتنا وهو: «وكان جلالة «حور» غاضبًا جدًّا مع والدته، وكان مثل فهد من الوجه القبلي، وقد ابتعدَتْ من أمامه في هذا اليوم الذي أعلن فيه الحرب على المشاغب (؟) (أي ست)، وعندئذٍ قطع رأس «إزيس» ثم تقمَّص الإله «تحوت» صورة الإله «حكا» (وهو إله السحر)، وأعاده (أي الرأس) كرأس بقرة (؟)، وما زال الإنسان إلى اليوم يقدِّم قربانًا باسمها وباسم «تحوت» إلى اليوم.

والمقصود من هذه الخرافة هو محاولة تفسير رأس البقرة الذي تظهر به الإلهة «حتحور»، وثانيًا تأحيد «إزيس» و«حتحور». غير أن قصتنا لم تذكر لنا السبب؛ ولذلك حُذِف منها كل الجزء الخاص بإعادة الرأس بوساطة «تحوت».

حقًّا بدون رأس.» فقال «تحوت» «لرع حور أختي»: «يا سيدي الطيب إنها «إزيس» العظيمة أم الإله، وقد قطع ابنها «حور» رأسها.» وصاح «رع حور أختي» عاليًا وقال للتاسوع: «سنسرع ونوقع عليه عقابًا صارمًا!»

وعلى ذلك صعد التاسوع إلى الجبل ليبحثوا عن «حور» بن «إزيس»، ولكن «حور» قد مضَّى الليلَ تحت شجرة «شنوشع» في إقليم[٢٨٦] الواحة، وقد وجده «ست» وقبض عليه، وألقاه على ظهره على الجبل واقتلع عينيه من مكانهما ودفنهما في الجبل، غير أن محجري عينيه أصبحا بيضتين، ثم نمَتَا فصارتا زهرةَ اللوتس[٢٨٧] وأضاءتا الأرض.

وعندئذٍ رجع «ست» وخاطَبَ «رع حور أختي» كذبًا: إني لم أجد «حور». والواقع أنه وجده.

ثم ذهبت «حتحور» سيدة شجرة الجميز الجنوبية ووجدت «حور» كما كان مضطجعًا يبكي في الصحراء، فأمسكت بغزالة وحلبتها وقالت «لحور»: «افتح عينك حتى أضع فيها هذه النقط من اللبن.» ففتح عينه ووضعت فيها نقط اللبن، ووضعت في العين اليمنى، ووضعت في اليسرى، وقالت له: «افتح عينك.» ففتح عينه، فتأملتها ووجدتها سليمة.

وعندئذٍ ذهبت إلى «رع حور أختي» لتقول: «إن «حور» قد وُجِد وقد اقتلَعَ عينَيْه «ست»، ولكني قد أعدتهما ثانيةً. انظر، إنه آتٍ.»

وعندئذٍ قال التاسوع: فَلْيُنَادَ كلٌّ من «حور» و«ست» ويُفصل بينهما. فأُحضِرَا أمام التاسوع، وتكلَّمَ رب العالمين أمام التاسوع العظيم إلى «حور» و«ست» وقال: «اذهبا واسمعا ما سأقوله لكما، وكُلَا واشْرَبَا، وبذلك ستكونان في سلام، تنحَّيَا عن المشاحنة كل يوم.»

---

[٢٨٦] الفصل التالي من القصة كما هو مذكور هنا لم يُعرَف بعدُ في النقوش المصرية، ولدينا خرافة قديمة جدًّا تقصُّ علينا كيف أن «ست» اقتلع عين «حور»، وأن «حور» انتقم لنفسه بجبِّ خصيتَيْ «ست». ولكن في الفقرة التي نحن بصددها نلاحظ أن عيني «حور» لا عينًا واحدة قد نُزِعتا، وكذلك أن «حتحور» لا «تحوت» هي التي أعادت نظر الإله إليه، على أننا نجد أن الفرق بين الحادثين عظيم جدًّا، لدرجة تجعل الإنسان يتساءل عمَّا إذا كان كلٌّ منهما له أصل خاص به.

[٢٨٧] يظهر أن هذه إشارة للفكرة القائلة إن «حور» رب السماء، وإن عينيه هما الشمس والقمر. أما الجملة التي تلي ذلك فتشير إلى حادث لم يُعرَف بعدُ في المتون المصرية بهذه الصورة، غير أننا نعرف أن الإله «رع» أي إله الشمس يُولَد من زهرة اللوتس.

وإذ ذاك قال «ست» «لحور»: «تعال وسنمضي يومًا سعيدًا في بيتي.»

فقال له «حور»: «بالتأكيد وعن طيب خاطر.»

ولما حلَّ المساء فُرِش (السرير) لهما واضطجع الاثنان، وفي الليل دسَّ «ست» قناته المنتشرة بين فخذي «حور»، ولكن حور وضع يديه في فخذيه وتلقَّى بها نطفة «ست»، وعندئذٍ ذهب «حور» ليقول لوالدته: «النجدة يا «إزيس» يا أمي! تعالي وانظري ما آتاه «ست» معي!»

وفتح يده وجعلها تنظر إلى نطفة «ست»، فصاحَتْ عاليًا وقبضت على سكينها وقطعت[٢٨٨] يده وألقت بها في الماء، ثم صنعت يدًا تماثلها، وأخذت قطعة مرهم حلو ووضعتها على قناة «حور» فانتصبت، ثم وضعتها في إناء وجعلت نطفة «حور» تجري إليه، وبعد ذلك ذهبت «إزيس» ومعها نطفة «حور» في الصباح إلى حديقة «ست»، وسألت بستاني «ست»: «ما العشب الذي يأكله «ست» معك؟»

فقال لها البستاني: «إنه لا يأكل أي عشب معي هنا إلا الخس.»[٢٨٩]

---

[٢٨٨] إن حادثة قطع اليدين (لا يد واحدة كما في قصتنا) قد جاء ذِكْرها في الفصل ١١٣ من كتاب الموتى، ونجد بداية هذا الحادث في رواية متون الدولة الوسطى، وهي: «إني أعرف سر «هيراكنبوليس»، إنه يَدَا «حور»، وهما اللتان قطعتهما أمه، وقد قذفت بهما في الماء قائلةً: «إنكما ستكونان الاثنتين المفصولتين عن «حور» حتى بعد أن تكونا قد وجدتما ثانيةً كاللتين وجدتهما أنا ثانيةً.»

وعندئذٍ قال «رع»: «لقد شوَّه ابن «إزيس» هذا بما اقترفته أمه بنفسها ضده. دع «سبك» (إله في صورة تمساح) يحضر إلينا من نهاية الماء لأجل أن يصطادهما لتتمكن أمه «إزيس» من إعادتهما إلى مكانهما (الأصلي).» ولسنا في حاجة للتعليق هنا على أوجه الشبه والاختلافات التي توجد بين الخرافتين.

[٢٨٩] لقد برهن الدكتور كيمر في مجلة (Zeitschrift für Agypt. Sprache 59. 140) على أن النبات «عبو» المذكور هنا والذي ترجمناه بكلمة «خس»، هو نوع من أنواع الخس الذي ينبت في مصر .(Lactuca Sativa. L)، وهو النبات الذي يظهر غالبًا مرسومًا وراء صور الإله «مين». وقد عزا الدكتور «كيمر» بحق العلاقة بين هذا الإله وبين الخس إلى العصارة التي تشبه اللبن المستخرَجَة من هذا النبات، وذلك أن القوة التناسلية التي تُحدِثها هذه العصارة يمكن تشبيهها باللبن الذي هو رمز للخصب وعدم العقم من جهة، ولمشابهة هذه العصارة للنطفة الآدمية. وهذه الآراء قد تثبت بالفقرة التي جاءت في قصتنا، وكذلك أثبتها الطب الحديث. والسبب الذي من أجله كان «ست» منغمسًا في أكل الخس مثل الإله «مين»، أنه كان يريد تقوية الناحية الجنسية عنده، ولكن بلعه «نطفة» «حور» مع الخس جعل «ست» يصبح حاملًا مخنثًا بعد أن كان معروفًا بقوته وبطشه (وازِنْ ذلك بما جاء في قصة الأخوين حينما بلعت امرأة الملك قطعة الخشب وأصبحت حاملًا).

وعلى ذلك وضعت «إزيس» نطفة «حور» عليه (الخس)، ثم حضر «ست» حسب عادته كل يوم وأكل الخس الذي تعوَّدَ أكله فصار حاملًا من نطفة «حور»؛ وعلى ذلك ذهب «ست» ليقول لحور: «تعالَ، دعنا نسرع لنتخاصم معًا أمام العدالة.» فقال له «حور»: «بالتأكيد، وعن طيب خاطر!» وعلى ذلك ذهب الاثنان إلى المجلس ووقفا أمام التاسوع العظيم وقيل لهما: «تكلَّمَا عن شخصيكما!»

فقال «ست»: لتُعْطَ لي وظيفة الحكم، أما عن «حور» وهو الشخص الذي يقف هنا، فإني قد فعلتُ معه ما يعمل الرجل (مع المرأة). وإذ ذاك صاح التاسوع عاليًا: ابصقوا في وجه «حور». غير أن «حور» سخر منهم، وعندئذٍ أقسم «حور» يمينًا بالله قائلًا: «إن كل ما قاله «ست» كذب. مُرْ بأن تُنادَى نطفة «ست»، وسنرى من أين تجيب.» فوضع «تحوت» — رب «كلام الإله»، وكاتب الصدق للتاسوع — يده على ساعد «حور» وقال: تعالي يا نطفة «ست». فأجابته من ماء المستنقع، ثم وضع «تحوت» يده على ساعد «ست» وقال: تعالي هنا يا نطفة «حور». فقالت له (أي النطفة): «من أين ينبغي لي أن أخرج؟» فقال لها «تحوت»: «اخرجي من أذنه.» وعند ذلك قالت له: «هل أخرج من أذنه وأنا النطفة الإلهية؟!» وعلى ذلك قال لها: «اخرجي من جبينه.» فخرجت مثل قرص من الذهب على جبين «ست»، فغضب «ست» جدًّا، ومدَّ يده ليقبض على القرص الذهبي، فأخذه «تحوت» ووضعه حلية فوق رأسه[٢٩٠] هو، ولكن التاسوع قال: «إن «حور» على

[٢٩٠] هذه الفقرة بأكملها تحتوي على رواية معدَّلة لقصة قديمة جاء فيها أن «تحوت» قد وُلِد من جبين «ست»، فمن المعلوم أن هذا الحادث الذي ذُكِر هنا كان معروفًا عند المصريين منذ أقدم العصور، مع الفارق أن «تحوت» في الرواية القديمة لم يكن المحكِّم، بل كان هو نتيجة نطفة «حور» التي كانت في «ست». وأقدم برهان لدينا يرجع إلى الدولة الوسطى، انظر (Rec Trav 34 P. 144) حيث تجد أن المتوفى يؤكِّد نفسه مع «تحوت» ويقول لأوزير: «إني ابن ابنك وبذرة بذرتك، والإله الذي فصل الأخوين.» ونجد على تمثال من العصر الصاوي (Turin, 74) أن «تحوت» قد سُمِّي مرتين: «تحوت ابن الإلهين الذي خرج من الجبين». وفي معبد إدفو يوجد متنان يشيران إلى هذا الحادث (Rochemontiex Edfu I, 82 & II 44) ففي المتن المطوَّل نشاهد الملك وهو يقرب الخس للإله «مين» قائلًا: «خذ لنفسك العشب الأخضر الجميل الذي أقبض عليه (؟) لأجل أن يمكنك أن تدفق سائلك السري الذي فيه (أي الذي في الحس)، وليمكِّن مَن عاملته كامرأة أن يبلعه ويحمل منك ولدًا يخرج من الجبين مثل المحكِّم، لأجل أن يمكنك أن تبرأ أمام مجلس العدالة.» ويُلاحَظ هنا أن الإله «مين» قد أُحِّد مع «حور»؛ ولذلك يُسمَّى «حور-مين-نخت» أي حور-مين المنتصر. ومن الجائز أن هذه التسمية المركَّبة قد تكون نتيجة لهذه الخرافة.

حق و«ست» على باطل.» وعندئذٍ غضب «ست» جدًّا وصاح صيحة عالية عندما قالوا: «إن «حور» على حق و«ست» على باطل.»

وعلى ذلك أقسم «ست» يمينًا بالله بهذه الكلمات: «لا ينبغي أن يُعطَى الوظيفة حتى ينزل معي لنصنع لنفسينا سفينتين من الحجر، ونتحارب سويًّا، والذي يتغلَّب على زميله يُعطَى وظيفة الحكم.»

فصنع «حور» لنفسه سفينة من خشب الأرز، وغطَّاها بطبقة من الجبس، وألقى بها في الماء عند الغروب، ولم يَرَه أحد في كل العالم، ولكن رأى «ست» سفينة «حور» وظنَّ أنها من حجر، فذهَبَ إلى الجبل، وقطع قمته، وصنع لنفسه سفينة من الحجر، ذرعها مائة وثمانية وثلاثون، وفي هذا الوقت نزَلَا في سفينتيهما في حضرة التاسوع، فغرقت سفينة «ست» في الماء، فتقمَّصَ «ست» جاموس بحر، وسبَّبَ غرق سفينة «حور».

وعندئذٍ أمسك «حور» بشصٍّ ورمى به جلالة «ست»، فقال له التاسوع: «لا تَرْمِهِ به.» وإذ ذاك أخذ معدات الماء (يعني بذلك: القلع والسكان والمجداف) ووضعها في سفينة، وسار منحدرًا في النهر إلى «صا الحجر»؛ ليتحدث إلى «نيت» أم الإله فقال: «اعملي على أن يفصل بيني وبين «ست»، فمنذ ثمانين عامًا ونحن أمام العدالة، ولم يعرف أحد كيف يفصل بيننا، ومع ذلك لم يُعترَف له بالحق دوني، ولكن لألف مرة قبل ذلك كنتُ المحق الظاهر عليه كل يوم، وعلى الرغم من ذلك لم يبالِ بأي شيء قاله التاسوع.

أما الرواية القصيرة فتشتمل على ما يأتي: «إنك (تدفق) نطفتك في جسم العدو (أي «ست») حتى يحمل، وحتى يخرج ابنك (تحوت) من جبينه.» والفرق الوحيد الهام الذي نشاهده في رواية قصتنا هي العبارة التي تقول: إن قرصًا من الذهب خرج من جبين الإله «ست» لا الإله «تحوت» نفسه، وترى أن قرص الذهب يصبح مرتبطًا مباشَرَةً بالإله «تحوت» عندما يضعه على رأسه بمثابة حلية. ولا نزاع في أن الخرافة كانت خارقة لحد المعقول في نظر مؤلِّف قصتنا؛ إذ كيف يمكن أن يكون «تحوت» في وقت واحد محكِّمًا بين «حور» و«ست»، وابنًا «لست»؟! والظاهر أن هذه الخرافة كان يرمز بها للحرب بين النور والظلمة، أو الليل والنهار، أي بين «حور» و«ست»، وأن «حور» وهو النهار، تغلَّبَ على «ست» وهو الليل، وكانت نتيجة إتيان «حور» «لست» أنْ وُلِدَ الأخير القمر؛ ولذلك يُسمَّى ابن الإلهين، وقد شرحنا ذلك في درس القصة.

وقد تخاصمت معه في قاعة المحكمة (المسماة) «طريق العدالة»، وقد كان الحق في جانبي. وقد تخاصمت معه في قاعدة المحكمة (المسماة) «حور-ذي القرون-البارزة»، وقد كان الحق في جانبي. وقد تخاصمت معه في قاعة المحكمة (المسماة) «حقل البوص»،[٢٩١] وكان الحق في جانبي. وقد تخاصمت معه في قاعة المحكمة (المسماة) «بركة الحقل»،[٢٩٢] وقد كان الحق في جانبي.»

ثم تكلَّم التاسوع مع «شو» بن «رع»، فقال: «لقد كان «حور» بن «إزيس» على حق في كل ما قال.» ثم تكلَّم «تحوت» إلى رب العالمين قائلًا: «مُرْ بإرسال خطاب إلى «أوزير»[٢٩٣] حتى يمكنه أن يفصل بين الشابين، وعندئذٍ تكلَّم «شو» بن «رع»: «حقًّا وألف ألف مرة حقًّا ما قاله «تحوت» للتاسوع.» والآن تكلَّم رب العالمين إلى «تحوت»: «اجلس واكتب خطابًا إلى «أوزير»، وإنَّا نريد أن نسمع ما الذي سيقوله.»

---

[٢٩١] حقل البوص (سخت أرو) هو اسم معروف يُطلَق على «حقول الجنة» عند المصريين، وهو المكان الذي يمكِّن المتوفى أن يواصِل فيه حرفة الزراعة بنجاح عظيم.

[٢٩٢] لم يُعثَر على اسم هذه القاعة في غير هذه القصة، ومن المحتمل أن هذا الاسم يشير إلى البركة التي جاوبت منها نطفة «حور»، ولا بد أن تكون هي بعينها التي ألقت فيها «إزيس» اليد النَّجِسة.

[٢٩٣] إن الدور الذي يلعبه «أوزير» في هذه القصة هو أنه ملك متوفى يحكم في الغرب في العالم السفلي؛ ولذلك نجده مذكورًا باسم «ونن نفر» «الكائن الطيب»، وإذا استثنينا الفقرة التي نحن بصددها الآن وهي التي وصفت فيها وظيفته وقوته بصورة حية مدهشة، فإنَّا لا نعرف شيئًا تقريبًا عنه في قصتنا. ونجد أنه قد ذُكِر مرةً بأنه ابن الإله «بتاح»، وكذلك بوصفه ابن «رع»، ولكن يرجع سبب ذلك إلى أنه كان في هذه الحالة يمثل فرعون الذي كان يُدعَى ابن الشمس. أما الاسم الملكي أو الخرطوش الذي يحتوي اسمه «عظيم الفيض-رب الكثرة»، فإنه يشير إليه بوصفه خالق الغلال، غير أنه لا يوجد بهذه الصورة إلا في قصتنا، على أن مَن يقرأ قصتنا لا بد أن يفهم منها أن القارئ يعرف ضمنًا كل تاريخ مأساة «أوزير». هذا ما يقوله الأستاذ «جاردنر» عن مركز «أوزير» في هذه القصة، أما «سبيجل» فإنه قد برهَنَ على أن «أوزير» هنا كان يمثل ملك أهناس المدينة، وأن قصة الآلهة هنا إن هي إلا صورة رمزية لحالة مصر في العهد الإقطاعي، وما قام من الحروب والمشاحنات بين حكَّام الإقطاع في أوائل الأسرة الثانية عشرة. (انظر كتاب مصر القديمة جزء أول.)

وإذ ذاك جلس «تحوت» ليؤلِّف خطابًا إلى «أوزير»، فكتب:[٢٩٤] «الثور الأسد الذي يصطاد لنفسه، والإلهتان (نبتي) الذي يحمي الآلهة وقاهر الأرضين، و«حور» الذهبي بارئ الناس في الأزل ملك الوجه القبلي والبحري، الثور الذي في عين شمس. ابن «بتاح» المنير في الأرضين (؟)، والذي يضيء بوصفه والد تاسوعه ليغذي نفسه من الذهب ومن الطرائف المقدسة — في حياة وعافية وصحة: اكتب لنا عمَّا ينبغي أن نفعله مع «حور» و«ست»، فنحن لا نريد أن نفعل شيئًا ما دمنا لسنا على علم (تام).»

وبعد ذلك وصل الجواب إلى الملك ابن «رع» غزير الفيضان ورب القوة، وهنا صاح صيحةً عاليةً عندما قرئ الجواب أمامه.

فجاوَبَ بسرعة عظيمة إلى المكان الذي كان فيه رب العالمين موجودًا مع التاسوع، فكتب: «لماذا تستعمل مع ابني «حور» القوة؟ هل كنتُ أستعمل معكم القوة! وإني أنا الذي أوجدت الشعير والحنطة، والذي أطعم الآلهة،[٢٩٥] وكذلك المخلوقات الحية بعد الآلهة، على أنه لا يوجد إله ولا آلهة في مقدوره أو مقدورها أن يفعل ذلك.»

---

[٢٩٤] يلاحظ هنا أن ألقاب مرسل الخطاب هي التي ذُكِرت هنا، والمرسل هو «إله الشمس». ونشاهد أن ألقابه خمسة الألقاب التي يحملها فرعون مصر، وهي خمسة الأسماء التي تفسِّر لنا الصفات التي كان يتميَّز بها الملك (وقد تكلَّمتُ عنها في كتاب مصر القديمة جزء أول). فمثلًا بصفته «ملك الوجهين القبلي والبحري» كان يُنعَت بأنه «الثور الذي يقطن عين شمس»، ويلاحظ هنا أن اسم الملك الحوري العادي قد اختُصِر إلى «الثور» بدلًا من «حور الثور المنتصر»، وهو اللقب الذي حلَّ بدلًا من «حور» فقط منذ حكم تحتمس الثالث. أما لقب الإلهتين (نبتي) (أي العقاب والصل) ولقب «حور الذهبي» فإنهما يقدمان كالمعتاد. ويُلاحَظ في الألقاب التي في قصتنا أن المؤلف حينما أراد أن يذكر اللقب الخامس الذي يُعرَف عند علماء الآثار بالاسم تمييزًا له عن الصفة الرابعة، لم يكن في الإمكان استعمال عبارة «ابن الشمس»، وهو اللقب المعتاد؛ لأن ذلك يظهر سخيفًا إذا وُصِف «رع» بأنه «ابن رع» أي الشمس. على أن هذه النعوت نفسها غريبة في بابها، ولم تكن منتظرة، فمثلًا نجد أن لقب «الأسد الذي يصطاد لنفسه» قد صيغ على وتيرة لقب حوريٍّ أُعطِيَ للملك «مرنبتاح»، وهو «الفهد الذي يمزِّق لنفسه» ... إلخ. وهكذا نجد معظم هذه الألقاب غريبة في بابها.

[٢٩٥] لا نزاع في أن القول الصريح في قصتنا بأن «أوزير» هو الذي خلق القمح فريد في المتون المصرية، والواقع أن علاقة هذا الإله بالمحاصيل الزراعية كان يعبر عنها بطريقة أخرى في كل ما وصلنا من النقوش المصرية؛ فقد كان الاعتقاد القديم أن «أوزير» كان مؤحدًا مع القمح، وكان يقال عنه إنه هو «نبر» إله القمح. انظر (Lacau Textes Relig no LX III).

وكذلك يمثل لنا نفس الفكرة أسرة «أوزير» المصنوعة من الغرين الصالح للزراعة والقمح الذي كان يُوضَع عليها لينبت في القبور، وكذلك التماثيل التي كانت تصنع في عيد كيهك، وهو عيد إحياء «أوزير»،

وقد وصل جواب أوزير إلى المكان الذي فيه «رع حور أختي» أثناء جلوسه مع التاسوع في الحقل الأبيض في (بلدة) «سخا».

وقد قرئ في حضرته وفي حضرة التاسوع وقال «رع حور أختي»: أَجِبْ بدلًا مني عن هذا الخطاب بغاية السرعة، واكتب إلى «أوزير» ردًّا عليه: «هَبْ أنك لم توجد بعدُ، وهَبْ أنك لم تُولَد قطُّ، فإن الشعير والحنطة كانا — لا بد — موجودين!»

وإذ ذاك وصل جواب «رب العالمين» إلى «أوزير» وقُرِئ أمامه.

وعندئذٍ أرسل إلى «رع حور أختي» ثانيةً ما يأتي: «قد يكون كل ما فعلتَ أنت يا خالق التاسوع حسنًا جدًّا حقيقة، إنه قد سمح للعدالة بذلك أن تهبط إلى العالم السفلي، ولكنْ تنبَّهْ إلى المركز الذي تجد نفسك فيه، أما الأرض التي أمكث فيها فإنها ملأى برُسُل غِضاب،[٢٩٦] لا يخافون أي إله أو آلهة، فإذا تركتهم يخرجون منها فإنهم يحضرون قلب أي إنسان يرتكب خطيئة، وسيصيرون معي هنا، وإلَّا لَمْ أَبْقَ في الغرب[٢٩٧] وأنتم جميعًا في الخارج (أي في عالم الدنيا)! مَن يوجد بينكم أقوى مني؟ ولكنهم في الواقع افتروا الكذب، و«بتاح» العظيم القاطن جنوب جداره رب «عنخ تاوي» (منف) وخالق السماء، أَلَمْ يتكلَّم إلى النجوم التي فيها قائلًا: ينبغي أن تذهبي إلى الغرب كل ليلة حيث يوجد الملك «أوزير».

يضاف إلى ذلك ما جاء في «بلوتارخ» وغيره من كتَّاب اليونان مفسِّرًا لهذا الرأي (Plutarch De I side ch. 65.) على أن مظهر هذا الإله في هذه الصورة قد بحثه سير جيمس فريزر في كتابه: Sir james Frazer Osiris, Attis and Adonis Vol. 11 PP. 89 ff. وكذلك بحث في Journ. Egypt. Arch. II, 121–5 & A. Moret La mise au Mort du Dieu en Egypte.

وقد كان الرأي السائد في العصر الإغريقي الرومإني أن «إزيس» هي التي كشفت عن القمح، ولكن استعماله وزراعته يرجع الفضل فيهما إلى «أوزير». راجع Plutarch De Iside Ch. 31 & Diodorus Siculus I. 14.

[٢٩٦] إن فكرة الرسل هنا تقابل في التوراة والإنجيل والقرآن الملائكة الذين ينفذون أوامر الإله، ولدينا أدلة على وجودهم في النقوش المصرية في «كتاب الموتى» وفي «متون الأهرام»، ففي الفصل التاسع والعشرين من «كتاب الموتى» نجد ما يناسب الفقرة التي في قصتنا؛ تعويذةً لمنع أخذ قلب الإنسان منه، وهي: «ابتعد أنت يا رسول أي إله، هل أتيتَ لتحرمني قلبي هذا الذي أعيش به؟ إني لن أعطيك إياه، قلبي هذا الذي أعيش به ...»

[٢٩٧] يظهر أن الغرب أو العالم السفلي هنا يُقصَد به أن يكون مكانًا للنفي خاصًّا بالأشقياء، وبعبارة أخرى ما يقابل جهنم عندنا.

ولكن ينبغي أن يذهب بعد الآلهة البشر وعامة الخلق للراحة (الموت) أيضًا في المكان الذي[٢٩٨] أنت فيه؟ — هكذا قال لي (أي بتاح).»

وبعد ذلك وصل خطاب «أوزير» إلى حيث كان رب العالمين الذي كان مع التاسوع، فتسلَّم «تحوت» الجواب وقرأه أمام «رع حور أختي» والتاسوع.

فقالوا: «إن «العظيم في فيضانه ورب الطعام» محق في كل ما قاله.» وهنا قال «ست»: اذهبوا إلى «جزيرة الوسط»، وعلى ذلك يمكنني أن أتخاصم معه (هناك). وعلى ذلك ذهب إلى «جزيرة الوسط» وقد أعلن أن «حور» صاحب الحق عليه، وعندئذٍ أرسل «آتوم» رب العالمين في عين شمس إلى «إزيس» قائلًا: ائتي «بست» مكبَّلًا بالأغلال، وعلى ذلك أحضرت «إزيس» «ست» مكبَّلًا بالأغلال مثل السجين.

فقال له «آتوم»: لماذا لم تقبل أن يفصل بينكما (حسب القانون)، بل بحثت لتغتصب لنفسك وظيفة «حور»؟ فقال «ست»: ليس الأمر كذلك يا سيدي الطيب قطُّ. مُرْ بأن يُنادَى «حور» بن «أوزير»، ثم يُعطَى وظيفة والده «أوزير».

فأُحضِر «حور» بن «إزيس»، ووُضِع التاج الأبيض على رأسه، وأُجلِس على عرش والده «أوزير»، ثم قيل له: «إنك ملك مصر الطيب، وإنك الرب الطيب لكل بلاد أبد الآبدين.»

وعندئذٍ رفعت «إزيس» صوتها عاليًا أمام ابنها «حور» وقالت: «إنك الملك الطيب، وإن قلبي لفي سرور عندما تنير الأرض ببهائك.»

وإذ ذاك تكلَّمَ «بتاح» العظيم القاطن جنوب جداره، رب «عنخ-تاوي» (منف): ما الذي ينبغي أن يُعمَل لست (الآن)؟ إذ تأمل؛ فإن «حور» قد جلس في مكان والده «أوزير»، وعندئذٍ قال «رع حور أختي»: «أتمنى أن يُسمَح «لست» بن «نوت» أن يسكن

---

[٢٩٨] لقد عُثِر على وصف ممتع للغرب (الجبَّانة أو عالم الآخِرة) في قصيدة من أواخر الأسرة الثامنة عشرة (Proc. Soc. Bib. Arch, 35, 168).

«إن كل أقاربنا يرتاحون فيها منذ الأزل، وكذلك مَن سيولدون: (الملايين) منهم تلو (الملايين) سيأتون إليها جميعًا ولا يتباطأ أحد عنها في مصر، وليس هناك فرد واحد لا يقترب منها.» وكذلك في العصور المتأخرة نجد في قصة «خامواس» (Griffith. Stories of the High Priest of Memphis PP. 46–8) أن الموت قد مثلوا داخلين إلى الغرب (يمنتي) ليحاكمهم «أوزير»، فالشقي يدفع به إلى المارد المسمَّى «أما» (الملتهم)، أما الفاضل فإن مكانه بين الأبرار الذين يخدمون «أوزير».

معي بمثابة ابن، وكذلك ينبغي أن يرفع صوته في السماء (يرعد)، وأن يخاف الإنسان في حضرته.»

وعندئذٍ أتى مَن يبلغ «رع حور أختي» أن «حور» بن «إزيس» قد نصب حاكمًا، وعلى ذلك فرح «رع حور أختي» فرحًا شديدًا وقال للتاسوع: «أقيموا الأفراح في كل البلاد «لحور» لابن إزيس.» ولكن «إزيس» قالت: «إن «حور» قد نصب حاكمًا، والتاسوع في سرور، والسماء في حبور، وهم يأخذون أكاليل الأزهار عندما يشاهدون «حور» بن «إزيس»، وكيف أنه نصب حاكمًا عظيمًا لمصر.»

أما التاسوع فإن قلوبهم كانت فَرِحة، وكل البلاد في حبور، عندما رأوا «حور» بن «إزيس»، وكيف أنه قد أخذ وظيفة والده «أوزير» سيد «أبو صير». لقد انتهى بخير في طيبة في مكان الصدق (؟).

(٢-١٢) قصة سياحة ونأمون

(أ) ملخص القصة

كان القارب الرسمي المشهور المسمى «وسرحات» الذي كان يستعمله «آمون» طيبة في حاجة إلى خشب من أرز لبنان، وكان ذلك سهلًا ما دامت مصر قوية، ولكن حوالي سنة ١١٠٠ق.م كانت مصر ضعيفة، فلم يكن لديها المال ولا النقود لجلب ما يلزم لإعادة بناء القارب من الخشب، ومع ذلك فقد جُمِع المال بطريق التبرع، واتفق على إرسال آمون نفسه إلى «ببلوس» «جبيل»، وقد اختير لهذا الغرض تمثال للإله يُسمَّى «آمون الطريق» وصاحبه «ونأمون» أحد موظفي المعبد (أسَن رجال القاعة)، وأخذ معه خطابات توصية «لسمندس»، و«تنتامون» لمدِّه بما يحتاج إليه في طريقه إلى ببلوس «جبيل».

وصل ونأمون إلى «تانيس» مقر «سمندس» و«تنتامون»، وفي الشهر الرابع وصل إلى «دور» في بحر سوريا العظيم، وهناك سُرِقت نقوده فشكا إلى أميرها فلم يُنصِفه، فاستمر في سياحته إلى «زاكار بعل» أمير «جبيل»، وقد قابل بعض الأهالي فسلبهم كيس نقود تعويضًا عما سُلِبَه، فغضب أمير «جبيل» لما حدث وأمر بطرده من ثغره، ولكن «ونأمون» لم ينفذ الأمر، ودار حوار بينهما حول السفر والإقامة وسبب المجيء إلى بلاده، وطلب ثمنًا لما يراد منه، وانتهى الأمر بإرسال سبع قطع من الخشب إلى مصر، وأرسل «سمندس» «وتنتامون» هدايا كثيرة فرح لها الأمير، وحشد جمعًا من الرجال

والثيران لإعداد الخشب المطلوب، وبعد أن جُهِّزَ الخشب على شاطئ البحر جاءت سفن من «زاكار» للقبض على «ونأمون» وسجنه، وللحيلولة دون سفر الخشب إلى مصر، فأبى الأمير أن يُقبَض عليه في أرضه وأرسله بعيدًا عن بلاده، فساقت الريح سفينته إلى أرض «إرسا» وخرج أهلها ليقتلوه، فلجأ إلى ملكتها، ثم كُسِرت البردية بعد ذلك، فلم يُعلَم كيف نجا «ونأمون» من أخطاره؟ وهل حقَّقَ الغرض من رحلته أم رجع كما ذهَبَ.

(ب) دراسة القصة

هذه القصة تُعَدُّ من أدب الدولة الحديثة الراقي، وإذا قستها بغيرها من قصص الدولة الوسطى كقصة «سنوهيت» الراقية المغزى والتعبير، أو قصة «الغريق» السهلة التناول العذبة الأسلوب، وجدت أهم ميزة لقصتنا هذه الوصفَ الحيَّ الذي تضعه أمامنا، والحوار الحاد الممتع الذي تعرضه على أسماعنا، وأهم من هذا وذاك البيئة التي أظهرها القاص فيها، والجو الذي نقل القارئ إليه، والنواحي النفسية التي تناولها؛ كإبراز أخلاق «ونأمون» أهم شخصية فيها، وبيان أن الأسرة العشرين التي انحطت قوتها أعجز من أن تجلب لمصر ما اعتادت الأسر القوية أن تفعله؛ فلم يكن في مقدور حاكمها أن يصدر أمرًا في مصر لينفذ في لبنان. ولقد سرد الكاتب قصته بطريقة جميلة حتى لترسخ في ذهنك صورة أمير «جبيل» في حجرته العليا، وظهره مستند إلى شرفتها، وأمواج البحر السوري تتلاطم من خلفه، وحتى تشارك ونأمون أساه لهروب أحد أتباعه بما كان عنده من ذهب وفضة، وحتى لترثى لخذلانه عندما طُولِبَ بإبراز ما يتسلح به من توصية أو عدة، وحتى لتبكي معه سوءَ طالِعِه عندما رأى الطيور تنزح للمرة الثانية إلى مصر وهو على حاله من الخيبة والفشل في سوريا مقيم.

وقد وضع الكاتب أمام أعيننا صورة مدهشة لتدهور الدولة المصرية وسقوطها، مشربة باعتقاد رقيق مؤثر في قوة آمون، وقدرته على انتشالها من وهدتها وإعادتها لما كانت عليه في غابر الأزمان.

وهذه القصة جديرة بأن تُوضَع جنبًا لجنب مع بعض أحسن القصص التي وردت في التوراة، مثل قصة «يونس ورسالته» أو «قصة راعوت في وسط القمح»، مع فارق واحد هو أن قصتنا قد سبقت كلًّا منهما بنحو خمسة قرون، كما أنها تقدِّم لنا صورةً حيةً عن السياحة وعن التجارة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وتساعدنا على تصور ذلك العالم على حقيقته كما كان، ذلك العالم الذي لا تزال صورته نتمتع بها في قصة

«الأوديسا» بأسلوبها البسيط الخالي من المحسنات العميقة القديمة، هذا إلى أن القاص يستميلنا أكثر من هذا بنكاته الدقيقة التي تجري على لسانه من غير تكلُّف أو اصطناع.

(ج) المصادر

عثَرَ على هذه البردية الأستاذُ جولنيشف الروسي، وهي الآن في موسكو، وقد ترجمها وعلَّقَ عليها سنة ١٨٩٩ وأهم مَن ترجمها أو كتب عنها:

(1) Erman, Zeitschrift für Aegyptische Sprache, XXXVIII, P.P. 1. f.f.

(2) Erman, “The Literature of the Ancient Egyptians”, (translated by Blackman), P. 174.

(3) Eric Peet, “A comparative study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia”, P. 47. f.f.

(4) Maspero, “Popular Stories of Ancient Egypt”, P. 202.

(5) Wiedmann, Altagptische Sagen und Märchen, (Leipzig, 1906). P.P. 94–113.

(6) Breasted, “Ancient Records of Egypt”, Vol. IV, P.P. 274 f.f.

(د) متن القصة

في اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف سنة خمس، سافَرَ في هذا اليوم «ونأمون» أكبر رجال قاعة إدارة «آمون» الكرنك؛ ليُحضِر الخشب للسفينة الكبرى المعظمة الخاصة «بأمون رع» ملك الآلهة، وهي التي على النهر وتُسمَّى «وسرحات آمون». ففي اليوم الذي وصلت فيه إلى «تانيس» مقر «سمندس» و«تنتامون» أعطيتهما خطابات «آمون رع» ملك الآلهة، وقد قُرِئت في حضرتيهما وقالَا: «نعم، سنفعل كما قال سيدنا «آمون رع» ملك الآلهة، وقد مكثت إلى الشهر الرابع من الصيف في «تانيس»، ثم أرسلني «سمندس» و«تنتانون» مع قائد المركب «منجبت»،[٢٩٩] وفي اليوم الأول من الشهر الرابع من فصل الصيف، نزلت في بحر سوريا العظيم، وقد وصلت إلى «دور» وهي مدينة «للزكار»،[٣٠٠] وقد أمر «بدر» أميرها بإحضار (؟) رغيف لي وإناء من النبيذ

[٢٩٩] كما سيتضح بعدُ: هو اسم قائد سوري أي فينيقي.

[٣٠٠] شعب كان قد غزا ساحل فلسطين منذ ثماني سنوات مضت.

وساق ثور،[٣٠١] وقد ولى الأدبار أحد رجال سفينتي سارقًا أوانيَ من الذهب ... يبلغ مقدارها خمسة دبن،[٣٠٢] وأوانيَ فضة أربعًا يبلغ مقدارها عشرين دبنًا، وفضة في كيس يبلغ مقدارها ١١ دبنًا، فمجموع ما سُرِق خمسة دبن من الذهب وواحد وثلاثون دبنًا من الفضة، وكان في الكيس قِطَع من الفضة كانت تُستعمَل للتعامل زيادة على الأواني (هذا مبلغ عظيم كان لا بد أن يستعمل معظمه لشراء الخشب).

وفي الصباح نفسه (؟) استيقظت وذهبت إلى حيث كان الأمير، وقلت له: «لقد سُرِقت في ثغرك، ولما كنتَ أمير هذه الأرض وشرطيها فابحث عن نقودي، وفي الحق أن المال ملك «آمون رع» ملك الآلهة ورب الممالك، وهو ملك سمندس وملك «حرحور» سيدي، وملك عظماء مصر الآخرين،[٣٠٣] ومن ملكك أنت ومن مال «ورت» ملك «مكمر» و«زاكار بعل» أمير «جبيل».[٣٠٤] فقال لي: أأنت مؤذٍ أم مسالمٌ؟[٣٠٥] انظر، أنا لا أفهم شيئًا في هذا الموضوع الذي حدَّثتني عنه؛ لأنه لو كان اللص الذي دخل السفينة وسرق المال من بلادي، حينئذٍ كنت أدفعه لك ثانيةً من خزانتي إلى أن يُعرَف اللص المذكور، ولكن الذي سرقك هو منك وتابع لسفينتك، فانتظر هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه.

وقضيت تسعة أيام مقيمًا في ثغره، ثم ذهبت إليه وقلت: «انظر، إنك لم تجد نقودي (فسأقلع أنا) مع القائد ومَن سيسافرون.»

وفي الكسر الكبير الذي في الورقة البردية في هذا المكان يمكن أن نقدِّر أن عبارة كالآتية قد قِيلت، قامت مناقشة حادة بين «ونأمون» وأمير «دور»؛ إذ قال له: «الزم الصمت.» وقد أساء له إنسان النصيحة بأن يعمل مثل غيره على أن يسترد ماله ثانية بنفسه — أي يذهبون ليبحثوا عن سارقهم — ومن ثَمَّ أتى إلى «صور».

وأتيت في الفجر من صور (واستمر في سياحته إلى زاكار بعل أمير «جبيل»، ولسوء الطالع قابَلَ بعض أهالي «زاكار» في خلال سياحته وظنَّ أنه محقٌّ في أن يعوِّض على

---

[٣٠١] هدية له.

[٣٠٢] الدبن ٩١ جرامًا.

[٣٠٣] الذين جمعوها.

[٣٠٤] هؤلاء هم الأمراء الفينيقيون الذين سيزورهم، والذين سيكون لهم نصيب من النقود عندما يجدها ثانيةً.

[٣٠٥] يحتمل أنه يريد أن يقول: يمكنك أن تغضب لجوابي، غير أن هذا الأمر لا يعنيني؛ لأن السارق ليس من رعاياي.

نفسه السرقة التي كان هو فريستها في مدينتهم من متاعهم، فسلب منهم كيسًا) (؟) وَجَدْتُ فيه ثلاثين دبنًا من الفضة، فأخذتها، فاشتكوا ولكنه أجاب: (حقًّا إنها) نقودكم غير أنها ستبقى معي إلى أن توجد نقودي. وعلى ذلك أوجد لنفسه أعداءً من أهالي «زاكار» ثم ذهبوا، ووصل هو إلى ثغر «جبيل»، وهناك بحث لنفسه عن مكان أمين: وقد خبَّأت فيه «آمون الطريق» ووضعت فيه متاعه،[٣٠٦] ولكن أمير «جبيل» لم يُظهِر ارتياحه لزيارة رجل لم يكن على وئام مع «الزاكاريين»، فأرسل إليَّ أمير جبيل وقال: «اخرج من ثغري.» (لم يَبْقَ من جواب «ونأمون» على هذا الطلب إلا الكلمات الأخيرة): «إذا كان هنا أناس على سفر، فدَعْهم يأخذوني إلى مصر.» (والظاهر أن «ونأمون» نفسه كان مستعدًّا تمامًا ليتخلى عن هذه الرحلة الفاشلة، غير أنه لم يكن لديه أي فرصة ليسافر آمنًا إلى وطنه إذا لم يضمن له أمير «جبيل» مكانًا أمينًا على ظهر مركب مسافر إلى مصر. ثم يستمر المتن) وأمضيت تسعة عشر يومًا في ثغره، ولكنه استمر يبعث إليَّ كل يوم قائلًا: «اخرج من ثغري.» وبينما كان يُقدِّم القرابين لآلهته أصاب الإله أحد شبانه النبلاء،[٣٠٧] فصار مخبولًا وقال: «احضر الإله هنا؟ أحضر الرسول الذي معه، إنه آمون الذي أرسله، إنه هو الذي جعله[٣٠٨] يأتي.»

وهكذا استمر الشاب المخبول في خبله طول الليل، في حين أني وجدت سفينة مقلعة إلى مصر، وكنت أنقل كل ما عندي على ظهرها، وكنت أرقب الظلام حتى إذا أسدل ستاره أنزل الإله حتى لا تراه عين أخرى، وأتى إليَّ رئيس الثغر قائلًا: «امكث إلى الصباح تحت تصرُّف الأمير.» فقلت له: ألستَ الذي لا يفتأ يأتيني كل يوم قائلًا: اخرج من ثغري، ولم تقل قطُّ «ابقَ»؟ والآن سيدع الأمير المركب التي وجدتها تسافر، ثم تأتي أنت إليَّ ثانيةً قائلًا: «فَلْتذهب»؟

فذهب وأخبر الأمير بذلك، ولكن الأمير أرسل إلى قائد المركب قائلًا: «امكث إلى الصباح تحت تصرُّف الأمير.»

ولما جاء الصباح أرسل إليَّ وأحضرني أمامه والإله بقي في ... الذي كان فيه على ساحل البحر، فوجدته قاعدًا في حجرته العليا، وظهره متَّكِئ على النافذة، وأمواج بحر

---

[٣٠٦] نقود زاكار ومتاع ونأمون.

[٣٠٧] يقصد بالشبان الوصفاء أو مَن على شاكلتهم.

[٣٠٨] وقد كان نبأ حضور تمثال الإله أخذ ينتشر بين حاشية الملك.

سوريا العظيم تتلاطم من خلفه، فقلت له: «رحمة (؟) آمون!» فقال لي: ما المدة التي قضيتها منذ أتيت من مقر آمون[٣٠٩] إلى الآن؟ فقلت له: خمسة شهور كاملة إلى الآن ... فقال لي: «أحقًّا تتكلم الصدق؟ وأين إذًا مكتوب رئيس كهنة آمون الذي يجب أن يكون معك.» فقلت له: أعطيتها «سمندس» و«تنتامون». فغضب جدًّا وقال لي: «انظر، ليس لديك كتابة ولا خطاب، فأين على (أقل) تقدير سفينة خشب الأرز التي أعطاها إياك «سمندس»؟ وأين نواتيها السوريون؟ حقًّا إنه لم يسلمك لربان هذه السفينة لتُذبَح وتُلقَى في البحر، فمن أين إذًا أتوا؟ بالإله، وأنت أخبرني من أين أتوا بك؟» وهكذا تكلَّمَ إليَّ، وقد قلت له: «ولكنها سفينة مصرية ونواتيها مصريون يسيحون «لسمندس»، وليس لديه ملاحون سوريون.»[٣١٠] فقال لي: «ولكن يوجد في ثغري عشرون سفينة مشتركة مع«سمندس»، وفي «صيدا» التي مررتُ بها سائحًا أيضًا خمسون مركبًا مشتركة مع «بركات أيل»،[٣١١] وهي تسافر إلى بيته.»

وقد كنتُ صامتًا في تلك اللحظة الرهيبة، فأجاب قائلًا: «لأي داعٍ أتيتَ إلى هنا؟» فقلتُ له: «أتيتُ من أجل الخشب اللازم للسفينة العظيمة الشأن مِلك «آمون» ملك الآلهة، وقد كان والدك وجدك معتادين أن يفعَلَا ذلك، وأنت ستفعل كما فعَلَا أيضًا.»

وهكذا تكلَّمتُ معه، فقال لي: «حقيقة قد فعَلَا ذلك، وإذا أعطيتني شيئًا مقابل تنفيذ هذه الرغبة فعلتها. وفي الحق إن قومي قد أنجزوا هذا الأمر، ولكن الفرعون قد أرسل ستَّ مراكب هنا محمَّلة بسلع مصر، وقد أفرغوها في مخازنهم، فعليك إذًا أن تحضر لي أنت بعض الشيء أيضًا.» ثم ذهب وأحضر سجلات والده اليومية وأمر بقراءتها بصوت عالٍ في حضرتي، وقد وجد أن ما دخل في سجله يبلغ ألف دبن من كل أنواع الفضة.[٣١٢]

وقال لي: «إذا كان حاكم مصر سيد أملاكي، وكنتُ أنا خادمه أيضًا، لم يكن لزامًا عليه أن يرسل فضة ولا ذهبًا حينما يقول «نفذ أمر آمون» على أنها لم تكن هدية

---

[٣٠٩] الأسئلة الآتية كلها ترمي إلى اعتبار ونأمون محتالًا.

[٣١٠] أسئلة لا قيمة لها، فما دام صاحب السفينة مصريًّا، فالبحَّارة الفينيقيون يمكن اعتبارهم مصريين كذلك.

[٣١١] ومعنى هذا الاسم «نعمة الله».

[٣١٢] يقصد أواني وقطعًا فنية.

ملك،[٣١٣] التي أعطوها والدي، وأنا لذلك لستُ خادمك ولا خادم مَن أرسلك،[٣١٤] وإذا بعثتُ إلى لبنان، فإن السماء تفتح وتكون الأشجار ملقاة هنا على شاطئ البحر.[٣١٥] أعطني القلاع التي أحضرتها معك لتقلع بسفنك التي تعود بالخشب إلى مصر. أعطني كذلك الحبال التي أحضرتها معك لتربط بها بإحكام.[٣١٦] الـ ... شجر الذي سأقطعه حتى أصنعها ... لك ... لأنك من غير كل هذا لا يمكنك أن تسافر بالخشب، وإذا صنعتها لك قلاعًا لسفنك فإن أطرافها ستكون ثقيلة أكثر من اللازم وتنكسر إلى قِطَع، وتهلك أنت في وسط البحر. وتأمل إن آمون يرعد في السماء ويجعل «سوتخ»[٣١٧] يثور (؟) في وقته؛ لأن آمون[٣١٨] قد أَمَدَّ كل البلاد، وقد أمدهم كما أَمَدَّ أرض مصر التي أتيت منها فقد أمدها أولًا؛ لأن الشغل الدقيق قد أتى منها إلى مقري، وكذلك التعليم أتى منها ليصل إلى مقري، فما هذه السياحات الصبيانية التي جعلوك تقوم بها!» فقلتُ له: صه. إنها ليست سياحات صبيانية مطلقًا التي أقوم بها، فليست هناك سفينة على الماء إلا وهي ملك لآمون، فإنه هو البحر، ولبنان ملكه، وهي التي تقول عنها «إنها ملكي»؛ لأنها مزرعة للسفينة «وسرحات آمون» رب كل سفينة. وفي الحق هكذا تكلَّمَ «آمون رع» ملك الآلهة قائلًا «لحارحور» سيدي: أرسلني[٣١٩] واجعلني أسافر مع هذا الإله العظيم، ولكن تأمل، لقد جعلت هذا الإله العظيم يمضي ٢٩ يومًا، وبعد ذلك إلى ثغرك وأنت تعلم تمامًا أنه كان هنا! وهو لا يزال على ما كان عليه أبديًّا، وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن لبنان مع ربها آمون. أما من جهة قولك إن الملوك السالفين أرسلوا فضة وذهبًا، فإذا كانوا

[٣١٣] يريد أن يعلق أهمية على أن النقود كانت مقصورة على ثمن شراء الخشب فقط.

[٣١٤] فهو بكل احتقار يعين بالذات الكاهن الأعلى.

[٣١٥] ولما كانت هذه الأشجار نامية على جبال عالية، فإن تساقطها من أعلى يدفع بنا إلى الظن أنها ساقطة من السماء.

[٣١٦] أحمال من الخشب، إذا لم تكن مربوطة بإحكام تكون خطرًا على السفينة.

[٣١٧] يعتبر «سوتخ» إله العاصفة، وهو إله آسيوي الأصل.

[٣١٨] يتكلم عن آمون «كالإله الأعلى»، وشعبه يجب أن يُنظَر إليه بعين الاحترام؛ مراعاةً للإله ولمصر.

[٣١٩] نأمون نفسه هو الذي أمر بسفر تمثاله بوساطة الوحي.

قد قدموا الحياة والصحة فإنهم كانوا في غنى عن إرسال هذه الأشياء، وقد فضَّلوا أن يرسلوا إلى آبائك هذه الأشياء بدلًا من الحياة والصحة.[٣٢٠]

والآن من جهة «آمون رع» ملك الآلهة، فإنه هو رب الحياة والصحة، وقد كان رب آبائك الذين قضوا مدة حياتهم يقدِّمون القربان لآمون، وأنت كذلك خادم لآمون، والآن إذا قلت: نعم، سأفعلها ونفذت أمره، فإنك ستعيش وتفلح وتكون في صحة جيدة، وستكون محسنًا إلى كل الأرض وإلى قومك، ولكن لا تأخذ شرها لنفسك أي شيء خاص «بآمون رع» ملك الآلهة، حقًّا إن السبع يحب متاعه!

دَعْ كاتبك يحضر إليَّ حتى أرسله إلى «سمندس» و«تنتامون» قائدي الأرض، وهما اللذان قد منحهما آمون الجزء الشمالي من أرضه، وسيرسلان كل ما يحتاج إليه، وسأكتب أنا إليهما قائلًا: أرسلها (أي الأشياء) حتى أعود للجنوب وأرسل لك كل ما أنا مدين به لك.» وهكذا تحدثت له. وقد سلم خطابي إلى يد رسوله، ثم حمل خشب قعر المركب والمقدمة والمؤخرة وكذلك أربع قطع أخرى، أي إن المجموع كان سبع قطع، وأمر بإرسالها إلى مصر، وقد ذهب رسوله إلى مصر وعاد إليَّ في سوريا في أول شهر من الشتاء، وأرسل إلى «سمندس» و«تنتامون».

	عدد
أباريق وإناء كاكمنت	٤ ذهب
أباريق	٥ فضة
ملابس من الكتان الملكي	عشر قطع
كتان جيد من الوجه القبلي	١٠ خرد
بردي جميل	٥٠٠ خرد
جلود ثيران	٥٠٠ خرد
حبال	٥٠٠ خرد

[٣٢٠] الحياة والصحة هي البركة التي يمنحها الآلهة، وهذا ما أحضر لك بوساطة تمثال الإله، وهذه بلا شك أفضل من المال الذي كنتَ تتسلمه في الزمن الماضي.

	عدد
جولق عدس	٢٠ خردًا
سلة سمك	٣٠ خردًا

وكذلك أحضروا لي:[٣٢١] ملابس من كتان الوجه القبلي الجيدة: ٥ قطع، وكتانًا جديدًا من الوجه القبلي: ٥ خرد.

	عدد
عدس	١ جولق
سمك	٥ سلات

ففرح الأمير وخصَّص ثلاثمائة رجل وثلاثمائة ثور على رأسها ملاحظون لقطع الأخشاب، وقد قطعوها وبقيت ملقاة طول الشتاء، وفي الشهر الثالث من الصيف جُرَّت إلى شاطئ البحر.

وأتى الأمير ووقف عليها (أي الأشجار المقطوعة)، وأرسل إليَّ قائلًا: تعالَ. ولما أُحضرت بالقرب منه سقط ظل مروحته عليَّ، ولكن بنأمون[٣٢٢] ساقيه وضع نفسه بيني وبينه قائلًا: «إن ظل فرعون ربك قد سقط عليك.» وقد غضب (الأمير) قائلًا: «دعه وهذه.» وأُحضِرتُ بالقرب منه وأجاب قائلًا لي: «تأمل، إن الأمر الذي قد أدَّاه آبائي في الزمن الماضي قد أدَّيته أيضًا، وإن كنت أنت من ناحيتك لم تفعل لي ما فعله آباؤك لي. انظر، إن آخِر قطعة من خشبك قد وصلت الآن، وها هي قد كُوِّمت، والآن افعل كما أريد وتعالَ لشحنها؛ لأنها في الحقيقة أعطيت لك، ولكن لا تأتِ لتشاهد أهوال البحر،[٣٢٣] فإذا

[٣٢١] أرسل هذا «تنتامان» له شخصيًّا.

[٣٢٢] رجل مصري، غير أنَّا لا نعرف كيف نحدِّد خبث هذه الحركة.

[٣٢٣] أي أسرِعْ وسافِرْ ولا تجعل رداءة جو الفصل سببًا في بقائك هنا.

كنتَ ستشاهد هول البحر فشاهِدْ هولي أيضًا، وفي الحق لم أفعل معك ما فعلوه مع رسل «خاموس»[٣٢٤] حينما قضوا ١٧ سنة في هذه الأرض، وقد ماتوا حيث كانوا.

ثم قال لساقيه: «خذه وأَرِه قبورهم حيث يرقدون.» وقلت له: «لا تُرني إياها! أما عن «خاموس» فإنه أرسل لك رجالًا رسلًا وكان هو نفسه رجلًا، وأنا ليس معي أحد من رسله، ومع ذلك تقول: «اذهب وانظر إلى زملائك»![٣٢٥] ألا يحسن بك أن تفرح وتأمر بعمل لوح تذكاري لك وتنقش عليه «آمون رع» الإله أرسل إليَّ رسوله «آمون الطريق»، ومعه «ونأمون» رسوله من البشر من أجل الخشب اللازم لسفينة «آمون رع» ملك الآلهة العظيمة الفاخرة، وإني قطعتها وشحنتها وأرسلتها في سفني المجهزة بملاحي، وقد أرسلتهم إلى مصر ليلتمسوا لي حياة عشرة آلاف سنة من آمون، أكثر مما هو مقدَّر لي وسيحقِّق ذلك. وحينئذٍ عندما يأتي رسول من أرض مصر في الزمن المقبل عالم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية، فإنه سيقرب لك ماءً في الغرب مثل الآلهة[٣٢٦] الذين هنا، فقال: «إنها لشاهدة عظمى على ما قد قصصته علي.» فقلت له: أما من جهة الأشياء العدة التي قلتها لي، فإني لو وصلت إلى مقر كهنة آمون، ونظر إلى ما وصيت[٣٢٧] به، فحينئذٍ سيجيبك إلى هذه التوصية بعض الشيء.[٣٢٨] وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزومًا، ولمحت إحدى عشرة سفينة تقترب في البحر وهي من متاع «زاكار»، وقد أتت بالأمر: خذوه سجينًا، ولا تسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر. وعند ذلك قعدت وبكيت، ثم أتى كاتب خطابات الأمير إليَّ وقال لي: «ماذا يؤلمك؟» فقلت له: «لا ريب أنك ترى الطيور التي تذهب إلى مصر للمرة الثانية.[٣٢٩] انظر إليها! إنها تذهب

---

[٣٢٤] يحتمل أن يكون رعمسيس التاسع. ونحن هنا لسنا في موقف يمكننا أن نخمِّن فيه ما حدث بالضبط، ولكن على أية حال فإن هناك إشارة إلى تهديد في هذه الحادثة.

[٣٢٥] ومعنى ذلك أن مهمتي لها صبغة إلهية.

[٣٢٦] أي الملوك الأموات الذين في الغرب (أي الآخرة).

[٣٢٧] الخشب الذي تسلمه.

[٣٢٨] أي سندفع حمولة الخشب الثانية.

[٣٢٩] لقد مضى عام كامل منذ مغادرته طيبة، وبعد ذلك يقول بشيء من المبالغة: إنه يرى الطيور المسافرة للمرة الثانية تسافر إلى مصر.

إلى البرك الباردة، ولكن إلى أي وقت سأُترَك هنا؟ ولا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانيةً ليأخذوني سجينًا.» فذهب وأخبر الأمير بذلك، فأخذ الأمير يبكي بسبب الأخبار المحزنة جدًّا التي قيلت له، وأرسل إلى كاتب خطاباته، وأحضر إليَّ قدحين من النبيذ وكبشًا، وزيادة على ذلك أحضر لي «تنتنوت» وهي مغنية مصرية كانت معه قائلًا لها: «غني له ولا تجعلي قلبه تسكنه الهموم.» وأرسل إليَّ قائلًا: «كل واشرب، ولا تجعل قلبك مسكنًا للهموم، وستسمع كل ما أقوله غدًا.» وعند الصباح أمر ... ينادى ووقف في وسطهم، وقال لرجال «زاكار»: «ما معنى مجيئكم هذا؟» فقالوا له: «قد أتينا وبحثنا وراء السفن التي يجب أن تُحطَّم، وهي التي ترسلها إلى مصر مع ... زملائنا.» فقال لهم: «أنا لا يمكنني أن آخذ رسول آمون سجينًا في أرضي، دعوني أرسله بعيدًا، وعندئذٍ اقتفوا أثرَه لتأخذوه سجينًا (يظهر أن هذا كان نص القانون الدولي وقتئذٍ).

فوضعني على ظهر السفينة وأرسلني بعيدًا عنه ... إلى ثغر البحر، فساقتني الريح إلى أرض «إرسا»،[٣٣٠] وخرج أهل المدينة ليقتلوني وقد ساقوني بينهم إلى مكان سكن «حتب» ملكة المدينة، وقد وجدتها حينما كانت آتية من أحد بيوتها داخلة إلى بيت آخَر لها،[٣٣١] وقد حييتها وقلت للناس الذين وقفوا بجانبها: «يوجد من غير شك واحد من بينكم يفهم المصرية.» فقال أحدهم: «أنا أفهمها.» فقلت له: «قُلْ لسيدتي: لقد سمعتُ أنه يقال من أول طيبة حتى إلى مكان «آمون»، إن الظلم يفعل في كل مدينة، ولكن الحق يفعل في أرض «إرسا»، والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا.» فقالت لي: «ولكن ما الذي تعنيه بما تقول؟» فقلتُ لها: «إذا كان البحر قد هاج وساقتني الريح إلى الأرض التي تسكنينها، فإنك لن تسمحي لهم أن يقبضوا عليَّ ليذبحوني، مع العلم بأني رسول «آمون»، فتدبَّرِي الأمر جيدًا، إني فرد سيجري البحث عنه باستمرار.[٣٣٢] أما من جهة «ملاحي» أمير «جبيل» الذين يبحثون عنهم ليقتلوهم، فإن سيدهم لو عثر على عشرة من ملاحيك كذلك سيقتلهم.» وعلى ذلك أمرت بإحضار الناس فأحضروا أمامها وقالت

[٣٣٠] إرسا هي «قبرص»، ولكن لا نعلم كيف تخلَّص من «زاكار» سليمًا.

[٣٣١] أي كانت في الشارع.

[٣٣٢] لأنه شخصية كبيرة.

لي: «ارقد ونم.» وهنا كُسِرت ورقة البردي، ولا نعلم كيف هرب «ونأمون» من هذه الأخطار الجديدة، وهل أفلح في إحضار الخشب إلى مصر؟ وهل دفع ثمنه؟ وهل «آمون الطريق» الذي لم يستفد منه شيئًا قطُّ في السياحة رجع سالمًا ثانيةً إلى الكرنك،[٣٣٣] أو لم يرجع؟

[٣٣٣] «الكرنك» هو معبد الإله آمون العظيم في «طيبة»، والظاهر أن هذه الكلمة محرَّفة عن لفظة «الخورنق» وهو القصر المشهور. وقد جاءت هذه التسمية عن طريق العرب عند فتح مصر، لِمَا بين البناءين من التشابه. واسم معبد «آمون» بالمصرية هو «إبت-سوت».